إلى سقف العالم

(رحلات إلى الدنمارك والسويد)

دكتـــور
عبد الرحمن محمود المحمود

دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع

إلي سقف العالم

(رحلات إلي الدنمارك والسويد)

الدكتور

عبد الرحمن محمود المحمود

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٩١٤,٨٩ المحمود ، عبد الرحمن محمود
ع . ا

إلى سقف العالم رحلات إلى الدنمارك والسويد / عبد الرحمن محمود المحمود .- ط١.- كفر الشيخ : العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨.

١٨٠ ص ؛ ٢٤سم .

تدمك: 3 – 189 – 308 – 977

١. الدنمارك - وصف ورحلات . ٢. السويد – وصف و رحلات.

أ - العنوان

رقم الإيداع : ١٠٧٢٥ / ٢٠٠٨.

الناشر : العلم والايمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة
هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

الطبعة الأولى 2009

الطبعة الثانية 2010

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1]

صدق الله العظيم

١- سورة آل عمران : الآيتان ١٩٠:١٩١.

إهداء

إلي روح خالي **عبد الله بن حمد السويدي** (رحمه الله) الذي قضي نحبه في حادثة بحرية مفجعة وهو في ريعان الشباب تغمده الله بواسع رحمته وأدخله فسيح جناته.

إلي الرحالة العربي الأخ / عبد الرحمن المحمود

مع التحية

لقد آنَ يا سندبادُ السفر	لك الأرضُ فأرحل ولا تستقرْ
أصبتَ من الكونِ أسرارَهُ	وقد أخطأته العيون الأُخرْ
لك البحرُ فأنشرْ شراعَكَ فيه	فلا غَيْرُكَ اليومَ بالبحرِ مَرْ
تجوبُ الجبالَ تجوبُ الصحاري	وترسم آثارَها في دُرَرْ
تُحَوِّلُ صلْبَ الصُّخورِ حَكايا	وتَنثُرُ ثلْجَ البَراري عِبَرْ
تَمَتَّعْ فكُلُّ الحياةِ ارتحالُ	وسرّ الوجُودِ اقْتِحَامُ الخَطَرْ

إسماعيل مزهر الشمري

محتويات الكتاب

المحتوى	الصفحة

محتويات الكتاب

مقدمة

يسعدني أن أقدم لقراء العربية كتابي الثاني في الرحلات والذي سجلت فيه بعضاً من مشاهداتي في الدنمارك، والسويد التي عشت فيها ردحا طويلا من الزمن، وجبت ربوعها من أدناها إلي أقصاها، تعرفت على أهلها عن قرب، شاركتهم أفراحهم وأتراحهم درست خصالهم وسجاياهم، وكنت في كل الأمور أضع عين على عوامل التقدم والتطور عندهم والأخرى علي التقهقر والتدهور الذي أصابهم في القيم والأخلاق، وأنقل كل هذا نقلاً أمنياً صادقاً، لا أتدخل في مدح هذا ولا قدح ذاك، إيماناً مني بوعي القارئ الكريم واحتراماً لعقله وثقافته.

ويجد القارئ في هذا الكتاب مقارنه بين وصف الرحالة العربي القديم " ابن فضلان" ووصف المؤلف بفارق زمني يقارب ١٠٨٠ عاماً!!

حسبي أنني نقلت للقارئ الكريم من خلال سطور هذا الكتاب تاريخ ونشأة وتطور تلك الدول وشعوبها منذ فجر التاريخ وحتى اليوم مما لا توفره للأسف الشديد المراجع العربية

ولله الحمد من قبل ومن بعد

عبد الرحمن المحمود

الفصل الأول:

الدنمارك
حديقة أوروبا وبقرتها الحلوب!!

الدنمارك بوابة أسكندنافيا علي العالم:

لا أستطيع أن أحصي عدد المرات التي زرت فيها الدنمارك، بدءاً من زيارتي الأولي لها في مطلع الثمانينات، خاصة مدينة كوبنهاغن التي ألفتها أكثر من أية مدينة ولعل أهم سبب لترددي علي مدينة كوبنهاغن هو أن هذه المدينة تعتبر بوابة دول الشمال والدول الأسكندنافية علي أوروبا والعالم والعكس، إذ أن ظروفًا كثيرة كانت تضطرني أن أتردد علي مدينة "مالمو" بجنوب السويد، وكوبنهاغن هي أسهل واقصر وسيلة لزيارة المدينة السويدية التي سيرد ذكرها في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

زرت مدينة كوبنهاغن عاصمة الدنمارك لأول مرة بالقطار وكنت قادماً من مدينة هامبورغ الألمانية، إستغرقت الرحلة حوالي ٦ ساعات بين المروج الخضر وأبقار الفرزيان والمنازل الريفية الأنيقة في كلا الجانبين: الألماني والدنماركي ثم توالت بعد ذلك زياراتي للمدينة براً وبحراً وجواً ولو كانت هناك وسيلة أخرى لإستخدمتها، يطلق أهل كوبنهاغن علي مدينتهم باللغة الدنماركية اسم "كوبنهافن" وتعني المرفأ التجاري،' وتقع علي جزيرتي "زيلاند" و "أما جر" وتنقسم إلي قسمين رئيسيين يصل بينهما الميناء الذي يُعتبر أحد أكبر موانئ أوروبا والعالم، خاصة وأن الدنمارك نشهر فيما تشتهر بصناعة السفن وهي صناعة متقدمة جداً ومتطورة ولها تصاميم مميزة منها مثلا إبتكار الدنماركيين لوسيلة أو أسلوب تم فيه تخفيض استهلاك السفن للوقود بمقدار الثلثين، أي أنه تم توفير ثلث الوقود وهو إنجاز فذ لا، يقدر قيمته سوي أصحاب السفن وربابنتها ومهندسيها.

آخر زيارة قمت بها للدنمارك كانت في هذه السنة أي منذ فترة وجيزة، ولقد لاحظت أثناء تجوالي في مطارها الأنيق تغييراً كبيراً فيه، إن مطارها يُعتبر مدينة متكاملة توفرت فيها- أو فيه- مختلف الخدمات التي يحتاجها الزائر أو العابر، توقفت مرة وأنا في طريق

عودتي من أمريكا الجنونية في مطار كوبنهاغن لمدة ليلة واحدة، وصلت المطار مرهقاً في فترة بعد الظهر وقررت عدم مغادرته إلي المدينة لعدم حصولي علي تأشيرة الدخول توجهت إلي غُرف الإستراحة، وهي غُرف علي هيئة فندق داخل المطار يستأجرها المسافر أو العابر للراحة، وتختلف عن الفندق بأن فترة إيجار هذه الغرف لمدة ٨ ساعات وليس بنظام الليلة، أي أن المسافر عليه أن يدفع في اليوم الواحد للغرفة ما يعادل ثلاثة ليال في أي فندق، ولا توجد خدمة في هذه الغرف، إلا أنه تتوفر خدمة الإستحمام والراحة.

طلبت غرفة من موظفة الإستقبال، ورغم أن الموسم السياحي في ذروته وكان في فصل الصيف، إلا أنني كنت الساكن الوحيد في نُزل المطار هذا، أخذت غفوة ثم استيقظت في التاسعة مساء، ولقد عَنَّ لي أن أتفقد الركاب وأتناول القهوة ثم أتمشي في طرقات المطار التمضية الوقت حتى اليوم التالي موعد إقلاعي مرة أخرى إلي جهتي النهائية، أخذت المصعد إلي الطابق الرئيسي للمطار، حيث أن الطابق السفلي يحتوي علي النزّلُ والحمامات وأماكن الاستحمام والحلاقة والتدليك والكثير من الخدمات مثل العيادة والطبيب المناوب التي قد يحتاجها المسافر أو العابر.

وصلت الطابق الرئيسي الذي كان يعج بالناس أثناء وصولي وجدت فيه جميع المحلات مغلقة ولا أثر لأي شخص عامل أو مسافر وقد أطفئت الأنوار، إلا من أضواء خافته لقد عجبت للأمر، وأخذت أبحث عن أي مكان أتناول فيه القهوة التي لا أستطيع الإستغناء عنها أثناء السفر ولكن لا فائدة، كل شئ وكل محل كان مغلقاً، لمحت من بعيد مكتباً للعابرين أو ما يُطلق عليه "مكتب ترانزيت" جلست خلفه سيدة بدت مشغولة ببعض الأوراق التي كانت أمامها، توجهت إليها مباشرة، سمعت وقع خطواتي فوق الرخام المصقول انتبهت لي ثم ابتسمت وقالت: أهلاً بالمقيم الوحيد في فندق المطار! قلت

لها كيف عرفتي إنني أنا المقيم الوحيد وأنا لا أعرف هذا، قالت بحكم عملي في هذا المكتب أعرف ذلك، ولكن هل من خدمة أقدمها إليك؟ قلت: إنني أعجب من أمر هذا المطار، وكان مفعماً بالحياة والحركة والناس وغداً الآن موحشاً إنني أبحث عن مقهى أتناول فيه القهوة أو مكتبة لعلني أجد جريدة أو مجلة أتسلي بها، قالت: أن المطار مغلق الآن كالعادة في مثل هذا الوقت، إننا شعب مرفه يا سيدي، إن الناس هنا تزعجهم أصوات الطائرات بالليل لذا فأنهم صوتوا لصالح توقف حركة الطيران أثناء الليل ومن ثم عدلت خطوط الطيران من مواعيدها حتى تصل وتغادر بالنهار وليس لك إلا العودة إلي غرفتك.

لقد جربت شيئاً كهذا في مطار أمستردام الدولي أو كما يسمونه "مطار شخيبول" حيث أنه تتوقف فيه حركة الطائرات ليلاً وحركة المغادرين والقادمين ولقد جربت فيه الإقامة لمدة ليلة واحدة، ولكن علي الأقل وجدت فيه مقهي واحداً كان مفتوحاً طوال الليل والعديد من المسافرين الذين إتخذوا من المقاعد أسرة نوم لهم طوال الليل إلي حين مغادرتهم إلي الجهات التي يقصدونها بينما أقمت أنا في إحدى غرف الفندق بالمطار الذي تُحتسب الإقامة فيه علي عدد الساعات وهي ٨ ساعات كما هو الحال في مطار كوبنهاغن

يتكون مطار كوبنهاغن أو مطار "كاستروب" كما يطلقون عليه، من بوابات عدة تربط بينها ممرات حيث يدخل الركاب مباشرة من الطائرة إلي تلك الممرات، في الشتاء يبدو المطار مع المدرج أبيضا ناصع البياض بفعل الثلج المنهمر ورغم البرودة الشديدة في الخارج إلا أن المطار يمتاز بتدفئة متطورة ونظراً لسعة المطار من الداخل وتباعد الممرات أو مهابط الطائرات عن بعضها وعن بوابة الدخول الرئيسية فإنهم يستخدمون عربات داخلية لنقل الركاب المسنين أو المعوقين من مكان إلي آخر وتعمل هذه العربات بواسطة "البطاريات

الكهربائية" التي يتم شحنها بين الآونة والأخرى وهي بالتالي لا تصدر ضجيجاً أو تلوثاً وتمر بيننا خلسة لا نسمع لها حسيساً وتتابعها الأعين ربما إعجاباً بها أو بسائقتها الفاتنة والتي تبادل إبسامات المتجولين بإبتسامة أعذب وأشهى وتتوفر في المطار عند كل مدخل طائرة عربات اليد لكي يريح عليها المسافرون أثقالهم التي يحملونها بأيديهم أو علي أكتافهم ومن ثم يدفعون بهذه العرباتِ أمامهم، وكثيراً ما تحمل هذه العربات إضافة إلي حقائب اليد أطفالاً ركبوها إما تعباً أو شقاوة.

وتتوفر في المطار المطاعم والمشارب والمقاهي والمحلات المختلفة التي نبيع مختلف أنواع السلع بدءاً بالهدايا التذكارية الصغيرة وانتهاء بالمجوهرات والحقائب والبذلات وربما السيارات، كما تتوفر أيضاً خدمات الصرافة والبنوك وشراء تذاكر السفر والحلاقة والمكتبات التي تبيع مختلف أنواع الكتب والمجلات والجرائد، وتصل إليها الجرائد العربية الدولية في نفس يوم صدورها نظراً لخدمة التوزيع المتطورة بين دول أوروبا هذا إضافة إلي مقهى علي شكل حديقة غناء من نباتات الظل الباسقة خلف واجهة زجاجية كبيرة تتخللها أشعة الشمس التي تضفي علي المكان دفئاً ونوراً.

كنت أتصفح أثناء طيراني من أمريكا إلى كوبنهاغن مجلة أمريكية كتبت موضوعا مُطولا عن الأسواق الحرة في بعض مطارات العالم وعقدت مقارنة بين حوالي عشرة مطارات، كان مطار دبي هو المطار العربي الوحيد في تلك المقارنة، عرضت المجلة خلال تلك المقارنة أسعار العديد من السلع كالعطور والساعات والملابس وغيرها ولقد وجدت أن مطار دبي هو أرخص هذه المطارات جميعا ومطار كوبنهاغن واحد من أغلى المطارات التي وردت في تلك المقارنة.

إجراءات الدخول إلى المدينة سهلة للغاية إذا كان الزائر يحمل معه تاشيرة دخول بيانات إستمارة الدخول سهلة ومختصرة ومكتوبة بعدة لغات منها اللغة العربية، مواطني دول، إسكندنافيا لا يحملون جوازات سفر بل تكفي البطاقة للتنقل، كما أن ضابط الجوازات يستطيع تمييزهم بواسطة شعورهم الصفراء وعيونهم الزرق بل إنهم لا يبرزون حتى بطاقاتهم، إستلام الحقائب لا يستغرق سوى دقائق.

ورغم المرات العديدة التي مررت فيها من خلال البوابة الخضراء الجمركية، إلا أنني لم أتوقف قط لرجال الجمارك ولم يطلب مني أحد أبدا أن أفتح حقائبي بل لم يحدث أن كلمني أحد منهم رغم هيئتي التي تدل على أنني أجنبي، وهناك مخرجان أحدهما أخضر لمن ليس لديه ما يصرح به والآخر أحمر وبالطبع الجميع يتجنب المرور من البوابة الحمراء.

كوبنهاغن .. أقدم عواصم أوروبا

لم يعد في مقدوري أن أحصي عدد مرات زيارتي للمدينة، لقد تجاوزت العشرات أَلِفتَها إلى درجة كبيرة، أعرف جميع مسالكها ودروبها، آخر مرة زرتها كانت في فصل الشتاء، الجليد يلف المدينة العابثة برداء أبيض فتبدو من خلاله كسيدة وقورة أو راهبة متبتلة، أخرج من مبنى المطار فأجد أمامي أنواعا شتى من وسائل المواصلات صفوف من سيارات الأجرة وهي الأغلى أجراً، المدينة تبعد عن المطار حوالي ٢٦ كيلا وهي المسافة من المطار إلى محطة القطارات التي تقع في قلب العاصمة.

هناك حافلات تابعة لشركة "ساس" وهي شركة الطيران الإسكندنافية التي تساهم فيها الدنمارك والسويد والنرويج، وتنقل هذه الحافلات القادمين إلى محطة القطار بسعر يعادل عُشر أجرة "التاكسي" إن لم يكن أقل وتغادر كل ١٠-١٥ دقيقة وهي أرخص وسيلة للإنتقال إلى قلب العاصمة وهي وسيلتي المفضلة، هناك أيضا حافلات أخرى لنقل الركاب إلى السويد أو بالأحرى إلى جنوب السويد وهذه سوف نتحدث عنها في الفصل التالي.

كوبنهاغن – أو كوبنهافن كما يُطلق عليها أهلها- هي أقدم عواصم أوروبا أسسها "بيشوب أبسالون" سنة ١١٦٧ ميلادية، بنيت فيها الحصون بدءا من القرن الثاني عشر حيث منحت حقوق المدينة في سنة ١٢٥٤، ثم أصبحت عاصمة للدنمارك في سنة ١٤٤٣ ثم بلغت أوج إزدهارها في عهد الملك "كريستيان الرابع" في الفترة من ١٥٨٨-١٦٤٨، حاصرها السويديون في الفترة من ١٥٥٨-١٥٥٩، وعقدت معاهدة بين الدنمارك والسويد سنة ١٦٦٠ سميت معاهدة كوبنهاغن، قصفتها الأساطيل الإنجليزية والسويدية والهولندية سنة ١٧٠٠ داهمتها حرائق كثيرة عامي ١٧٢٨ و١٧٩٥، عاود البريطانيون مهاجمتها حيث دمر

الأسطول الإنجليزي بقيادة الأدميرال نيلسون الأسطول الدنماركي سنة ١٨٠١ في معركة كوبنهاغن، ثم قذفوها بالقنابل سنة ١٨٠٧ وكادوا يدمروها تماما، هاجمها الألمان واحتلوها في الحرب العالمية الثانية بعد أن رفضت تسليم اسطولها رغم إعلان حيادها في الحرب تأسست جامعتها سنة ١٤٧٩. يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر حوالي مليون ونصف نسمة.

تعتبر كوبنهاغن واحدة من العواصم العالمية، التي تكثر فيها وتتنوع الجاليات، فمعظم سائقي سيارات الأجرة من الباكستانيين والأتراك كما توجد فيها جالية عربية كبيرة وجالية يهودية مؤثرة، كما توجد فيها بنوك عربية وإسلامية وشركات إسلامية وعربية كثيرة خاصة في مجال الاستثمار الغذائي، الزراعي منه والحيواني حيث تتم تربية الدواجن واللحوم التي يزعمون أنهم يذبحونها على الطريقة الإسلامية ثم يصدرونها إلى دول العالم الإسلامي!! ولقد حدثني العديد من العرب المقيمين هناك أن حكاية الذبح الإسلامي ما هي إلا تلفيق وإدعاء أن لم تكن كلها فمعظمها والله أعلم. مع العلم أن القانون الدنماركي لا يمنع الذبح على الطريقة الإسلامية كما يمنعه القانون السويدي مثلا وتلك قضية أخرى

وصف "هانز كريستان إندرسون" أديب الدنمارك الكبير مدينة كوبنهاغن بأنها "أرض طيور اللقالق" التي كانت منتشرة بكثرة في زمنه ولم يبقى منها في الوقت الحاضر سوى عدد قليل تعيش في محميات. أشهر معالمها ميدان "إما لينبورغ" الذي يقع في قلب المدينة بين تمثال حورية البحر من جهة والمركز التجاري من جهة أخرى، وتقع على هذا الميدان قصور أربعة شيدت سنة ١٧٤٩ في عهد الملك كريستان السابع الذي اتخذها مقرا للحكم في سنة ١٧٩٤ بعد أن إحترق قصره الخاص في كريستانسبرغ والذي أُعيد ترميمه وأصبح

يستعمل الآن مقراً لمجلس النواب، ويصل بين قصرين من هذه القصور ممر خاص بالملك الذي أراد أن ينتقل بينهما بحرية.

وتتخذ ملكة الدنمارك (الملكة مارغريت الثانية) إثنين من هذه القصور حاليا كمقر للحكم وإقامة الأسرة المالكة، بينما خُصص مقر آخر للإدارة الحكومية، وتزين هذه القصور تماثيل نادرة، وتتفرع عن الميدان عدة طرق وشوارع لا تستخدمها السيارات إلا نادرا.

ويتوسط الميدان بين القصور الأربعة تمثال شاهق يمثل الملك فريدريك الخامس ممتطيا صهوة حصانه صممه المثّال الدنماركي "جاك سالي" عام ١٧٧١، ويقال أنه تكلف ضعف تكلفة بناء القصور الأربعة رغم أنه يبدو ضئيلا مقارنة بها.

من ضمن المعالم السياحية التي يزخر بها الميدان وأكثرها جاذبية بالنسبة للسياح هو تغيير الحرس الملكي في الساعة الثانية عشر ظهرا، حيث يخرج الحرس من ثكناتهم الملاصقة لقصر روزنبرغ إلى وسط الميدان وهم يرتدون الزّي التقليدي الذي هو عبارة عن بناطيل زرقاء فاتحة بخطين بيض على الجانبين وسترات زرقاء داكنة يتقاطع حولها حزامان أبيضان وغطاء للرأس من فرو أشبه ما يكون بغطاء الرأس الذي يرتديه الحرس الملكي الإنجليزي، هذا في المناسبات العادية أو اليومية، أما في المناسبات الملكية الخاصة فهم يرتدون سترات حمراء تصحبهم في كل الأحوال فرقة موسيقية.

بالقرب من ميدان "إماليئبورغ" وقصوره الأربعة يوجد متحف للفن الزخرفي ومتحف آخر يسمي متحف التحرير الذي افتتح سنة ١٩٦١ ويحوي أنواعا مختلفة من الأسلحة التي استخدمتها المقاومة الدنماركية ضد جنود النازي في الحرب العالمية الثانية آخر حرب خاضتها الدنمارك.

أهم معالم كوبنهاغن...

لعل ميدان "إماليينبورغ" وقصوره الأربعة وتمثال فريدريك الخامس أشهر معالم المدينة الأثرية والسياحية، إلا أن هناك معالم أخرى ساهمت في شهرة المدينة وتميزت بها، أهمها تمثال حورية كوبنهاغن، النصف الأعلى لفتاة والنصف الأسفل عبارة عن ذيل سمكة وتجلس عروس أو حورية البحر على صخرة عند مدخل المرفأ الرئيسي وقد جدلت شعرها على شكل ضفيرة وهي تنظر جهة البحر نحو المدخل الرئيسي للمرفأ وكأنها تنتظر أميرها الغائب كما ورد في إحدى قصص الأديب الدنماركي الكبير "هانزكريستيان أندرسون" ولقد صمم التمثال النحاّت الدنماركي "إدوارد إركسون" حيث كانت زوجته هي "الموديل" الذي نحت التمثال على هيئتها العلوية فقط، ولقد استوحى قصة التمثال من إحدى قصص أندرسون كما سلف، ثم إشترت التمثال بعد ذلك مؤسسة "كارلسبرغ" عام ١٩١٢ ولقد عاشت مدام إركسن حتى سنة ١٩٦٣.

ولقد صُنع هذا التمثال المتواضع في حجمه وشكله شهرة مدوية للمدينة وبلغت أرباح إستغلاله عشرات الملايين وما زالت أرباح استغلال شهرة التمثال تتراكم في صورة مبيعات إما على شكل تماثيل صغيرة شبيهة تماما بالتمثال الأصلي أو كصور ومجسمات ومناظر وملابس وغير ذلك والدعاية الذكية تصنع من الشيء المتواضع شهرة عظيمة، فهناك تماثيل أجمل وأكبر وأكثر كلفة من هذا التمثال، إلا أنها لم تنل شهرته، ولا أعرف تمثالا آخر يعد مزارا للسياح سوى تمثال الحرية في نيويورك.

من المعالم الأخرى نافورة "جيفيون" وتقع على مقربة من تمثال حورية البحر وهي عبارة عن نافورة يتدفق ماؤها على شكل شلالات صغيرة ويتوسط النافورة تمثال لفتاة تقود عربة تجرها ثيران وقد أمسكت الفتاة بكرباج تحث به الثيران على المسير وهذا التمثال أجمل بكثير من تمثال حورية البحر، إلا أنه لا حظّ له من الشهرة مثل ما لحورية

البحر، وصمم تمثال نافورة جيفيون المثّال "أندرس بوند غارد" تقع النافورة في ساحة تسمى ساحة تشرشل وتقع قبالتها الكنيسة الإنجليزية التي لا تبعد كثيرا عن القلعة التي هي بمثابة حصن تحيط به المياه، ويُعتبر الحصن في الوقت الحاضر مقرا لرئيس الأركان وقائد الجيش الدنماركي، وتوجد بالقرب من القلعة طاحونه مروحية ضخمة يعود تاريخها إلى سنة ١٦٨٧، وهي واحدة من المعالم الرئيسية الأثرية بالمدينة.

من المعالم الأثرية الأخرى، قصر "كريستيانسبرغ" الذي كان مقراً للأسرة المالكة والذي أُحترق في القرن الثامن عشر وأصبح الآن مقراً للبرلمان الدنماركي كما أسلفنا، ويقع هذا القصر في جزيرة "سلوتشولم" التي تربطها بالمدينة عدة جسور تمتد فوق قنوات تشبه كثيرا قنوات مدينة أمستردام. ومدينة كوبنهاغن عموماً هي أقرب في الشكل الخارجي لمدينة هامبورغ الألمانية، إلا أن لديها روح مدينة أمستردام الدولية من حيث تعدد الجاليات وتنوعها التي تعيش في المدينة، فهي واحدة من العواصم العالمية التي انصهرت فيها مختلف الثقافات والأجناس والعادات.

بُنى قصر "كريستيانسبرغ) في موقع كان لقلعة قديمة تهدمت، ودمره حريق في سنة ١٧٩٤ وأعيُد بناؤه مرة أخرى، إلا أنه دُمّر في حريق آخر سنة ١٨٨٥، وأعُيد ترميمه للمرة الثالثة في الفترة من ١٩٠٧-١٩٢٨ وهو الترميم الأخير.

لا غرو أن تكثر القصور في مدينة كوبنهاغن فقد كانت عاصمة الدول الإسكندنافية الثلاث الدنمارك والسويد والنرويج، إضافة إلى القصور والمعالم الأثرية السابق ذكرها هناك قصر "فولكتنغ" ويضم حاليا المحكمة العليا ووزارة الخارجية، وتقام فيه عادة الحفلات الملكية، كما أنه يفتح للزوار أيام الخميس والجمعة والسبت والأحد من العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء، من أول إبريل حتى نهاية أكتوبر، وبإمكان الزوار والسياح زيارة حجرات الإستقبال الملكية بالقصر في تلك الفترة.

ويضم القصر أيضا متحفا يسمى "متحف المسرح" الذي يحتوي على ما يقارب ٢٠٠٠ آلة موسيقية ومجموعات نادرة من اللوحات الزيتية والرسومات التي تصور تاريخ المسرح والأوبرا والبالية خلال ٢٧٥ سنة الماضية. ولقد كان المتحف فيما مضى مسرحاً أسسه الملك "كريستيان الرابع" أما المسرح الملكي الحالي فيقع بالقرب من قصر "كريستيانسبرغ" المشئوم الذي يتوسط مدخله تمثال للملك "فريدريك السابع" الذي كانت زوجته الثالثة والأخيرة راقصة بالية.!

من المباني الأثرية الجميلة مبنى البورصة والأوراق المالية الذي يقع على مقربة من قصر كريستيانسبرغ، شُيد هذا المبنى في الفترة من ١٦١٩-١٦٤٠ وهو أحد أقدم مباني البورصة في العالم، كما تتم فيه حالياعمليات تجارية هائلة يوميا نظرا للإستثمارات التجارية الضخمة التي تتم في البلاد. والمبنى عبارة عن تحفة معمارية يضاء في المساء بأنوار باهرة جذابة ويمكن التعرف عليه نهارا من خلال قُبته العالية وواجهته الرخامية المزينة بالتماثيل.

أهم ميادين كوبنهاغن بعد ميدان "إماليينبورغ" هو ميدان "رود هوس بلادسن" أو "سيتي هول إسكوير"، وهو عبارة عن ساحة واسعة يُطلق عليها أهالي المدينة اسم "بيكاديلي كوبنهاغن" إذ أنها تشبه ميدان البيكاديلي الشهير بالعاصمة البريطانية لندن، إلا أن ساحة كوبنهاغن عبارة عن مربع واسع مرصوف بالبلاط، ويطل على هذه الساحة الواسعة واحد من أهم مباني المدينة وهو مبني البلدية أو قاعة المدينة، أو كما يسمي باللغات الأجنبية "سيتي هول". وقاعة المدينة هذه تكاد لا تخلو منها مدينة أوربية، سواء كانت عاصمة أو مدينة كبرى وتخصص لإقامة الحفلات والمناسبات الوطنية، كما تُقام فيها المعارض والأنشطة الثقافية والفنية المختلفة، ولم أجد شبيها لفكرة "سيتي هول" هذه سوى المجمع الثقافي ذلك الصرح العلمي والثقافي الشامخ في مدينة أبوظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة الفاتنة بمبانيها الرائعة وميادينها الجميلة وشوارعها المنظمة

هذه الدولة التي اختصرت في حقبة واحدة، إنجازات الآخرين المعمارية في مئات السنين ولن يتضح إعجاز ما تم إلا بعد مرور مائة عام على الأقل ليفتخر الأحفاد بما صنع الأجداد أي بناة دولة الإمارات العربية ومدنها وقراها في العصر الحاضر، عاصمة عربية أخرى وجدت فيها مثل هذا الإنجاز وهي مدينة الرياض التي تعد بحق مفخرة وإعجازاً معمارياً سيبقى خالدا على مر الزمن.

عودة إلى مبنى البلدية بالدنمارك، لقد تم تشييده من الطوب الأحمر، وانتهى بناؤه عام ١٩٠٥. وعادة ما يحتوي مبنى البلدية في أية مدينة على مطعم، يعتبر من أفخر وأغلى مطاعم المدينة ولا يرتاده سوى علية القوم وأصحاب التقاليد البروتوكولية "الأتيكيت" يحتوي المبنى في جانب منه على متحف تـُعرض فيه واحدة من إبداعات الدنماركيين وهي ساعة ضخمة صنعها "جينزأولسن" واقتضت منه حياته كلها لإنجاز صنعها وتحتوي على مواضع النجوم ودوران القمر وخسوفه لمدة ٣٠٠٠ سنة قادمة! وهي من الدقة بدرجة أنها تتأخر ٤ ثوان فقط كل ٣٠٠ سنة!.

ويتكون المبنى من برج عالي طُليت قمته باللون الأخضر ويرتفع إلى علو ٣٤٦ قدما يصعد إليه الزائرون لرؤية المدينة من ذلك الإرتفاع الشاهق، كما يتكون المبنى أيضا من أربعة أبراج صغيرة عند زواياه.

كما ينتصب تمثال للكاتب "هانز كريستيان أندرسون" نحته هنري نيلسون عام ١٩٦١ وتمثال لدب قطبي. هذا إضافة إلى الكثير من المقاهي والمتاحف والمسارح وغيرها.

تيفولي... عروس حدائق العالم!

تعتبر الدنمارك بأسرها حدائق وحقول ومراعي، أو ليست هي أشهر دولة مصدرة للأجبان والألبان واللحوم والدواجن؟ فرغم صغر مساحة البلد نسبة إلى غيرها من دول أوروبا، إلا أنها تخصصت في هذا النوع من الإنتاج، ربما طبيعة الأرض المنبسطة ساعدتها في ذلك، إلا أن مدينة كوبنهاغن العجوز لا تخلو من حدائق ومتنزهات أهمها حديقة الحيوان التي تعتبر واحدة من أقدم حدائق الحيوانات في العالم، إذ أنها تأسست منذ ١٣٥ سنة مضت تقريبا، وتحتوي على أكثر من ٢٥٠٠ نوع من أنواع الحيوانات، وهي تفتح أبوابها للزوار من التاسعة صباحا وحتى الرابعة مساءا، وللوصول إليها من مركز المدينة أي من محطة القطارات يتم بواسطة الحافلات العامة ٢٧، ٢٨، ٢٩ التي تتوقف تماما أمام مدخل الحديقة.

أما أشهر حدائق الدنمارك وربما العالم فهي حديقة أو مجموعة حدائق "تيفولي" التي تقع في قلب المدينة تماما، مدخلها الرئيسي على شارع "فيستربروغادة" أشهر شوارع العاصمة وأكبرها، وعلى الجانب الأيمن يقع المبنى الرئيسي لمحطة قطارات كوبنهاغن الدولة وعلى الجانب الأيسر مبنى البلدية أو "تاون هول سكوير"، أنشئت هذه الحدائق على أطلال سور كان يحيط بالمدينة في العصور الوسطى، وصممها "جورج كارستينسن" سنة ١٨٤٣ وهو ابن أحد الدبلوماسيين الدنماركيين ولد بالجزائر، وما زال بعض سكان العاصمة يطلقون عليها "حدائق كارستينسن" على اسم مؤسسها، ويقال أن الملك "كريستيان الثالث" وافق على إنشاء تيفولي لأنه يؤمن بأنه: "عندما يقضي الشعب أوقاته في اللهو، لا يجد متسعا من الوقت للتفكير في السياسة"!!.

واللهو يشمل أشياء كثيرة كالمسرح عند الدول الشيوعية والمخدرات عند الحكومات الديكتاتورية والغيبيات والألعاب الرياضية عند غيرها.

إفتتحت حدائق تيفولي رسميا في الخامس عشر من آغسطس عام ١٨٤٣، أي أنه مرت ١٥٠ سنة على افتتاحها، وبلغ عدد زوارها في أول يوم ٣٦١٥ زائر، وفي اليوم التالي عشرة آلاف، بينما بلغ عدد زوارها سنة ١٩٩٢ أربعة ملايين و١٠٠ ألف زائر، ٤٠٪ منهم من الزوار الأجانب، ولقد لاحظت خلال السنين الأخيرة إزدياد عدد الزوار اليابانيين بصورة ملحوظة، والسائح منهم يحمل اكثر من آلة تصوير على كتفه وحول رقبته، ولقد سمعت أحد ظرفاء الدناركيين يناديهم بالسياح الالكترونيين نسبة إلى الأجهزة الألكترونية التي يحملونها معهم. ولقد بلغ عدد زوار "تيفولي" منذ إنشائها حتى الآن أكثر من ٢٧٢ مليون شخص!!!

يبلغ عدد الزهور في الحديقة حوالي ٤٠٠ ألف زهرة، يتم إنفاق حوالي ٥٤٧ ألف دولار سنويا على الإعتناء بها واستبدال الذابل منها بأخرى جديدة،ويبلغ عدد أشجارها ٨٦٠ شجرة، ويُضاء فيها ١١٠٧١٨ سراج كهربائي ويبلغ عدد الموظفين العاملين فيها ٢٠٠ موظف بدوام كامل، بينما يتم التـُعاقد مع ٢٦٠٠ موظف أثناء موسم الزيارات، ويملك أصحاب المصانع ٤٤٪ من أسهمها، ويملك أحد المصارف ٨٪ والباقي يملكها عدد من الأشخاص، وبلغت أرباحها حوالي ٤.٦ مليون دولار في موسم ٩١/١٩٩٢م.

زارها العديد من مشاهير العالم، كما زارها "والت ديزني" خلال فترة الخمسينات وأوحت له زيارته تلك بعدة أفكار ساعدته في تشييد مدينة ألعاب وملاهي "والت ديزني" في الولايات المتحدة، وبهذا الخصوص يقول المشرفون على الحديقة: "لقد حاول الكثير تقليد تيفولي في دولهم ولكنهم فشلوا، حتى مدينة ملاهي والت ديزني لم تستطع مجاراة

تيفولي" وحتى لو كان قولهم صحيحاً فهذا لا يعني ألا يُقلد أحد هذه الحدائق، بل ربما تفوقوا عليها من حيث استخدام الأجواء الأسطورية التي تزخر بها البلدان الأخرى خاصة دول الشرق بواسطة التكنولوجيا الحديثة، فكثير من الأساطير المجسمة في تيفولي هي من أساطير الشرق وخاصة قصص السندباد وألف ليلة وليلة، وليت أن رجال السياحة العرب زاروا هذه الحدائق وقاموا بتصويرها سينمائيا ومن ثم عادوا إلى بلدانهم وعرضوا تلك المشاهد على الفنانين والروائيين والمؤرخين وغيرهم ومن ثم جمعوا ما يستقر عليه هؤلاء من أفكار وعرضوها مرة أخرى على المعماريين، لصنعوا شيئا ربما يفوق ما في تيفولي وحصدوا الملايين، فإن الكبار قبل الصغار في الأقطار العربية يفتقدون شيئاكهذا، ولكن لماذا لا تتفقد هذه الحدائق الرائعة وأقصد بها تيفولي إذ أننا لم ندخلها بعد.

رغم كل ما تقدم من حديث عن تيفولي فإن هذه الحدائق لا تفتح أبوابها للزائرين سوى في الفترة من نهاية إبريل حتى منتصف سبتمبر من كل عام أي في موسم الصيف الذي هو ذروة الموسم السياحي في الدنمارك أي لمدة أربعة أشهر ونصف فقط في العام الواحد، وتبدأ العمل من الساعة العاشرة صباحا وحتى منتصف الليل، وأسعار الدخول تبدأ من ٣٠ كرونه دنماركية أي ما يعادل ٥ دولارات، و١٥كرونه أي دولارين ونصف للذين هم أقل من ١٢ سنة وللأطفال أقل من ٤ سنوات مجانا.

هناك عدة مداخل للحديقة، إلا أن المدخل الرئيسي الذي يقع على شارع "فيستر بروغادة" هو أفضل المداخل نظراً لوجود المكتب السياحي حيث تتوفر خرائط الحدائق وأشهر معالمها والإستعراضات ومواعيدها وجميع البيانات الأخرى وهي مجانية، يسير على هداها الزائر داخل الحدائق ويتابع برامج الاستعراضات منها ما هو في الهواء الطلق كألعاب الأكروبات أو الألعاب البهلوانية، وأجمل الأيام هو يوم الإفتتاح في الأول من مايو

أو نهاية إبريل من كل عام، حيث يفد إليها الزائرون من كل مكان ليس فقط في الدنمارك بل من كل مكان في العالم، حيث يتم وضع برامج سياحية خصيصاً لزيارة الحدائق عند المدخل، وعلى جهة اليسار يوجد مسرح مفتوح في الهواء الطلق والمتفرجون يتابعون العروض وهم وقوف.

ثم بعد ذلك حلبة للسيرك والألعاب البهلوانية، منها ما يتم على أعمدة سامقة تمتد إلى أعلى حيث يمارس أربعة من اللاعبين عبارة عن فتاتين وشابين حركات بهلوانية ويتبادلون مواقعهم فوق قمة تلك الأعمدة المتأرجحة التي تشبه أعمدة النور في الشارع ويتابعها المتفرج وهو جالس ووجهه إلى السماء حيث أن العرض يتم فوق قمة رأسه، ولو حدث أي خطأ من أحد اللاعبين وسقط فإنه حتما سوف يسقط على رؤوس المتفرجين.

وهناك الكثير من البرامج الخطرة حيث يفد إلى الحدائق كل عام فرق من مختلف بلدان العالم تعرض برامجها. كما يوجد لتيفولي فرقة موسيقية خاصة تشبه إلى حد بعيد فرقة الشرف الملكية أو الحرس الملكي الذي يستبدل عند الظهر تماما في ميدان "إماليينبورغ" وترتدي نفس الزي، هناك الكثير من وسائل التسلية والفنون، ولعل أحسن المطاعم في مدينة كوبنهاغن كلها هي مطاعم تيفولي التي تلبي كافة الأذواق وربما أفضلها المطعم الشرقي الذي يقدم لحم الضأن مشويا على الفحم حيث يختار الزبون ما يشتهيه، بل أن الطهاة في هذا المطعم من العرب.

وأجمل هذه المطاعم هو مطعم الشرفة الجميلة المشهور عالميا ويستقطب الكثير من الزوار، ولقد اعتادت الملكة وعائلتها التردد عليه لتناول طعام الغداء وهو يقدم كافة أنواع الطعام من بلدان العالم المختلفة، ويتكون هذا المطعم من عدة غرف مفتوحة على بعضها البعض وتطل على بحيرة الحدائق، أما في المساء فيتحول هذا المطعم إلى مكان شاعري

حـالم يتنـاول فيـه العشـاق وجلـهم مـن الأجانـب الـذين يقضـون شـهر عسـلهم علـى أضـواء الشموع حيث تزين موائدهم الورود والأزهار.

تيفولي ليست مجرد مدينة ملاهي بل هي مُلتقى رجال الأعمال الذين يتنـاولون فيهـا طعـام الغـداء وربمـا يعقـدون فيهـا أثنـاء الغـداء الصـفقات في جـو مـرح، ويلـهوفيها الأطفـال ويتبادل العشاق الهمسات تحت أشجارها الوارفة، تيفـولي مديـنة ترى فيهـا أجناسـا عـدة وألوانا مختلفة من البشر.

كوبنهاغن مدينة الأساطير والمرح والمجون!!

إستمدت الدنمارك أساطيرها من تاريخها المبهم الغامض وغزوات الفيكنغ وحروبهم حتى تحولت هذه الأساطير إلى حكايات وقصص تجسد بعضها في تلك المجسمات في حدائق تيفولي والبعض الآخر تحول إلى مسرحيات نشاهدها وقد لا نفهم منها شيئا اللهم تلك الازياء التي يرتديها الممثلون والتي تمت إلى عصور ماضيه ولعل أشهر أساطيرهم تلك التي خلدها شكسبير في مسرحيته الخالدة "هاملت" فما قصة هاملت؟

يعد أغلب النقاد مسرحية "هاملت" كأعظم مسرحيات شكسبير على الإطلاق التى إجتاز بها عتبة المرحلة التراجيدية الهامة في حياته المسرحية، أما أصل المسرحية فيعود إلى الأصول الجرمانية الأولى، ولقد سجلها لأول مرة المؤرخ الدنماركي "ساكسوغراماتيكوس" في القرن الثاني عشر، وتدور القصة حول الأمير"آمليت" الذي ينتقم لأبيه الملك المقتول من عمه القاتل الذي تزوج أمه وتبوأ عرش أبيه.

ولقد إقتبس القصة الكاتب المسرحي "توماس كيد" الذي حولها إلى رواية دموية، ثم جاء شكسبير وحول الرواية إلى مسرحية عالمية سنة ١٦٠١، ولقد اعتمد شكسبير في صياغته للمسرحية على مشاهد العنف التقليدية السائدة في عصره والأجواء الغامضة المثيرة، إلا أن ذروة الإبداع في صياغة هذه المسرحية تجلت في نقله للدراما والحركة من الأجواء المحيطة إلى داخل نفسية البطل هاملت حيث تجري أحداث الرواية الأصلية ويكمن مغزاها، وجعل من بطل الرواية أو المسرحية الأمير الحائر رمزا خالدا للإنسان الذي يواجه ألغاز الكون المحيرة، مثل الموت والحياة، الخطأ والصواب، الحق والباطل فيقف أمامها عاجزا.

والمسرحية تزخر بالحكم البليغة التي أضفى عليها مؤلفها العبقري الكثير من شاعريته الفياضة. هذه قصة واحدة فقط من أساطيرهم وإن كانت أشهرها على الإطلاق حيث اكتسبت شهرتها من شهرة شكسبير الذي خلدها في واحدة من أعظم مسرحياته.

أما المرح في الدنمارك فحدث عنه ولا حرج، هناك إختلافا كبيرا بينهم وبين جيرانهم الإسكندنافيين السويديين والنرويجيين، فهؤلاء يتمتعون بدم ثقيل بارد كطقسهم بالنسبة إلى الدنماركيين الذين تميزهم روح الدعابة والمرح إضافة إلى لغتهم ذات الوقع المحبب على السمع.

كوبنهاغن مدينة لا تنام، يجد المرء فيها مشارب ومطاعم مفتوحة في أي وقت من ليل أو نهار، أما في فصل الصيف فيزداد الصخب والضجيج بازدياد السواح والزوار، ولأنها مدينة عالمية، فلا مكان للعنصرية البغيضة بينهم، ليس أسهل من التعرف على الدنماركيين سواء في الطريق أو في الحدائق أو المطاعم، فقط حدثهم عن مباهج الحياة تكسب ودهم ومعرفتهم وتجنب الحديث عن المآسي والآلام والأحزان، فإنهم قد خرجوا من بيوتهم لنسيان شيء منها أو للبحث عن المتعة والمرح، يجيدون الإصغاء إلى الدعابة والنكتة ويتجاوبون معها وتأسرهم، فيتحول الغريب الذي كان يتوجس الحديث اليك في البداية إلى صديق يتجاذب معك أطراف الحديث، شيء واحد يثير حفيظتهم أولا يلقي إحتراماً لديهم هو أن يكون المرء لاجئا عندهم في بلدهم ومن ثم يثيرا المشاكل، حاول في البداية أن تبرهن أنك سائح أو زائر فتكسب ثقتهم، كانوا أكثر ودا في السنين الخوالي ولكن نظرا لتكالب المهاجرين على اللجوء إلى بلدهم إضافة إلى المشاكل الإقتصادية التي بدأوا يعانون منها جعلت الكثير منها يفقد روح الترحاب بالغريب.

معرفة المدينة تبدأ عند محطة القطارات الرئيسية في العاصمة، إنها محطة دولية تفد إليها القطارات من سائر دول أوروبا ومن هناك تبدأ معرفة العاصمة، فنادقها وأسعارها بدءا بالفنادق الفخمة التي تقع على بعد أمتار قليلة وإنتهاء بالفنادق المتواضعة أو بيوت الشباب مقر إقامتي المفضلة التي لا تبعد كثيرا عن المحطة، في المحطة تستطيع أن تسأل عن

أي شيء، ستجد جواباً لكل سؤال، إما من مكتب السياحة الذي يزودك بكل ما يتوفر من مطبوعات مجانية عن البلد، أو من مكتب حجز الفنادق الذي يوفر لك خصما معقولا، أو تستطيع شراء بطاقة كوبنهاغن التي توفر ما قيمته ٢٥-٥٠٪ من تكاليف المواصلات ودخول المتاحف والذهاب إلى السويد بواسطة الحافلات البحرية السريعة وأشياء أخرى يشرحها لك موظف الإستعلامات دون كلل أو ملل.

أما أكثر الأماكن جذباً للسياح بعد تيفولي فهو شارع المشاة أو شارع "فريد ريكس بيرغاد" الذي يقع على مقربة من مبنى البلدية أو "سيتي هول" وهو شارع مخصص للمشاه فقط وتقع على جانبيه أهم المحلات التجارية والمطاعم والمقاهي، ويرتاده – ربما- نصف المتسوقون أو أكثر في المدينة، وتشاهد في هذا الشارع مختلف الغرائب التي تحفل بها كوبنهاغن، فرق موسيقية من الهواة تعزف ألحانها كوسيلة مهذبة للتسول وأغلب هذه الفرق من الزائرين أو الشباب المسافرين الذين يجوبون عواصم أوروبا منهم من الغجر ومن أمريكا اللاتينية وأوربا الشرقية بل حتى الموسيقى العربية بالعود والدفوف تسمع ألحانها الشجية في هذا الشارع يعزفها هواة من المغرب أو الجزائر، هواة يمارسون ألعابهم، ممثلين فكاهيين وهزليين، تمثيلة صامتة ولكنها معبرة يقدمها شخص واحد بأدوار مختلفة الشارع عبارة عن مسرح أو مجموعة مسارح للعابرين والمتسكعين، ينتهي هذا الشارع حيث يمتد إلى شارع "أوسترغاد" المغلق أمام السيارات وينتهي بساحة "كونجن نيتروف" وهي عبارة عن ميدان تتوسطه حديقة عامة يرتادها المشاة ويستريح على مقاعدها كبار السن.

التسوق في المدينة هو متعة لغيري، أما أنا فأكتفي بتأمل المعروضات والسلع التي عرضت بطريقة جذابة فيها الكثير من الذوق الرفيع خلف الواجهات الزجاجية، الأسعار أغلى بكثير من الدول العربية نظرا للضرائب المرتفعة، أهم السلع هي المصنوعات الجلدية

والفراء الذي اشتهرت به الدول الإسكندنافية والدنمارك على وجه الخصوص، تأملت معطفا رائعا من الفراء وفركت عيني عدة مرات لأتأكد من السعر المعلق عليه فوجدته يفوق الخمسين ألف كرونة!! إن هذا المبلغ يوفر لي مسكنا آوي إليه كبقية خلق الله، وما زلت عاجزا عن توفيره وأقصى ما استطعت أوفره هو حقيبة سفر هي بمثابة منزلي المتنقل!

من أهم المعروضات الأخرى، المجوهرات والذهب، والعيار المتداول عندهم هو عيار ١٤ وليس هناك أعلى من هذا مثل ١٨ أو ٢١ أو ٢٢ أو ٢٣ كما هو في الدول العربية، سألت لماذا؟ فلم أجد جوابا إنهم لا يعرفون لماذا على وجه الدقة.

في نهاية شارع المشاة وبعد الميدان يقع أشهر أحياء العاصمة أو الجزء القديم منها وهو حي البحارة حيث المرفأ القديم الذي هو عبارة عن قناة ضيقة إمتدت حتى الداخل واصطفت في هذه القناة السفن الشراعية القديمة واليخوت ويطلق على هذا الحي اسم "نيهافن" تتوسطه مرساة ضخمة يقع في منتصفها النصب التذكاري للبحارة الدنماركيين الذين قضوا نحبهم في الحرب العالمية الثانية. ولقد أطلقوا على كل شارع ومنزل بالحي اسم أحد البحارة المفقودين في الحرب ويرتاد هذا الحي عادة البحارة وصعاليك الموسيقيين والرساميين والفنانين، وتكثر فيه الحانات والمقاهي ويكثر رواده في فصل الصيف خاصة من الطلبة والزوار والسويديين الذين يفدون على المدينة من مدينة مالمو التي تبعد حوالي ٤٠ دقيقة بواسطة الحافلات البحرية السريعة والتي يقع مرفأها عند مدخل قناة الحي على بعد خطوات.

من مظاهر المرح الأخرى، الإحتفالات التي ينظمها طلبة المدارس بمناسبة إنتهاء العام الدراسي، حيث يرتدون الملابس البيضاء ويعتمرون القبعات البيضاء التي تشبه

قبعات البحارة وينطلقون أما سيرا على الأقدام أو بالسيارات المزدانة بالأعلام عبر شوارع المدينة يرتادون الحانات والمقاهي والمطاعم، ثم يتجهون بعد ذلك إلى شارع كريستيان الخامس حيث يتجمعون في مقهي شهير مواجهة لفندق إنجلترا أقدم وأشهر فنادق العاصمة الذي ينزل فيه عادة السفراء القادمون لتقديم أوراق إعتمادهم قبل أن يتم إستقبالهم الرسمي في القصر الملكي.

يبلغ المرح عندهم ذروته في الإحتفالات بالكرنفال السنوي، حيث يصبغون وجوههم ويرتدون ملابس مضحكة وغريبة، وينطلقون في الشوارع أغلبهم من الشباب أو المراهقين يرقصون ويغنون إلى أن يهوى بهم السكر والتعب على الأرصفة وفي الطرقات.

أما أكثر أيامهم مرحا وإحتفالات فكانت في سنة ١٩٨٦ عندما وصل منتخب الدنمارك الوطني لكرة القدم إلى نهائيات بطولة العالم لأول مرة، لقد جُن الشعب الدنماركي وارتدى أفراده أزياء العلم وهي باللونين الأحمر والأبيض وأخذوا يرددون أغنية إشتهرت عالميا تقول في مطلعها، نحن الحمر نحن البيض، نحن الدناركيين ديناميت! علامة أو تعبيرا عن اكتساحهم للفرق الرياضية الأخرى، وبلغ بهم الحماس أن طلوا وجوههم بألوان العلم الدنماركي الذي يطلقون عليه اسم "د ينبورغ" فبدت وجوهم أعلاما باسمة أو ضاحكة.

هذا بشأن المرح، أما المجون فقد بلغ لديهم ذروته، فهم أكثر شعوب أسكندنافيا تهتكاً وخلاعة، إنتشرت في طرقات عاصمتهم مواخير الفساد والدعارة، وهي الدولة الوحيدة من دول الشمال التي تبيح رسميا ممارسة. الدعارة والإعلان عنها وليس هناك أسهل من ممارسة الجنس بينهم، حتى وصل داء "الأيدز" عندهم إلى أعلى معدلاته نسبة إلى باقي دول أوروبا، فأصبح الرجل فيهم لا يثق في زوجته والمرأة لا تثق في زوجها!!

بل إن من المآسي التي سمعت بها أثناء إقامتي قصة ذلك المتشرد الذي يتكسب بواسطة العزف على آلة موسيقية في شارع المشاة، وهو أحد المهاجرين المقيمين في مدينة كوبنهاغن وقد إكتشف داء الإيدز عنده وأعترف بأنه مارس الجنس مع العشرات من النساء الدنماركيات كن يلجأن إليه بعد تسكعهن واحتسائهن الخمر كما ذكر، وأعلن في وسائل الاعلام عن ضرورة إجراء فحص دم لكل سيدة مارست الجنس مع هذا الرجل للتأكد من خلو دمائهن من فيروس المرض، وتقدمت أكثر من أربعين فتاة وسيدة هذا بخلاف اللاتي أحجمن عن إجراء الفحص إما خشية الصدمة من إكتشاف الفيروس، أو لأنهن مصابات به فعلاً، هذه هي نتيجة الإباحية وممارسة الجنس في الطرقات.

المرأة الدنماركية هي أكثر نساء أسكندنافيا وربما أوروبا، إباحية وخلاعة، لقد خصصت الحكومة الدنماركية شاطئا بأسره للعراة ليمارسوا فيه هوايتهم الغريبة هم وأطفالهم، كما ذكرلي أحد المهاجرين العرب هناك، بيد أن رواد ذلك الشاطئ إعترضوا على صغر المساحة وطالبوا بتمديدها. وهذا لا نظير له في سائر دول إسكندنافيا التي إشتهرت فيما إشتهرت به سابقا بالإباحية والتحلل، بل إن أحد الموظفين الحكوميين الدنماركيين ذكر لي بأن الدنمارك هي الدولة الإسكندنافية الوحيدة التي لا زال قانونا لها صدر أثناء فترة الثورة الجنسية بحرية ممارسة الموظفين والموظفات الجنس أثناء فترة الدوام الرسمي لمدة محددة على ألا تطول هذه المدة، وكان هذا مسموحا به -كما يقول- في الدول الإسكندنافية الأخرى، إلا أنه مُنع أخيرا لسوء استخدام هذه الرخصة!!!

تجد المراهقين والمرهقات في الشوارع والطرقات حتى ساعات الفجر الأولى من اليوم التالي،ضياع إجتماعي وتفكك أسري بسبب حرية المعتقد وحرية التصرف.

الدنمارك الدولة والتاريخ والثقافة...

تبلغ مساحة الدنمارك ٤٣٠٧٠ كم٢ وعدد سكانها حوالي ٥١٣٠٠٠٠ نسمة، أرضها منبسطة يبلغ متوسط إرتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي ٣٥ متر وهي بذا تُعتبر واحدة من أكثر دول أوربا إنبساط وهي عبارة عن مملكة، الملكة مارغريت الثانية تملك ولا تحكم، ورثت الملك عن والدها فردريك التاسع، ولدت في السادس عشر من أبريل سنة ١٩٤٠ بعد أسبوع من إجتياح النازي للدنمارك.

كان عمرها ثلاثة عشر سنة عندما أصبحت ولية للعهد، درست القانون الوطني والقانون الدولي في الجامعات الدنماركية والأجنبية، وأدت الخدمة العسكرية الإلزامية تتمتع بشعبية وإحترام كبيرين بين أفراد شعبها، على درجة عالية من التعليم والثقافة ترجمت العديد من الكتب الأجنبية إلى اللغة الدنماركية وبالمشاركة مع زوجها أحيانا الأمير هينرك، ولديها ولدان وتشارك العائلة الحاكمة في المناسبات الوطنية.

يدير دفة الحكم مجلس وزراء ينتخب رئيسه من قبل البرلمان "فولكتنغ" الذي يتكون من ١٧٩ عضو منهم إثنان من جزيرة "غرينلاند" وإثنان من جزر "فيرو".

الدنمارك عبارة عن شبه جزيرة في معظمها تسمى "جوتلاند" ومجموعة جزر هي جزر زيلاند وفين وفالستر ولولاند وغيرها، أما شعبها فهو من الشعوب الإسكندنافية ما عدا أقلية ألمانية تقطن الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة القريب من ألمانيا، والديانة الرسمية هي اللوثرية كسائر دول إسكندنافيا والحرية الدينية مكفولة للجميع وإن كان الشعب في معظمه لا يقيم وزنا للدين.

تمتلك الدنمارك أسطول تجاري ضخم ولديها صناعة سمكية متقدمة جدا، أهم صادراتها منتجات الألبان واللحوم والأسماك والآلات، يصنعون السفن بتكنولوجيا متفوقة ولكنهم لا يصنعون السيارات إذ يقولون أنهم تركوا صناعة السيارات لجيرانهم

السويديين الذين برعوا فيها، ويروي عن ملكتهم في هذا الصدد قولها: "السويديون يصنعون الآلات ومختلف السلع ولكننا نحن نبيع لهم، إننا متفوقون جدا في التسويق". وقولها صحيح إذ أن السويديين لديهم براعة فائقة في التصنيع إلى درجة أن المصنوعات السويدية من أجود المصنوعات في العالم وأكثرها كفاءة، ولكن السويدي يفتقد القدرة على التسويق أو الإقناع بجودة بضاعته.

تصدر الدنمارك أيضا الأثاث الذي برعت في تصميمه وتصنيعه والمنتجات البترولية وهي سوق كبير للاستثمار في هذا المجال، والكويت من أكبر الدول البترولية التي استثمرت عائداتها في مجال المشتقات البترولية في الدنمارك خاصة محطات توزيع البترول، وعلى ذكر البترول فإن أسعار السيارات هي من أغلى الأسعار في العالم.

الدنمارك كسائر دول إسكندنافيا، لا يُعرف الكثير عن تاريخها القديم قبل عصر "الفيكنغ"، سكنت الدنمارك قديما قبائل الدانز التي لعبت دورا هاما في غزوات الفيكنغ أو النورس لأوروبا الغربية، وقديما لم يكن هناك التقسيم الجغرافي السياسي المعروف حالياً وهو مملكة السويد ومملكة النرويج ومملكة الدنمارك، وإنما أقاليم ثلاثة كان يسكنها شعب الفيكنغ.

أما فيما يعرف بالسويد حاليا، فقد غزا سكانها من الفيكنغ شرق أوروبا وعبروا البلطيق حتى وصلوا إلى البحر الأسود، والذين سكنوا ما يعرف باسم النرويج اليوم فقد غزوا إنجلترا وإيرلندا والجزر القريبة منها والجزر الشمالية في المحيط الأطلسي، بينما إتجه الدانيون أو الفيكنغ من سكان الدنمارك حالياً إلى الجنوب والغرب وهددوا شواطئ الإمبراطورية الكارولنجية في ألمانيا وفرنسا إضافة إلى انجلترا وإيرلندا القريبة منهم، ولقد عانت إنجلترا الكثير من غارات الفيكنغ الدانيين وأشاعوا فيها الكثير من الدمار والفوضى

والتخريب، ولم ينقذ بقية إنجلترا من خطر الدانيين وتوسعهم سوى مقاومة الملك "الفرد" ملك وسكس والملقب بالعظيم الذي دخل معهم في تسعة معارك حربية خلال السنة الأولى من حكمه، وأنزل بهم هزيمة ساحقة عند "أدنجتون" سنة ٨٧٨ بعد هدنة قصيرة، إلا أنهم لم يتوقفوا عن الغزو ونقضوا الهدنة مرات عدة. ولقد حاول القديس "ويلبرورد" تنصير الدانيين، ولكنهم تنصروا على يد القديس "إنسجار" وكان الملك "هارولد بلوتوث" هو أول ملوك الدنمارك المسيحيين بعد الوثنية.

منذ ١٠١٨م وحتى ١٠٣٥م إتحدت الدنمارك والنرويج والأجزاء الجنوبية من السويد التي تضم سكونا وهالاند وبليكنج تحت حكم الملك "كانوت" الذي ضم إنجلترا إلى ملكه تعرضت الدنمارك للأضطرابات والحروب الأهلية بعد وفاة الملك "كانوت"، ثم إستعادت قوتها في عهد الملك "فالديمار الأول" في الفترة من ١١٥٧-١١٨٢ و"فالديمار الثاني" في الفترة من ١٢٠٢-١٢٤١ اللذان نشرا سيادة الدنمارك على الشمال.

وبلغت الدنمارك أوج إزدهارها وقوتها في عهد الملك "فالديمار الرابع" في الفترة من ١٣٤٠-١٣٧٥ ولكنه اضطر للرضوخ للحلف الهانسي في معاهدة "سترالسوند "سنة ١٣٧٠ ثم توحدت تيجان الدول الاسكندنافية الثلاثة السويد والنرويج والدنمارك تحت حكم الملكة "مارغريت" ابنة الملك "فالديمار الرابع" سنة ١٣٩٧، ولكن سرعان ما تخلصت السويد من حكم الدنمارك الفعلي، وإنحل اتحادها مع ملكة الدنمارك باعتلاء الملك "غوستاف" الأول عرش السويد سنة ١٥٢٣، واستمر إتحادها مع النرويج حتى سنة ١٨١٤ وانفصلت الأجزاء الجنوبية من السويد عن حكم الدنمارك سنة ١٦٥٨ فيما عدا فترات قصيرة، وفي سنة ١٤٤٨ إعتلى "كريستيان الأول" عرش الدنمارك وهو أول من حكم الدنمارك من أسرة "أولدنبورغ" التي تنحدر منها الأسرة الحاكمة الحالية، وفي عهد كريستيان الثالث أستقرت حركة

الإصلاح الديني البروتستانتي في الفترة من ١٥٣٤-١٥٥٩ وازدهرت الحياة الثقافية ومن أهم شخصيات تلك الفترة "تيخويراهي".

دخلت الدنمارك بعد ذلك في حروب مع السويد أهمها حرب الثلاثين سنة تحت حكم "كريستيان الرابع" وحروب "فردريك الثالث"، كان من نتيجتها ضياع سيادة الدنمارك على الشمال واستيلاء السويد عليه، ولقد أقرت معاهدة" كوبنهاغن" سنة ١٦٦٠ التي تمت بين الدنمارك والسويد معظم الخسائر الدنماركية التي فرضتها معاهدة "ووسكلد" في سنة ١٦٥٨ ثم تحولت الدنمارك في عهد "فردريك الثالث" و"كريستيان الخامس" إلى ملكية مستبدة بمعاونة الوزير "كونت غريفنفلد"، وقضوا على مقاومة الأشراف الذين كافحوا سلطة الملك قرونا طويلة.

واستمرت الدنمارك في حالة عدم استقرار سياسي وحروب مع جيرانها إلى أواخر القرن الثامن عشر حيث حدثت فيها إصلاحات اجتماعية هامة وألغى رق الأرض سنة ١٧٨٨، وفي أثناء حروب "نابليون" هاجمت الدنمارك إنجلترا مرتين وسلخ منها مؤتمر فيينا الذي عقد سنة ١٨١٥ النرويج لإنضمامها لنابليون.

في عهد "فردريك الثامن" إتخذت الدنمارك دستورا جديدا، ودخلت في حرب مع بروسيا بين عامي ١٨٤٨ و١٨٤٩ هزمت فيها الدنمارك، ثم دخلت مرة أخرى الحرب مع بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٤ في عهد "كريستيان التاسع" وانهزمت مرة أخرى وفقدت الدنمارك هيبتها وانكفأت على نفسها حيث حققت تطورا اقتصادياً وزراعياً هائلاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تحول شعبها من مجرد مزارعين فقراء إلى أمة من أغنى شعوب أوروبا بفضل تخصص أولئك المزارعين في منتجات الألبان التي ما زالت

مزدهرة حتى الآن. ولقد ساهمت الحركة التعاونية والمدارس الشعبية لتعليم الصناع والفلاحين بنصيب كبير في إزدهار ورخاء الدنمارك.

وقفت الدنمارك على الحياد في الحرب العالمية الأولى والثانية ووقعت حكومة الدنمارك الاشتراكية الديمقراطية ميثاق عدم إعتداء مع ألمانيا النازية لمدة عشر سنوات، إلا أن القوات النازية احتلت الدنمارك في أبريل ١٩٤٠ إلى أن حررتها الجيوش الإنجليزية في مايو ١٩٤٥، والدنمارك عضو في حلف شمال الأطلسي منذ ١٩٤٩.

بدأت الثقافة والأدب في الدنمارك في أول مراحلها في الفترة ما بين القرن الثالث عشر والسادس عشر، حيث بدأت بالأساطير والقوانين والمسرحيات الأخلاقية التي عقبت الكتابات الدينية، حيث تمت ترجمة الإنجيل إلى اللغة الدنماركية على يد "بيدرسن" في النصف الأول من القرن السادس عشر، وأبرز كتاب تلك الفترة الشاعر "أندرس أريبو" والشاعر "كينجو" وأبو الأدب الدنماركي الكاتب "لودفيغ هولبرغ" الذي عاش في القرن الثامن عشر والشاعر "يوهانس إيوالد" أما أعظم فلاسفة القرن التاسع عشر فهو الفيلسوف الديني "كيركجورد" الذي يعتبر أحد رواد الفلسفة الوجودية إضافة إلى عدد آخر من كتاب ذلك القرن منهم: "هايبرغ" و "بليكر" و "غولتشمت".

أما أعظم أدباء الدنمارك على الإطلاق فهو الشاعر والروائي والأديب: "هانز كريستيان أندرسن" الذي يعتبر بمثابة شكسبير عند الإنجليز وتنتشر تماثيله في أشهر ميادين كوبنهاغن، ولد سنة ١٨٠٥ وتوفى سنة ١٨٧٥ ، نشأ فقيرا ورحل إلى كوبنهاغن بحثا عن عمل، عمل بالتمثيل في بداية حياته ولكنه فشل فيه، أرسله الملك "فردريك السادس" إلى المدرسة حيث أمضى فيها عدة سنوات، ثم أرسله إلى عدد من الدول الأوروبية ليسجل إنطباعاته عنها، نشر عدة كتب وكان مصيرها الفشل إلى أن تبسم له

الحظ عندما نشر أول رواية ناجحة سنة ١٨٣٥، ثم نشر بعدها مجموعة من الحكايات الخرافية ظهرت فيها عبقريته، ثم توالت كتاباته وحكاياته وقصصه حتى أصبح أشهر الكتاب الدنماركيين وأعظم روائييهم، من أشهر قصصه "البطة القبيحة" و"عسكري الصفيح الشجاع" و"الحذاء الأحمر" و"عروس البحر الصغير" التي أوحت إلى المثال "اركسن" تصميم تمثال عروس البحر أشهر تماثيل كوبنهاغن.

ولقد إهتم الأدب الدنماركي المعاصر بالمشكلات الاجتماعية والإقتصادية، ومن رواد الكاتب المسرحي "ابيل" و"يوهانس ينسن" والكاتب المسرحي الوطني "كاي فونك" وأشهرهم الروائي "مارتن نيكسو إندرسن" الذي نال شهرة عالمية برواياته "بيلة الفاتح" و "ديته ابنة الإنسانية"، وتتسم رواياته بالواقعية والعطف على الفقراء، كما ساعدت على تحسين الأحوال الإجتماعية في الدنمارك ولقد أقام وقتا طويلا في روسيا وكتب عنها عدة كتب.

ربما كان للفلسفة الوجودية الإلحادية تأثيرا كبيرا في فكر وممارسة الدنماركيين لحياتهم وأسلوب معيشتهم، رغم أن فيلسوفهم العظيم "كيركجورد" قد إنتهج الوجودية المسيحية التي تقرر بأن قلق الإنسان يزاول بالإيمان بالله كفلسفة ومنهج فكري، إلا أنهم قوم لا يؤمنون – في غالبيتهم وخاصة الشباب منهم- بأي دين. إنقطعوا عن الذهاب إلى الكنيسة منذ زمن وأصبح دور الكنيسة عندهم قاصرا على تسجيل المواليد والشئون الإجتماعية الأخرى، يعيشون حياتهم كما يحلو لهم يغرفون من متع الدنيا ما لذ وطاب وإن كان لمتاعها أثر سيئ تمثل في التفكك الأسري والإنحلال الأخلاقي والإباحية الجنسية التي وصلت إلى حد الفوضى.

الجالية العربية الإسلامية في الدنمارك..

عبد الرحمن أمين أبو العلا، مهندس مصري كان يعمل في وزارة الزراعة والري في جمهورية مصر العربية ثم هاجر إلى الدنمارك في سنة ١٩٨٠ بعد أن أقام سنة في لندن لم يطب له العيش فيها، إنه نموذج للمهاجر العربي المسلم الذي يحظى بإحترام وسط الجاليات العربية والإسلامية في الدنمارك والسويد وكذلك السلطات الدنماركية والسويدية لما له من جهود كبيرة في المجالات الثقافية والإجتماعية والإقتصادية أو مجال الأعمال الحرة، توثقت علاقتي به بحكم ترددي على دول أسكندنافيا وساهمت معه في العديد من الأنشطة الثقافية التي تهدف إلى تعريف شعوب الدول الأسكندنافية بالحضارة العربية والدين الإسلامي الحنيف، عندما جاء إلى الدنمارك وجد ما يشبه التجمع الذي يوحد نوعا ما بعض أفراد الجالية الفلسطينية في مدينة كوبنهاغن، ولكنه لم يجد أية أنشطة أو تجمعات عربية وإسلامية ذات قوة وهدف، كما لاحظ عدم وجود مدارس إسلامية عربية لتعليم أبناء الجالية العربية قواعد الدين الإسلامي واللغة العربية.

تعرف أثناء إقامته في الدنمارك على سيدة أعمال دنماركية مُحبة للعرب والحضارة العربية، اسمها "كريستين فوغة" وتعاوناً معاً في تأسيس أول مدرسة عربية سنة ١٩٨٠ تكون نواة لمركز إسلامي عالمي، وكان أول مديرلها وحصل على مساعدة من رابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية بليبيا، وبدأ في تدريس أبناء الجالية العربية، مبادئ الدين الإسلامي وقواعد اللغة العربية والتاريخ إضافة إلى العلوم الأخرى دون أي تحيز لأي إقليم أو وطن عربي، وكان الإقبال على المدرسة كبيراً، كما قامت المدرسة أيضا بتنظيم الندوات والمحاضرات التي كانت تهدف إلى تعريف الدنماركيين مبادئ الدين الاسلامي والعادات والتقاليد العربية، كما قامت أيضا بتنظيم زيارات ورحلات ولقاءات بين أفراد

الجالية العربية وأفراد من الشعب الدنماركي، هدفها الإطلاع المباشر والتعرف على عادات وتقاليد كلا الطرفين.

ثم إمتد نشاطه ليشمل جنوب السويد القريب جداً من الدنمارك، فأسس أول مركز ثقافي عربي في مدينة "مالمو" ثالث أكبر مدينة سويدية وأكبر مدن جنوب السويد، سماه "دار الكتاب العربي"، ثم أسس بعد ذلك "المركز الإستشاري العربي الإسكندنافي" ليكون حلقة وصل ما بين الدول الإسكندنافية والدول العربية في المجالات السياحية والثقافية والتعليم والتجارة وغير ذلك، ثم عمل على تأسيس جمعية الصداقة العربية السويدية.

مما سبق ذكره هو نموذج لمهاجر عربي مسلم، بدأ من الصفر لا ليكّون حياة مستقرة رغدة، بل لينقل الحضارة العربية الإسلامية إلى تلك الأقطار النائية، عانى الحرمان وشظف العيش، أخفق ونجح، ولكن تبقى أسباب الفشل واحدة وهي تناقضاتنا نحن العرب، ذلك الفشل المزمن الذي نحمله معنا، ظن أن الغربة ستوحد آراء المهاجرين العرب وأهدافهم وستجعل من وطن الغربة تلك المدينة العربية الفاضلة التي توحد ولا تفرق، تجمع ولا تشتت، ولكن هيهات.

الجاليات اليهودية في الدول الأسكندنافية هي فقط من بين الجاليات التي حققت أهداف وحدتها وتعاونها وتآزرها، فأصبحت أغنى وأقوى الجاليات رغم قلة عددها، ولقد تبين مدى تأثيرها القوي في وقف بناء المركز الاسلامي في مدينة كوبنهاغن، والذي أراد له مؤسسوه أن يكون مركزاً إسلامياً حضارياً يشع منه نور الإسلام قي تلك الأصقاع المظلمة

كانت البداية مشجعة تماما، إذا وهبت الحكومة الدنماركية قطعة أرض كبيرة في قلب العاصمة ووضعت تصاميم المركز ليحاكي المركز الإسلامي في لندن، وخشيت النفوس الخبيثة من أن ينتقل النجاح من على الورق إلى الطبيعة ويكون للمركز في المستقبل تأثير

في إتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية، يتمثل في التفاف أفراد الجالية الإسلامية حول مركزهم، والخوف أيضا من إنضمام أعداد كبيرة من الشعب الدنماركي المتعطش إلى الروحانيات للمركز وبالتالي إعتناقه الديانة الإسلامية، لهذه الأسباب، ولتخاذل سفراء الدول الإسلامية كما يقول المهاجرون المسلمون هنا، تراجعت الحكومة الدنماركية عن قرارها بوهب قطعة الأرض لبناء المركز، وزعمت أن الهبة عبارة عن تأجير الأرض لمدة ٩٩ سنة وليس بغرض التملك، لذا فإنه لا يحق للمستأجر أن يقيم أية منشأت ثابتة على أرض مستأجرة! أو ليس هذا هو خبث اليهود، أوليست بصمات أصابعهم واضحة جلية في هذه القرارات المفاجئة! أوليس هذا مسلكهم! هذا الكلام أنقله سمعته من بعض أفراد الجالية العربية الإسلامية.

رغم هذا إلا أن هناك الكثير من الدنماركيين الذين يكنون إحتراماً كبيراً للدين الإسلامي مع المصادر النادرة التي إطلعوا عليها لمعرفة تعاليم الاسلام عن قرب، تقول السيدة "كريستين فوغة": إن الدين الإسلامي يخاطب العقل والروح معا، لقد وجدت الكثير من القناعات التي وصلت إليها بعد تجارب عدة طويلة في مسيرة حياتي التي شارفت على السبعين عاما، قد وضع لها الإسلام قواعدها منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، الإسلام دين الأخلاق والتواضع والإنسانية.

والسيدة كريستين واحدة من أثرياء الدنمارك، تملك واحدة من أكبر شركات إستيراد السيارات بخلاف مجالات الإستثمار الأخرى، ولكنها مع ذلك تقيم في شقة متواضعة وتنفق على قدر حاجتها فقط، تقول لماذا الإسراف، أنا لا أحتاج إلا إلى شقة صغيرة وسيارة صغيرة فقط، وتضيف: لقد فسر لنا الإسلام بطريقة مذهلة حقائق قضينا مئات السنين في الوصول إليها.. إن الاسلام هو دين التوازن العقلي والروحي، لا في الإنسان فقط

بل في الكون بأسره، والسيدة كريستين قارئة ممتازة طافت أرجاء العالم وأقامت فترة طويلة في الولايات المتحدة وتعرفت على الكثير من المذاهب والمعتقدات ورغم غناها الفاحش، إلا أنها تعيش حياة متواضعة بسيطة واحتفظت بالتالي بصحة جيدة رغم أنها في خريف العمر.

هناك في الوقت الحاضر مركز إسلامي واحد هو عبارة عن جامع تقام فيه الصلوات وخاصة صلاة الجمعة ويعرفه كل سائق سيارة أجرة باكستاني أو تركي، والجاليات الباكستانية هي أكثر الجاليات الاسلامية إلتزاماً بتقاليد الدين الإسلامي ومواظبة على إقامة الصلاة في المركز، لذا فإن المركز يُحاط يوم الجمعة بالكثير من سيارات الأجرة التي جاء أصحابها أو العاملين عليها لأداء الصلاة.

ويوجد بالمركز مدرسة إسلامية وغرف لإقامة الدعاة الزائرين وللقائمين عليه نشاط ملحوظ في نشر الدعوة الإسلامية وتعريف الدناركيين بتعاليم الدين الحنيف، كما توجد بعض الشقق المتفرقة بالعاصمة التي أتخُذت كمساجد لإقامة الصلاة.

عنوان المركز الاسلامي في كوبنهاغن هو:

CENTRAL MOSQUE & CULTURAL CENTRE
2 Horsebakken, 2400 NV.
Tel: 31 80 53 86, 31 60 68 56.

أهم مدن الدنمارك الأخرى

مدينة "آرهوس": ثاني أكبر مدن الدنمارك، تأسست سنة ٩٤٨ ميلادية على عهد الفيكنغ وتقع على مصب نهر حملت اسمه، يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر حوالي ٢٥٠ ألف نسمة، تأسست جامعتها سنة ١٩٢٨، أفتُتحت سنة ١٩٣٣، وتضم المدينة أعلى نسبة من الطلبة في سائر أنحاء الدنمارك فهي بحق مدينة الطلبة، وعادة ما تشتهر بضعة مدن في دول إسكندنافيا بتخصص معين.

ومدينة آرهوس تشتهر بوجود "الكلية الوطنية الدنماركية للصحافة" و"الكلية التجارية"فيها وهي من التخصصات ذات الجاذبية الفائقة عندهم.

تحتفل المدينة "بكرنفالها" في شهر سبتمبر، إذ أن لكل مدينة موسم أو شهر تقيم فيه "كرنفالها".

تعتبر المدينة أهم ميناء ومركز تجاري بعد العاصمة. أمتع وسيلة للوصول إليها عن طريق القطار الذي ينطلق من محطة القطارات الرئيسية في العاصمة كوبنهاغن ويخترق السهول والمروج الخضر في رحلة ممتعة، ثم بعد ذلك ينقسم القطار إلى قسمين يدخل هذان القسمان جنباً إلى جنب وسط عبارة أو سفينة صممت خصيصاً لنقل القطارات، وهذا النوع من السفن يعتبر قمة الإنجاز البشري في صناعة السفن، ذلك أن الفكرة الأساسية التي بنيت عليها جميع السفن منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا، هي الإتزان أي أن تكون السفينة متزنة في جميع الأحوال، وتقاس عادة الحمولات المضافة إلى السفن بكل دقة ليس فقط لتحتفظ بإتزانها وهي في الميناء، بل أن تبقى متزنة وهي مبحرة وفي جميع الظروف الجوية لتصل بشحنتها سالمة إلى الميناء المقصود، لذا فإن دخول كتلة هائلة كالقطار نسبة إلى حجم السفينة مع ما تحمله هذه الكتلة من وزن في غضون دقائق، هي

عملية بالغة الصعوبة وتحتاج إلى تفريغ كميات هائلة من مياه الإتزان من السفينة في غضون دقائق قليلة، ليس فقط لكي تبقى السفينة في حالة إتزان ولا تميل على أحد جنبيها، بل لكي تبقى قضبان السكة الحديدية التي يتحرك عليها القطار في مستوى أفقي واحد سواء على الرصيف أو في جوف السفينة.

وبحكم عملي بالبحر، وقفت أرقب عملية دخول القطار وأنا واقف على الرصيف بعكس جميع الركاب الذين غادروا القطار إلى صالات الإستراحة ومقاهي السفينة في الطابق العلوي، ثم أبُحرت بعد ذلك السفينة في جو هادئ وريح منعشة رغم برودة الجو إلى أن وصلت إلى مرفأ مدينة "آرهوس". لقد جعلوا عملية الإنتقال سواء كانت بالقطارات أو بالسفن، عملية ممتعة للغاية لا يشعر المرء فيها بأية متاعب أو مضايقات بل على العكس من ذلك وهي على كل حال أمور تدر مبالغ طائلة.

صادف وجودي في مدينة آرهوس، إحتفال طلبتها وأولياء أمورهم بنهاية العام الدراسي، وهم يحتفلون به بأن يضع الجميع على رؤوسهم قبعات تشبه قبعات البحارة وربابنة سفن الصيد الدنماركيين إلا أن قبعات الطلبة بيضاء اللون، بينما قبعات البحارة داكنة ربما تعكس تلبد الجو حولهم بالغيوم الداكنة المنذرة بالويل والثبور!، فإذا كانت الغيوم الملبدة الداكنة تعني سحائب المزن المثقلة بالخير والنماء عند أهل البر كما ورد في قول الشاعر:

سقى الله نجداً والمقيم بأرضها   سحاباً ثقالا خاليات من الرعد

فهي عندنا نحن معشر البحارة، الشر المستطير الذي يتمثل في هبوب عاصفة تجعل من سفننا توابيت حديدية يهوى بها الموج إلى قاع سحيق!

شاهدت كهولا يرتدون قبعات الطلبة هذه، سألت أحدهم إن كان قد إجتاز الإمتحان بنجاح ظنا مني أنه طالب، قهقه الرجل طويلا ثم قال: وهل يوحي لك شكلي بأنني طالب؟ قلت: رغم أن طلب العلم لا يقتصر على عمرمعين، إلا أنني افترضت ذلك من القبعة الي تلبسها، قال: لقد ودعت الدراسة منذ أمد بعيد، ولكنني أشارك الطلبة أفراحهم، إذا أردت أن تفرح هنا فستجد الكثير الذي يشاركك أفراحك، ولكن إذا أردت أن تحزن فسوف تكون وحيدا في حزنك، وأضاف: يا عزيزي! الحياة كالشمعة تشتعل مرة واحدة وعندما تنتهي لن تستطيع أن تعيدها مرة أخرى، فإذا لم تستخدم شمعة حياتك في البحث عن السعادة فإنك لن تجدها أبداً، إنها فلسفة الجعة، فشعب الدنمارك من أكثر شعوب العالم إنتاجاً وإستهلاكاً للجعة بعد الألمان ولهم طقوس في تجرعها وأقداح خاصة مزينة ومزركشة يتناولها الجميع هنا رغم آثارها المدمرة عليهم أطفالا ونساء ورجالا، شيباً وشباباً، فتيان وفتيات، في الطرقات والمقاهي وعلى الأرصفة ولم لا والإعلانات التي تنوه عنها في كل مكان بدءا من إعلانات الشوارع والإذاعة والتلفاز إنتهاء بالمطبوعات السياحية والإعلامية السويديون يطلقون على الدنمارك إسم "مملكة الجعة" نظرا للكميات الهائلة التي تنتجها وتصدرها إلى جميع أنحاء العالم، واذكر مرة أن فريقا دنماركيا لكرة القدم ق لعب عدة مباريات مع فريق دولة عربية إسلامية تحرم الخمور تحريما قاطعا وقد إرتدي لاعبوا الفريق الدنماركي سترات "فانيلات" كتب عليها بالخط العريض إسم أحد أنواع الجعه "البيرة" التي تنتجها الدنمارك، ولقد نقل تلفزيون تلك الدولة المباريات على الهواء مباشرة!!

عودا إلى حديثنا مع ذلك الرجل لقد طرأت – أثناء حديثي معه- فكرة إرتداء "الكاب" أو القبعة ونفذتها على الفور والتف حولي قوم كثير منهم وأخذت أبادلهم التهنئة

فأنست إليهم وأنسوا إلي وأخذت أتبادل معهم الحديث وكان في معظمه عن الدراسة وهمومها.

من مدن الدنمارك الأخرى مدينة "البورغ" وهي أيضا ميناء بحري تقع على بعد ١٠٣ كم شمال غرب مدينة "آرهوس" ومدينة "أودنس" وهي عاصمة المقاطعة التي تحمل اسمها وتقع على نهر يحمل نفس اسم المدينة، تشتهر بتصدير منتجات الألبان واللحوم وصناعة الآلات والمنسوجات والزجاج، تأسست هذه المدينة في القرن العاشر وهي مسقط رأس أديب الدنمارك الكبير "كريستيان أندرسن" ومدينة "راندراس" تقع عند مصب نهر "جودنا" وهي مدينة صناعية وميناء تجاري.

جزيرة غرينلاند وجزر فيرو سقف العالم!!

ما سبق ذكره كان أهم مدن مملكة الدنمارك على ترابها الوطني السياسي، ولكن الدنمارك تلك الدولة الصغيرة في المساحة نسبة إلى باقي دول أوروبا تملك وتدير أراضي أكبر منها بكثير أهم هذه الأراضي هي مجموعة جزر "فيرو" وجزيرة "غرينلاند" العملاقة في المحيط الأطلسي.

تبلغ مساحة جزيرة "غرينلاند" ٢١٧٥٦٠٠كم٢، أي أنها أكبر من مملكة الدنمارك نفسها بـ ٥٢ مرة!!، بينما يبلغ عدد سكان الجزيرة حوالي ٥٥ الف نسمة! لذا فهي أقل كثافة سكانية في العالم إذ تبلغ ٢٪ للكيلو متر المربع. وتقع أكثر من ٧٥٪ من مساحة الجزيرة داخل الدائرة القطبية الشمالية ويغطيها الجليد بأسرها ماعدا مساحة تقدر بحوالي ٣٤١٧٠٠ كيلو متر مربع من المساحة الإجمالية، ويبلغ سمك الجليد حوالي ٣٠٠٠ مترا! أي أن الجليد يرتفع ثلاث آلاف متر عن سطح الأرض، وكان الأحرى بأن تسمى الجزيرة باسم "وايت لاند" بدلا من "غرينلاند" أي الأرض البيضاء بدلا من الأرض الخضراء كما يوحي اسمها باللغة الإنجليزية وإن كان الدنماركيون يطلقون عليها بلغتهم اسم "غرونلاند".

يعيش ٩٠٪ من إجمالي سكان الجزيرة في الجزء الجنوبي الغربي منها أي خارج الدائرة القطبية الشمالية. يبلغ معدل درجة الحرارة في فصل الصيف أثناء النهار في الجنوب ما بين ١٠ – ١٨ درجة مئوية، بينما يتراوح المعدل في الشمال ما بين ٥ – ١٠ درجة مئوية، أما في الشتاء فتصل درجة الحرارة في الجنوب إلى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر وفي الشمال إلى ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر!.

تعتبر غرينلاند من الناحية الجيولوجية جزء من الحاجز الكندي، تخترقها عدة أنهار ثلجية أكبرها نهر "همبولد" تنفصل عنها سنويا كتل جليدية ضخمة تتراكم في الفيوردات (الخلجان) الساحلية.

يعتقد بأن أول من قدم إلى غرينلاند وأقام فيها، هم مهاجرون من جزيرة "إليسمير" الكندية التي تقع في أقصى الشمال الغربي منذ خمسة آلاف سنة عندما عبروا المضيق الفاصل بين الجزيرتين والذي كانت تغطيه الثلوج بحثا عن الطرائد مثل الدببة القطبية وثيران المسك وحيوان الرنة والأرانب القطبية وغيرها من الحيوانات، ثم اتجهوا بعد ذلك جنوبا.

سكانها الأوائل هم من الإسكيمو وهي كلمة تعني بلغة أهلها: آكلي اللحم النيئ، إلا أنهم في الوقت الحاضر يفضلون أن يطلق عليهم اسم: إن يويت وهم كما هو معروف قوم من سكان سيبيريا في شمال قارة آسيا عبروا بدورهم مضيق "بيرينغ" الذي يفصل ما بين أقصى شمال شرق قارة آسيا وبين شبه جزيرة ألاسكا التي تقع في قارة أمريكا الشمالية منذ ما يقرب من ٢٥ ألف سنة مضت على أرجح الإفتراضات.

أما أولى المحاولات الأوروبية لإكتشاف الجزيرة فكانت على يد النرويجي "غونبيورن أولغسون" في سنة ٩٠٠ عندما إتجه بسفينته إلى الشواطئ الشرقية للجزيرة ثم إتجه بعد ذلك جنوبا بحثا عن آيسلندا، أما أول من استعمرها وأقام فيها فهو "إريك راوبورفالدسون" النرويجي الذي جاء إليها من ايسلندا والذي لقب فيما بعد باسم "إريك الأحمر"، وأطلق عليها الاسم الذي عرفت به حتى اليوم وهو "غرينلاند" وذلك حتى يكون له وقع حسن لدى الآخرين ويشجعهم على الهجرة إليها لأنها كانت أرضا بلاشعب. وكان ذلك سنة ٩٨٢ ميلادية إلا أن الجزيرة أهملت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وأُعيد إكتشافها في القرن السادس عشر وبدأ إستيطانها الحديث الذي إستمر حتى يومنا هذا في سنة ١٧٢١ على يد المبشر النرويجي "هانس إيجدي"، ثم قام العديد من مكتشفي القطب الشمالي في القرنين التاسع عشر والعشرون بإستكمال إكتشاف غرينلاند خاصة الأجزاء الشمالية منها ورسموا الخرائط لها.

سكانها الأصليون يطلقون على أنفسهم اسم "إن يويت" كما أسلفنا وتعني بلغتهم المحلية الشعب أو الناس، ٨٠٪ من سكانها الحاليين هم "إن يويت" أو هم خليط ما بين إن يويت والدنماركيين، و ٢٠٪ من الأوربيين وغالبيتهم دنماركيين عاصمتهم "نوك" وتقع على الساحل الجنوبي الغربي ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٤ ألف نسمة.

يطلق أهل غرينلاند على جزيرتهم اسم "خلاخ ليت نوناهت" وتعني أرض الناس أو الشعب، ورغم الحياة القاسية في غرينلاند، إلا أن أهلها فخورون بها ويعتزون بانتمائهم إليها.

أما اللغة الرسمية فهي "غرينلاندك" وهي نفس اللغة التي يتحدث بها سكان شمال كندا وألاسكا وإن إختلفت اللهجات بإختلاف المكان بعض الشيء، أما اللغة الثانية فهي الدنماركية التي يتحدث بها الجميع.

كانت غرينلاند بمثابة مستعمرة دنماركية قبل عام ١٩٥٣، ثم أصبحت جزءا من الدنمارك على نمط العلاقة التي تربط ألاسكا بالولايات المتحدة الأمريكية. وتتمتع في الوقت الحاضر بالحكم الذاتي وتعتبر الملكة "مارغريت الثانية" ملكة الدنمارك هي رأس الدولة. يدير دفة الإدارة المحلية فيها مجلس وزراء منتخب من قبل البرلمان المسمى "لوغتنغ" الذي يبلغ عدد أعضائه ٢٧ عضو. أهم صادراتها السمك المجمد والمملح، كما أنها تتقاضى ما يعادل ٢٠ مليون دولار من أساطيل دول السوق الأوروبية المشتركة التي تصيد في مياهها الإقليمية.

أما جزر "فارو" أو "فيرو" كما يطلق عليها أهلها فهي عبارة عن ١٨. جزيرة وتقع في المحيط الأطلسي بين جزيرة آيسلندا وجزر "شوتلند" الأُسكتلندية وهي جزر بركانية تابعة

للتاج الدنماركي شأنها شأن غرينلاند، إلا أن جزر "فارو" لها علم خاص بها وعملة خاصة بها "الكرونة" وهي خلاف الكرونة الدنماركية.

أول من اكتشفها هو "سانت بريندان" في بداية القرن السادس، ثم أقام فيها في نهاية القرن السادس مجموعة من الرهبان الأيرلنديين، وصلها النرويجيون في بداية القرن التاسع، إنتقلت عليها السيادة من النرويج إلى الدنمارك في عام ١٨١٤، ثم وضعت تحت الحماية البريطانية بعد احتلال الألمان للدنمارك في الحرب العالمية الثانية، حصلت الجزر على الحكم الذاتي سنة ١٩٤٨، تبلغ مساحة الجزر الثمانية عشر ١٣٩٩ كيلو متر مربع وتبعد حوالي ٣٠٠ كيلو متر عن "سكوتلندا" و ٦٠٠ كيلو متر عن النرويج.

أكبر جزائر "فيرو" جزيرة "ستريموي" وتقع فيها العاصمة "تورس هافن"، وجزيرة "استورووي وبوردوي وساندوي وسودورووي". ويبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠ ألف نسمة، منهم ١٥ ألف نسمة في العاصمة، و ٥٠٠٠ في ثاني أكبر المدن وهي مدينة "كلاكسفيك"، معظم سكانها من ذوي الأصول القطبية المختلطة مع ذوي الأصول النرويجية الذين وصلوا وأقاموا في الجزيرة إبان عصر الفيكنغ، وقلة من الدنماركيين الذين يقيمون في العاصمة، لغتهم من عائلة اللغات الجرمانية المشتقة من اللغة النرويجية القديمة وهي أقرب ما تكون للغة الآيسلندية.

واللغة الدنماركية هي لغة رسمية، رفض شعب "فارو" الإنضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة أسوة بالوطن الام الدنمارك، كما أنهم لا يدفعون الضرائب للحكومة الدنماركية بل على العكس من ذلك فالحكومة الدنماركية تدفع ٦٠٠ مليون كرونه دنماركية، أي ما يعادل ١٠٠ مليون دولار أمريكي سنوياً لحكومة" فارو" . أما أهم صادرات الجزر فهي الأسماك والأصواف والأعلاف.

شد الرحال إلى الشمال...

ليس هناك أسهل ولا أمتع من عملية الإنتقال بين الدنمارك والسويد ليس فقط في وسائل الانتقال والمواصلات المختلفة بل أيضا في اجتياز الاجراءات المتبعة كالجمارك والجوازات وغيرها، فعلى الجانب الدنماركي لا يوجد شيء من هذا على الإطلاق سواء للقادم أو المغادر إلى ومن الدنمارك.

أما أسرع وأسهل وسائل الإنتقال فهي الحافلة البحرية أو الأوتوبيس البحري وهو على نوعين: النوع الأول ويسمى "هايدروفول" ويطلقون عليه عندهم أي باللغة الدنماركية والسويدية اسم "فلوغ بوت" أي القارب الطائر وهو اسم على مسمى وإن كان طيرانه على سطح البحر فقط بفعل السرعة الفائقة، وهو عبارة عن حافلة أو "باص" له أجنحة أو ما يشبه الأجنحة على الجانبين تغمرها المياه وهو واقف على الرصيف وعندما تصل سرعته إلى أقصى مدى يبرز من خلال الأمواج جناحيه ويبدو كأنه ينطلق فوق صفحة الماء مثيرا زبدا كثيرا وأمواجا عالية خلفه.

أما النوع الثاني من الحافلات البحرية فهو ما يسمى بلغة البحر "كاتا ماران" وهو أحدث أنواع السفن، بدأ تطبيقه في سفن الركاب الصغيرة التي هي عبارة عن حافلات لنقل الركاب تستخدم في المسافات القصيرة نسبياً وهو عبارة عن سفينة ركاب تشبه مقصورتها من الداخل مقصورة الطائرة أما جسم السفينة من الخارج فإنه يتكون الجزء الأسفل منه من حافتين متوازيتين وبينهما تجويف لمرور الماء بحيث يعمل الماء المار بين الحافتين على إتزان السفينة وطفوها في جميع الأحوال ومنع إنقلابها مهما كانت الظروف الجوية السائدة، كما تخفف أيضا من عملية المصاباه أو تأرجح السفينة ذات اليمين وذات اليسار بفعل الأمواج وهذا النوع أكبر من النوع الأول وبدأ يأخذ مكانه إلى

درجة أن "الهيدروفول" بدأ يختفي من الخدمة، ويستغرق الإبحار بهذين النوعين من السفن ما بين الدنمارك والسويد حوالي ٤٥ دقيقة.

وتوجد محطة المغادرة في مدين كوبنهاغن، في نهاية المرفأ القديم بحي البحارة، وفي موسم الصيف تغادر سفينة أو حافلة كل نصف ساعة منذ الصباح الباكر حتى بداية اليوم التالي، وتختلف أسعار هذا النوع باختلاف المواسم وعادة ما تكون حوالي ٥ دولارات للرحلة الواحدة ذات الإتجاه الواحد. وعلى مقربة من محطة "فلوغ بوت" أو "كاتاماران" هناك محطة أخرى لنقل الركاب أيضا بين الدنمارك والسويد تقوم بها سفينة ركاب عادية ولكنها بطيئة إذ تستغرق الرحلة ساعة ونصف تقريبا وأسعارها أقل بكثير من أسعار النوعين الأول والثاني إلا أن ميزتها ليست فقط كوسيلة نقل، بل وسيلة من وسائل قضاء الوقت ففيها مطعم ومقهى "كافتيريا" وسوق حرة وقاعة ألعاب للأطفال، وعادة ما يستخدمها الناس أو الركاب لقضاء الوقت والتسلية في رحلة الذهاب والعودة كوبنهاغن لأن الأسعار عموما فيها أقل من السويد، كما تتوفر فيها أنواع من البضائع والخضروات والمواد الغذائية الأخرى لا تتوفر في السويد خاصة بالنسبة للمهاجرين الذين يبحثون عن أصناف معينة من إضافة إلى أن السويديين يستخدمونها لجلب المشروبات الكحولية من الدنمارك، إذ أن المشروبات الكحولية في السويد أغلى منها في الدنمارك كما أنها تباع في محلات حكومية خاصة تفتح في أوقات معينة وتقفل يومي السبت والأحد، بينما في الدنمارك مفتوحة على مدار الساعة.

أما النوع الرابع من وسائل الإتصال بين السويد والدنمارك فهو بواسطة الحافة "الباص" الذي ينطلق من محطة القطارات بمدينة كوبنهاغن ثم بعد ذلك تنقله عبارة أو سفينة لنقل السيارات والركاب ما بين الدنمارك والسويد وبعد ذلك تصل هذه الحافلة إلى محطة القطارات في مدينة "مالمو "ثالث اكبر مدن السويد وعاصمة الجنوب، وتستغرق هده الرحلة بالضبط ٩٠ دقيقة وهي تتيح للراكب أيضا فرصة تناول طعام الغداء أو

العشاء في السفينة وشراء بعض الهدايا التذكارية من المحلات الملحقة بها. وهناك حافلة أخرى تنطلق من مطار "كاستروب" بالدنمارك إلى محطة قطارات مدينة "مالمو" وتأخذ نفس مسار الحافلة الأولى ونفس الوقت تقريبا.

أما الوسيلة الخامسة فهي بواسطة "هوفركرافت" وهي عبارة حافلة بحرية تسير بواسطة مراوح كبيرة تدفعها إلى الأمام وضغط هائل يرفعها عن سطح البحر، وتعمل هذه الحافلات ما بين مطار "كاستروب" بالدنمارك ومحطة خاصة في مدينة مالمو تابعة لشركة "ساس" الخطوط الجوية الإسكندنافية، ويستخدم هذه الوسيلة عادة الذين يقصدون جنوب السويد أو مدينة "مالمو" مباشرة وليس لديهم تأشيرة دخول للدنمارك إذ أنها تأخذ المسافر مباشرة من داخل مطار كاستروب إلى مدينة "مالمو" وهذا النوع من أغلى الأنواع إذ إن سعر التذكرة بين المدينتين يعادل سعر التذكرة بواسطة الطائرة وهي وسيلة طويلة وتدخل ضمن الإجراءات الطويلة المتبعة عادة للسفر بين بلدين بواسطة الطائرات.

وهناك أيضا وسلة للإنتقال بين السويد والدنمارك من خلال مدينة "هلسنفور" بالدنمارك و"هلسنبوي" بالسويد وتقعان قبالة بعض في الجانب الغربي ويمكن مشاهدة كلا المدينتين إذ أن المسافة بينهما لا تزيد عن ربع ساعة بواسطة سفن العبارات التي تنقل الركاب والسيارات وتنطلق كل ربع ساعة تقريبا في حركة إزدحام لا مثيل لها، ومن السهل جدا على البلدين إقامة جسر بينهما، إلا أن معارضة نقابة البحارة والنقابات الأخرى هي التي أوقفت العمل بهذا المشروع خوفاً من فقدان أعداد كبيرة من العاملين على هذه السفن أعمالهم.

لقد جربت جميع هذه الوسائل دون إستثناء مئات المرات سواء من خلال إقامتي الطويلة في السويد أو ترددي المتواصل على بلدان الشمال.

الفصل الثاني:

السويد
مملكة المرأة وجنتها !!

السويد سقف الكرة الأرضية !!

السويد أو "سفريا" كما يسميها أهلها بلغتهم، اسم إرتبط في ذهني بأشياء كثيرة منذ الصغر، أول كتاب قرأته عن السويد كان كتاب "من باريس إلى تاهيتي" للكاتب اللبناني الساخر معروف سويد وكان ذلك في مطلع الستينات، أي منذ ثلاثين سنة، وكنت أيامها في المرحلة الابتدائية وكنت مولعاً ولعاً شديدًا بالقراءة خاصة كتب الرحلات إذ أن القراءة كانت هي تسليتنا الوحيدة في تلك الأيام، دخلت عليها بعد ذلك كرة القدم والألعاب الأخرى، ولم يكن لدينا أيامها – في منطقة الخليج العربي – محطات تلفزيون سوى محطة واحدة تابعة لشركة أرامكو في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ولم تكن كل عائلة تملك جهاز تلفزيون. ولقد كانت الكتب متوفرة بكثرة في كل المدارس وكان هناك من يشجع على قراءتها من المدرسين الأفاضل، وكان أمين المكتبة بمدرسة الخليج العربي بمدينة الدوحة والتي درست فيها المرحلة الابتدائية هو الشيخ المرحوم يوسف الخليفي، وهو واحد من أدباء قطر ورجالهم الأفاضل، وكان رحمه الله دائما ما يوجه التلاميذ لاختيار أمهات الكتب في الأدب والتراث ويساعدهم على فهم محتوياتها.

كان كتاب معروف سويد هو أول كتاب قراءته في أدب الرحلات، أخذت أبحث عنها عن الكتب التي تتحدث عن دول الشمال وخاصة السويد التي لم يكن لدي أية معلومات عنها سوى ما ذكره الاستاذ "معروف سويد" في كتابه الشيق، ولكم تمنيت يومها لو أنني استطيع السفر إليها، لأنها كانت بالنسبة لي سقف العالم الذي لا نهاية بعده، وأن أهلها يختلفون عنا نحن معشر البشر كأنهم من كوكب آخر أوليست هيئتهم وألوانهم وشعورهم وعيونهم مختلفة تماما عنا ؟!

لم أجد في تلك الأيام ما يشفي غليلي ويسد ظمأ المعرفة بتلك الديار سوى كتب التاريخ حيث قرأت تاريخ الفيكنغ وغزواتهم وحروبهم، ولكن حديث الرحالة معروف سويد مختلف تماما عن سلوك أجدادهم الفيكنغ!!، إنهم أناس ذو جمال طاغٍ ورقة فائقة وطبع ودود!!.. مرت الأيام ولم أنسَ السويد، بل إنني وضعت هدفا كان تحقيقه ضربا من الخيال أو المستحيلات و.هو الهجرة إليها والإقامة فيها ولو على سبيل تلقي العلم. ثم بدا لي إنني في سبيل تحقيق هدفي القديم عندما عملت بحاراً على السفن اليونانية في منتصف عقد السبعينات، كانت أغلب سفن العالم تمر بالدول الأسكندنافية ومنها السويد، إلا سفينتنا هذه التي أدمنت الابحار في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، لا أعرف هل هو عشق خفي للألوان! إستبد بها فأخذت تبحر في المياه الملونة !؟ بحر أبيض وأحمر وأسود كحظي التعس بتعاسة بعض أهل البلدان التي كنا نزورها!! سألت الربان يوما: لماذا لا تبحر سفينتك المتهالكة هذه صوب الشمال حيث الفتنة والجمال؟! فقال: سفينة تعيسة كهذه حري بها أن تزور بلدان على شاكلتها!، وكان كثيراً ما يعلن حظه العاثر كلما تعطلت ونحن في أعالي البحر.

ثم توالت الأيام والسنون إلى أن سنحت لي الفرصة وكنت في زيارة عمل طويلة لألمانيا وأبحرت على سفينة ركاب ضخمة من شمال ألمانيا إلى جنوب السويد لأول مرة منذ أكثر من خمسة عشر سنة مضت... وتوالت بعد ذلك زياراتي لها، إلى أن أبتعثت في بعثة دراسية حيث أقمت فيها أكثر من ثلاث سنوات، ومازلت أتردد عليها رغم أنني أنهيت دراستي فيها منذ ثمانية سنوات خلت!

هناك طرق عديدة لزيارة السويد، تعتمد بلا شك على وجهة القادم إليها، فإذا كان قادما من الدنمارك فأسهل طريقة هي الحافلات البحرية التي سبق ذكرها، وإذا كان مصطحباً معه كمية كبيرة من الأمتعة والحقائب فأنسب وسيلة هي الحافلة (الباص) من محطة القطارات، وإذا كان المسافر قاصداً جنوب السويد وليس لديه تأشيرة دخول إلى الدنمارك فعليه أن يأخذ الـ "هوفر كرافت" من مطار كوبنهاغن إلى محطة "ساس" في مدينة مالمو وهذه الإجراءات يتم ترتيبها داخل مطار كوبنهاغن، أما إذا كان متجها إلى العاصمة ستوكهولم مباشرة من أوروبا فليس هناك أنسب من الطائرة، وإن كانت القطارات تصل العاصمة من عدة مدن أوروبية إلا أن الأمر يستغرق مدة طويلة، كما أنه يتوجب على المسافر العربي الحصول على تاشيرات دخول لجميع الدول التي سيمر فيها القطار.

لا استطيع أن أتذكر عدد المرات التي زرت فيها السويد، دخلتها بجميع وسائل النقل الجوي والبحري والبري، من الشرق والغرب والشمال والجنوب، بالحافلات والقطارات والسيارات والدراجات كذلك وهي وسيلة سفر منتشرة بين الدول الاسكندنافية بصورة خاصة ولها تسهيلاتها الخاصة بها، كما أن لها أندية وأعضاء وقواعد وقوانين، ولم يكن استخدامي لوسائل السفر المتعددة الآنفة الذكر قدرة خارقة مني بقدر ما هي سهلة ومتوفرة ومنظمة وآمنة في نفس الوقت، ولم يكن ترددي على السويد ولعاً بها أو بأهلها بقدر ما هي رغبة جامحة مني لمعرفة لماذا تقدم هؤلاء القوم ووصلوا إلى هذا المستوى المتطور؟، وما هي الأساليب والنظريات والإمكانيات التي استخدموها للوصول إلى هذا الرقي الصناعي والزراعي والصحي حتى اطلقوا عليها "دولة الرفاهية"؟ وهي بحق دولة

الرفاهية في العالم بأسره، رغم أنها كانت – نسبياً – دولة متخلفة في مطلع هذا القرن وأهلها لا يتمتعون بذلك الذكاء الخارق!!

لقد جبت العالم أو معظمه وزرت دولاً متطورة كثيرة، ولكن تبقى السويد هي أكثر دول العالم تطوراً في جميع النواحي. ولكي أصل إلى الجواب على ذلك السؤال الكبير: كيف وصلت السويد إلى هذا المستوى؟، عشت مع السويديين واندمجت معهم وعرفتهم عن كثب من القاع وحتى القمة واتضح لي أن تجربة السويد مع التطور ليس من الصعب تطبيقها في بعض الدول العربية وليس كلها، وأن معظم ما وصلوا إليه بفعل التجربة، وهو عقيدة لدينا أهملناها ومسلك هجرناه.

حقا لا استطيع أن أتذكر عدد زياراتي للسويد، ولكن أتذكر أول زيارة لي وكأنها حدثت منذ عهد قريب جداً، ورغم مرور أكثر من خمسة عشر سنة عليها.

نشأة السويد وتاريخها...

تقع مملكة السويد أو "سفريا" بلغة أهلها، شمال القارة الأوروبية وفي الجزء الشرقي من شبه جزيرة أسكندنافيا، تبلغ مساحتها ٤٤٩٩٦٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها ٨.٥ مليون نسمة تتاخمها النرويج غرباً، وفنلندا في الشمال الشرقي، وخليج بوثينا شرقا، وبحر البلطيق جنوباً، تتبعها عدة جزر أكبرها "غوتلاند" و "أولند" عاصمتها "ستوكهولم" وهي أكبر مدنها، تليها "غوتنبرغ" أو "غوتوبوي" كما يطلقون عليها وتقع جهة الغرب ومدينة "مالو" أو "مالمة" بلغة أهلها وتقع أقصى الجنوب، أكبر بحيراتها بحيرة "فانرن" وتبلغ مساحتها ٥٥٨٥ كيلو متر مربع، وهي أكبر بحيرات أوروبا الغربية، تليها بحيرة "فاترن" وتعني الماء باللغة السويدية تبلغ مساحتها ١٩١٢ كيلو متر مربع، وأعداد أخرى كبيرة من البحيرات.

مساحة الأرض المستخدمة في الزراعة تعادل حوالي ١٠٪ من المساحة الإجمالية وتغطي الغابات أكثر من نصف سطح السويد، أهم صناعاتها الأخشاب وما ينتج عنها من أثاث وورق وعيدان الكبريت المنتشرة في جميع أرجاء العالم وكذلك الحديد الخام والذي تعتبر مدينة "كيرونا" في أقصى شمال السويد عاصمة استخراجه، بل تأسست المدينة بسببه، السويد متطورة جداً في صناعة الآلات والمحركات وصناعة السفن والسيارات من ارقى الصناعات في العالم وأكثرها تقتنيه ومن الصناعات المتطورة والفاخرة أيضا، صناعة الكريستال والزجاج.

وجمال الطبيعة في السويد يعد عامل جذب للسياح خاصة الأمريكان ، لذا فان السياحة تعد متقدمة جدا عندهم.

السويد مملكة ديمقراطية، ملكها الحالي هو "كارل غوستاف السادس عشر" الذي تولى الحكم في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٧٣، يملك ولا يحكم، ويدير دفة الحكم مجلس وزراء منتخب مسئول أمام البرلمان المسمى "ريكسداغ" يعتنق غالبية السكان المذهب اللوثري كسائر شعوب دول الشمال وهو دين الدولة الرسمي، ينحدر معظم الشعب السويدي من القبائل الجرمانية التي استقرت في شبه جزيرة أسكندنافيا في العصر النيوليتي، بينما ينحدر سكان الشمال من اللابيين والفينيين من أصول نزحت من شمال سيبيريا بحثًا عن الطرائد منذ ما يقرب من ١٢ ألف سنة على أرجح الإفتراضات، بدأ نزوح قبائل الـ "سفير" التي أُشتق منها اسم سفيريا أي السويد، في القرون الأولى بعد الميلاد، وأول تاريخ تم تدوينه للبلاد كان سنة ٩٨ بعد الميلاد، وقد إكتمل نزوحهم بعد أن فتحوا أراضي جيرانهم، وهم كما تروي الأساطير المتوارثة من أسلاف القوط الشرقيين، إختلطت قبائل السفير بسكان السويد الأوائل، وامتزجت دماؤهم ليكونوا شعباً واحدًا على مرّ القرون، والذي ينحدر منه شعب أو قبائل الفيكنغ.

استمر شعب الفيكنغ يعيش في عزلة عن العالم، برابرة محافظين على بدائيتهم ووثنيتهم حتى القرن التاسع الميلادي، حيث بدأت غزوات الفيكنغ تأخذ طابعاً هجومياً عدوانيا شرقاً وجنوبًا وغربًا.

بدأ إنفتاح "فيكنغ" السويد على العالم بصورة سلمية في البداية إذ أخذ إنفتاحهم طابعا تجاريا واتجهوا شرقا وجنوبا، وأطلق السلاف لقب "روس" على السويديين وهي كلمة تعني بحارة بلغة السلاف وذلك نظراً لمهارة السويديين البحرية واستخدامهم السفن في تنقلهم. كان السلاف والأفار يحتكرون الطرق التجارية في شرق أوروبا، حيث كانوا يتاجرون بالفراء والرقيق مع المسلمين في القوقاز والمسيحيين في القسطنطينية. إلا أن

السويديين حلوا محلهم بعد إنهيار السلاف والأفار ووصل السويديون إلى البحر الأسود وثبتوا أقدامهم في حوض نهر "الدنيبر" وسيطروا على طرق التجارة بين البحر الأسود وبحر البلطيق، ثم أسسوا لهم دولة في تلك المنطقة واستولوا أحد زعمائهم ويدعي "روريك" على مدينة كييف السلافية التي أصبحت أكبر مراكز الفيكنغ الذين اشتهروا باسم الروس بدلا من اسمهم الأصلي "الفيكنغ" ولقد كانت لهم علاقات وثيقة انطلاقا من مدينة "كييف" مع الحضارة الإسلامية في عهد العباسيين في "بغداد" والدولة البيزنطية في "القسطنطينية" حيث كانوا يبيعونهم الرقيق والفراء ويشترون منهم الحرير والمصوغات، كما كانت بينهم معاهدات ومواثيق تجارية تعود إلى النصف الأول من القرن العاشر.

رغم المعاهدات التي كانت موثقة بين السويديين الذين تلقبوا باسم الروس وبين الدولة البيزنطية، إلا أن نزعة الغزو والطبيعة البربرية قد عادت إليهم مرة أخرى، حيث حاولوا غزو الدولة البيزنطية وعاصمتها سنة ٨٦٥م عندما أبحروا في نهر "الدنبر" حتى وصلوا البحر الأسود، ثم إجتازوه إلى بحر مرمرة حيث هبت عليهم عواصف حطمت معظم سفنهم وأعادوا الكرة مرة أخرى سنة ٩٠٧ بقيادة أحد زعمائهم ويدعي "اولغ" حيث وصلوا أطراف "القسطنطينية" بحوالي ألف سفينة، ولم ينسحبوا إلا بعد ان دفع البيزنطيون مبلغاً كبيرًا من المال.

ثم عادوا الكرة مرة ثالثة سنة ٩٤١ و سنة ٩٤٤ بقيادة زعيم آخر اسمه "إيغور". إلا أن الدولة البيزنطبة سعت إلى التفاهم مع أولئك الغزاة وأقنعتهم بأن التجارة أربح لهم من الحرب وذلك من خلال توظيف مهارتهم البحرية في قيادة الأسطول البيزنطي ورفع مستوى التبادل التجاري مع وطنهم الأم والأصقاع الشمالية من خلالهم حيث كانوا

يجلبون الشمع والعنبر والفراء والرقيق ويعودون بالحرير والتوابل والمجوهرات. أما علاقة السويديين الروس بالخلافة الإسلامية فسوف نفرد لها عنواناً خاصاً من هذا الفصل.

كان هذا نشاط السويديين في الشرق بعد أن تسموا باسم "الروس" وبعد أن إندمجوا وذابوا في المحيط السلافي الكبير حتى أصبحوا جزءا منه بحلول منتصف القرن الحادي عشر، أما السويديون الذين بقوا في وطنهم السويد، فقد دارت بينهم وبين جيرانهم الدنماركيين والنرويجيين حروبا دامت قرونا طويلة.

رغم أن المسيحية دخلت السويد سنة ٨٢٩ على يد القديس "انسغار" إلا أن الوثنية لم تنته تماما إلا في القرن الثاني عشر على يد ملكهم "إيريك التاسع" الذي غزاً "فنلندا" ووسع رقعة المملكة وقويت شكيمتها، ولكن ظهور طبقة إقطاعية مستقلة قبل القرن الثالث عشر أضعف من سلطان الملكية.

إتحدت السويد مع النرويج في سنة ١٣١٩ تحت حكم "ماغنوس السابع"، ثم إنضمت إلى إتحاد "كلمار" تحت حكم الملكة "مارغريت" مع الدنمارك والنرويج سنة ١٣٩٧، وبعد وفاة الملكة "مارغريت" ملكة الدنمارك، رفض السويديون حكم الدنماركيين لهم، تولى حكم السويد الملك "كرستيان الثاني" الذي قام بذبح الأشراف في مدينة ستوكهولم سنة ١٥٢٠ تدعيماً لسلطانه مما أثار نقمة الشعب عليه وتم إختيار "غوستاف الأول" سنة ١٥٢٣ بدلاً منه وهو مؤسس أسرة "فاسا" الملكية السويدية، والذي تخلص من حكم الدنماركيين ما عداً الأجزاء الجنوبية من السويد التي تحررت سنة ١٦٥٨، خلفه من بعده في الحكم عدة ملوك أشهرهم: "إيريك الرابع عشر" و"كارل التاسع"، و"غوستاف الثاني" والملكة "كريستينا" و"كارل العاشر والحادي عشر" حيث اصبحت السويد في عهودهم مملكة عظمى إمتدت

سيطرتها حتى لغونيا وانغرمانلند وكاريليا وبومرانيا والأجزاء الجنوبية للسويد نفسها التي كانت تحت سيطرة الدنماركيين.

دخلت السويد حرب الثلاثين عاما في الفترة من ١٦١٨ – ١٦٤٨ والتي دارت على أرض المانيا آزرت فيها الأمراء الألمان ضد إتحاد الامبراطورية الرومانية المقدسة والتي إنتصرت في نهايتها السويد وشاركت معظم دول أوروبا فيها وكانت هذه الحرب عاملاً حاسماً في جعل السويد الدولة البروتستانتية الكبرى في أوروبا، حيث أعلن الملك "غوستاف الأول" فيما بعد المذهب اللوثري مذهبا رسميا للدولة.

إنتصرت في حروبها الكثيرة ضد الدنمارك وبولندا، وجعل "كارل الحادي عشر" الملكية ذات سلطان مطلق. إنتصرت إنتصارا باهرا في بداية الحرب الشمالية في الفترة من ١٧٠٠ – ١٧٢١ التي نشبت عند إعتلاء "كارل الثاني عشر" عرش السويد، إلا انها هُزمت شر هزيمة من قبل حلف قوي تزعمته روسيا وأجبرت على التنازل عن اجزاء كبيرة من ممتلكاتها لروسيا بمقتضى معاهدتي "ستوكهولم" سنة ١٧٢٠ و"نياستاد" سنة ١٧٢١ مزقت السويد خلافات قامت من نبلائها وأمرائها في القرن الثامن عشر.

أعاد الملك غوستاف الثالث الحكم المطلق سنة ١٧٧٢ ولكنه اغُتيل، خلفه الملك "غوستاف الرابع" الذي حكم السويد حكمًا استبداديًا طاغيًا والذي إنضم إلى تحالف دولي ضد "نابليون" سنة ١٨٠٣ وأجبر على التنازل عن فنلندا لروسيا سنة ١٨٠٨ وأسقطته ثورة شعبية سنة ١٨٠٨، خلفه بعدها عمه الملك "كارل الثالث عشر"، بيد أن السياسة كانت بيد ولي العهد المارشال الفرنسي "جين تشارلزبيرنادوت" الذي أصبح فيما بعد "الملك كارل الرابع عشر" سنة ١٨١٨ وهو مؤسس الأسرة الملكية الحالية.

آخر حروب السويد كانت ضد نابليون مع الحلفاء في الفترة من ١٨١٣ – ١٨١٤ كافأها بسببها مؤتمر فينا بأن ضم إلينا النرويج تحت سلطة ملك السويد بصورة إتحاد إنحل سليماً سنة ١٩٠٥. إلتزمت السويد الحياد منذ سنة ١٨١٥ في جميع الحروب التي دارت في العالم منذ تلك السنة وحتى اليوم وكان هذا أهم أسباب تقدمها الصناعي الذى بدأ في القرن التاسع عشر وترسخت مبادئ سيادة القانون والحرية لدى المجتمع السويدي وهاجر خلال تلك الفترة اعداد كبيرة من السويديين إلى الولايات المتحدة الأمريكية قدر عددهم باكثر من مليون ونصف مهاجر.

وشهد القرن العشرين ظهور الجمعيات التعاونية والحزب الإشتراكي الديمقراطي الذي حكم السويد منذ الثلاثينات وحتى سنة ١٩٧٦ واستعاد الحكم سنة ١٩٨٢ إلى سنة ١٩٩١ تحولت السويد منذ بداية القرن العشرين إلى رائدة الحركة التعاونية في العالم أثار علاجها الموفق للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية ورخاؤها اعجاب العالم، ولقد سنت الحكومة تشريعات اجتماعية وقوانين تعاونية تقدمية سبقت بها دول العالم الأخرى مما جعلها دولة الرفاهية الأولى في العالم.

السويديون في رسالة ابن فضلان سنة ٩٢١ ميلادية...

من أقدم المخطوطات العربية التي تحدثت عن "الروس"، وهم السويدين الذين إستوطنوا ما يعرف اليوم باسم روسيا وأوروبا الشرقية وأشتهروا باسم "الروس" مخطوطة رسالة ابن فضلان ،لمؤلفها أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول الخليفة العباسي "المقتدر بالله" أبي الفضل جعفر إبن الخليفة المعتضد يصف ما شاهده في بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم من إختلاف مذاهبهم وأخبار ملوكهم وأحوالهم.

لقد قام ابن فضلان برحلة إلى تلك البلدان بدأت يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩هـ الموافق ٢١ يونيو ٩٢١م واستغرقت في الذهاب أحد عشر شهرا بأمر من الخليفة العباسي "المقتدر بالله"، واجه فيها ابن فضلان ورفاقه الأهوال والخطوب، وننقل هنا الجزء الخاص بالروس كما ورد في مخطوطته التي حققها وعلق عليها وقدم لها الدكتور" سامي الدهان" عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ونشرتها مكتبة الثقافة العالمية ببيروت (الطبعة الثانية ٨٧) جزء رحلة ابن فضلان عند الروسية صفحة ١٤٩ ـ ١٦٦.

قال: [ورأيت الروسية، وقد وافوا في تجاراتهم، ونزلوا على نهر إتل (نهر الرس)، فلم أر أتم أبداناً منهم كأنهم النخل، شقر حمر لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين (معاطف وقفاطين أو جاكيتات) ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج إحدى يديه منه. ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا وسيوفهم صفائح مشطبة أفرنجية ومن حد ظفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك.

وكل إمرأة منهم فعلى ثديها حقه (وعاء من خشب او عاج) مشدود إما من حديد وإما من فضة وإما من نحاس وإما من ذهب، على قدر مال زوجها ومقداره. وفي كل حقه حلقه فيها سكين مشدودة على الثدي أيضا. وفي أعناقهن أطواق من ذهب وفضة؛ لأن الرجل إذ ملك عشرة آلاف درهم، صاغ لإمرأته طوقاً، وإن ملك عشرين ألف صاغ لها طوقين وكذلك كل عشرة آلاف يزدادها طوقاً لإمرأته. فربما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة

وأجل الحلي عندهم الخرز الأخضر من الخزف الذي يكون على السفن يبالغون فيه ويشترون الخرزة بدرهم وينظمونه عقودا لنسائهم.

وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الطعام، بل هم كالحمير الضالة، يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم ب "إتل" وهو نهر كبير ويبنون على شطة بيوتاً كبارا من الخشب. ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر، ولكل واحد سرير يجلس عليه ومعهم الجواري الرّوقة للتجار (الجواري الجميلات يرقن للناس)، فينكح الواحد جاريته، ورفيقه ينظر إليه. وربما إجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض. وربما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه.

ولابد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه (أقذره وأنجسه). وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة، ومعها قصعة (وعاء) كبيرة فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة، ثم يمتخط ويبصق فيها، ولا يدع شيئاً من القذر إلا فعله في ذلك الماء، فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه، ولا

تـزال ترفعهـا مـن واحـد إلى واحـد حتى تـديرها على جميـع من في البيـت. وكل واحـد مـنهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها.

وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ، حتى يـوافي خشبة طويلـة منصوبة لهـا وجـه يشبه الانسـان، وحولها صـور صـغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض، فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها، ثم يقول لها: "يـارب قد جئـت من بلد بعيد، ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلدًا" حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته. ثم يقول "وجئتك بهذه الهدية" – ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة – ويقول: "أريد أن تـرزقني تـاجراً معه دنـانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما أريد ولا يخالفني فيما أقول"؛ ثم ينصرف.

فإن تعسر عليه بيعه وطالت أيامه، عاد بهدية ثانية وثالثة فإن تعذر ما يريد حمل إلى كل صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة، وقال: "هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوه" فلا يـزال يطلب إلى صورة صورة يسألها، ويستشفع بهـا ويتضرع بين يديها، فربما تسهل له البيع فباع، فيقول "قد قضي ربي حاجتي، وأحتاج أن أكافيه". فيعمد إلى عدة من الغـنم أو البقـر فيقتلـها ويتصدق ببعض اللحـم، ويحمل البـاقي فيطرحـه بين يـدي تلك الخشـبة الكـبيرة والصـغار الـتي حولهـا. ويعلـق رؤوس البقـر أو الغـنم علـى ذلـك الخشـب المنصوب في الأرض فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك. فيقول الذي فعله: "قد رضي ربي عني وأكل هديتي".

وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم، وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئا من الخبز والماء، ولا يقربونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه في كل أيام مرضه لاسيما إن كان

ضعيفاً أو مملوكاً. فإن بريء وقام رجع إليهم، وإن مات أحرقوه، فإن كان مملوكاً تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير.

وإذا أصابوا سارقاً أو لصاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه حبلا وثيقا وعلقوه فيها، ويبقى معلقاً حتى يتقطع من المكث بالرياح والأمطار.

وكان يقال لي إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أمورا أقلها الحرق. فكنت أحب أن أقف على ذلك، حتى بلغني موت رجل منهم جليل فجعلوه في قبره وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها.

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيره ويجعلونه فيها ويحرقونها والغني يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة أثلاث، فثلث لأهله وثلث يقطعون له به ثيابا وثلث ينبذون به نبيذا يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها.

وهم مستهترون بالنبيذ يشربونه ليلاً ونهاراً، وربما مات الواحد منهم والقدح في يده وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه: "من منكم يموت معه؟" فيقول بعضهم "أنا" فإذا قال ذلك فقد وجب عليه لا يستوي له إن يرجع أبداً، ولو أراد ذلك ما ترك، وأكثر من يفعل هذا الجواري.

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه: "من يموت معه"؟ فقالت إحداهن: "أنا" فوكلّوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث سلكت، حتى أنهما ربما غسلتا رجليها بأيديهما. وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له، وإصلاح ما يحتاج إليه والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة.

فلما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية، حضرت إلى النهر الذي فيه سفينته فإذا هي قد أخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك وغيره وجعل أيضا حولها

مثل الأنابير الكبار من الخشب، ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب، وأقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا أفهم، وهو بعد في قبره لم يخرجوه. ثم جاءوا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضربات (المساند) الديباج الرومي (ضرب من الثياب)، ثم جاءت إمرأة عجوز يقولون لها ملك الموت، ففرشت على السرير الفرش الذي ذكرنا وهي وليت خياطته وإصلاحه، وهي تقتل الجواري؛ ورأيتها جوان بيرة (تمتهن السحر) ضخمة مكفهرة.

فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحوا الخشب، واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه، فرأيته قد إسود لبرد البلد وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذا وفاكهة وطنبوا فأخرجوا جميع ذلك، فإذا هو لم ينتن ولم يتغير منه شيء غير لونه.

فألبسوه سراويل ورانا (الران نوع من الأحذية) وخفاً وقرطقاً وخفتان ديباج له أزار ذهب، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمورية، وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة. واجلسوه على المضربة وأسندوه بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه. وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه، وجاءوا بكلب فقطعوه نصفين وألقوه في السفينة. ثم جاءوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا، ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمها في السفينة. ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضا وألقوهما فيها ثم أحضروا ديكا ودجاجة فقتلوهما، وطرحوهما فيها والجارية التي تريد أن تقتل ذاهبة وجائيه تدخل قبة قبة من قبابهم، فيجامعها صاحب القبة، ويقول لها: "قولي لمولاك إنما فعلي هذا من محبتك".

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاءوا بالجارية إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب، فوضعت رجليها على أكفّ الرجال، وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام لها

فأنزلوها، ثم أصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الأولى ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا إليها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة.

فسألت الترجمان عن فعلها فقال: "قالت في أول مرة أصعدوها: هو ذا أرى أبي وأمي وقالت في الثانية: هو ذا أرى جميع قرابتي الموتى قعودا، وقالت في المرة الثالثة: هو ذا أرى مولاي قاعداً في الجنة، والجنة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فأذهبوا بي إليه" فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كاناً عليها ودفعتهما إلى المرأة التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها. ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما إلى الجاريتين اللتين كانتاً تخدمانها وهما إبنتا المرأة المعروفة بملك الموت. ثم أصعدوها إلى السفينة، ولم يدخلوها إلى القبة.

وجاء الرجال ومعهم التراس (جمع ترس وهو الدرع) والخشب ودفعواً إليها قدحاً نبيذا فغنت عليه وشربته. فقال لي الترجمان: "إنها تودع صواحباتها بذلك" ثم دفع إليها قدح آخر، فأخذته وطولت الغناء، والعجوز تستحثها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها. فرايتها وقد تبلدت (ترددت بحيرة) وأرادت دخول القبة فأدخلت رأسها بينها وبين السفينة، فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة، ودخلت معها.

وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيزع غيرها من الجواري، ولا يطلبن الموت مع مواليهن. ثم دخل إلى القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية. ثم أضجعوها إلى جانب مولاها وأمسك إثنان رجليها وإثنان يديها، وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً مخالفاً ودفعته إلى إثنين ليجذباه. وأقبلت

ومعها خنجر عريض النعل، فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت.

ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة وأشعلها بالنار ثم مشي القهقري نحو قناة إلى السفينة، ووجهه إلى الناس والخشبة المشعلة في يديه الواحدة، ويده الأخرى على باب أسته، وهو عريان حتى أحرق الخشب المعبأ الذي تحت السفينة من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها.

ثم وافى الناس بالخشب والحطب، ومع كل واحد خشبة قد ألهب رأسها فيلقيها في ذلك الخسب فتأخذ النار في الخطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار وأضطرم تسعرها وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي، فسألته عما قال له، فقال: "إنه يقول أنتم يا معشر العرب حمقى" فقلت: "ولم ذلك؟" قال: "إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليم فتطرحونه في التراب، وتأكله التراب والهوام والدود، ونحن نحرقه بالنار في لحظة، فيدخل الجنة من وقته وساعته" ثم ضحك ضحكا مفرطا، فسألت عن ذلك فقال "من محبة ربه له، قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة" فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رمادا رمددا.

ثم بنو على موضع السفينة، وكانوا قد أخرجوها من النهر شبيها بالتل المدورّ ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك (كلمة فارسية الأصل يُقصد بها أحد أنواع الخشب موطنه الهند على الأرجح) وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس، وانصرفوا.

قال: [ومن رسم ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده، فهم يموتون بموته ويقتلون دونه ومع كل واحد منهم جارية

تخدمه وتغسل رأسه، وتصنع له ما يأكل ويشرب، وجارية أخرى يطؤها، وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره وسريره عظيم مرصع بنفيس الجوهر، ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه وربما وطيء الواحدة منهن بحضرة أصحابه الذين ذكرنا. ولا ينزل عن سريره، فإذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت وإذا أراد الركوب قدموا دابته إلى السرير فركبها منه وإذا أراد النزول قدم دابته حتى يكون نزوله عليه. وله خليفة يسوس الجيوش ويواقع الأعداء ويخلفه في رعيته].

إنتهى حديث ابن فضلان عن الروسية أو السويديين القدماء عندما كان العرب المسلمون يعيشون قمة التحضر الانساني ويغتسلون في اليوم خمس مرات أو أكثر، كان السويديون يعيشون كالأنعام أو أضل سبيلاً ولم يعرفوا النظافة إلا منذ عهد قريب جداً لا يجاوز المائة عام، ومازالوا يمارسون ما جبلوا عليه منذ أكثر من ألف سنة أو بعضه.

السويد اليوم..

لعلنا تحدثنا بما فيه الكفاية وربما أكثر عن ماضي السويد كما قرأته في جميع المراجع التي وقعت تحت يدي، وإن كانت رسالة ابن فضلان أصدق هذه المراجع جميعها، أحسب ذلك لأن ابن فضلان كان رجلا تقياً ورعاً وصف ما شاهده بعينه لا ما وقر في قلبه واستهجنه أو إستلمحه ولكن كيف هي السويد اليوم في عقد التسعينات من القرن العشرين أي في نهايته؟ كيف هي بعد مرور أكثر، من ألف سنه من زيارة أو رؤية ابن فضلان لأهلها؟.

السويديون اليوم من أنظف شعوب أوروبا، ولا أقول خلق الله كما أن بلدهم من أنظف بلدان العالم وأكثرها تنظيماً. تدخل الحافلة البحرية قادمة من مدينة كوبنهاغن على مدينة "مالمه" الركاب في الحافلة كأن على رؤوسهم الطير أحاديثهم همسات والمتحدثون قلة، فالغالبية العظمى منهم منهمكون في قرأة كتب أو مجلات حملوها معهم تقترب الحافلة رويدا من الرصيف فتقف بكل هدوء ودون ضجيج ولا صراخ، شخص واحد فقط من المقدمة يهيء الحبل للرباط ثم يقفز إلى الرصيف ليربط الحبل ثم يتجه للخلف ليربط المؤخرة، كل هذا العمل يقوم به شخص واحد.

في الدول الأخرى لا يقل العدد عن خمسة يتصايحون ويتقافزون ويتبرمون كأنهم يربطون ناقلة نفط!!، يدخل الركاب إلى مبنى المحطة بكل انتظام يقف عند المدخل أحد ضباط الجوازات، يفرق بين الأسكندنافيين وأصحاب الشعور السوداء مثلي، أصحاب الشعور الشقراء يمرون من بوابة كتب عليها الإسكندنافية فقط وليس مطلوب منهم البتة أن يبرزوا هوياتهمأو أية وثيقة أخرى، يكفي الشعر الأصفر فهو أصدق وثيقة إثبات!، أتصنع عدم الفهم وأتبع أصحاب الشعور الشقراء، يستوقفني الضابط ويشير إلى

البوابة الأخرى التي كُتب عليها "الجنسيات الأخرى" فأمر من خلالها وأقف عند ضابط الجوازات يتفحص الجواز ويبحث عن التأشيرة يتأكد منها ويختم الجواز بختم الدخول، ثم ضباط الجمارك، أيضا إنهم يتفحصون الوجوه قبل الأمتعة، مثلي يجب أن يقف عندهم ويفتح حقائبه للتفتيش، كنت في إحدى المرات منزعجا، وضعت حقيبتي فوق منضدة التفتيش تبرمت قائلا: ولماذا أنا الوحيد من بين جميع الركاب الذي أخضع للتفتيش؟ مسئول الجمارك ليس مجبرا على الرد.. أكرر إستفساري: هل لأن شعر رأسي أسود وليس أشقر؟ الرجل باشر عمله بكل هدوء وليس لديه أي رغبة في الرد على ملاحظاتي، وأواصل: إن ملك السويد لديه شعرا أسودا وليس أشقر و... وهنا توقف الرجل وقال: لا شأن لك بملكنا، إني هنا أطبق القانون وأنا الذي أقدر من يخضع للتفتيش لا أنت، إعتذرت له، يبدو إنني إقتربت من المنطقة المحرمة التي لا يجوز أبدا الإقتراب منها وأعني بها الحديث عن الأسرة المالكة التي تحظى بإحترامهم. أنهى الرجل تفتيش حقيبتي أمرته بأن يعيد ترتيب الحقيبة كما كانت إنصاع الرجل، تشجعت لقد جاء دوري الآن إنني لم أخالف في حياتي قانون أية دولة زرتها، بل إنني لا أذكر أنني خالفت أي قانون في أي مكان، أنهى الرجل ترتيب الحقيبة ربما أفضل مما كانت قلت له أقلها، أقفلها ثم سلمني المفتاح، ثم قلت له لقد عطلتني فقد غادرت جميع سيارات الأجرة المحطة الآن فعليك أن تطلب لي واحدة بواسطة الهاتف. لم يتردد الرجل أن هذا من صميم عمله أو عمل أي شخص آخر في المحطة وليس هناك شخص آخر سواه.

جاءت سيارة الأجرة في دقائق معدودة ودعت الرجل الذي لم يتبرم ولم يغضب سيارات الأجرة في السويد لها مواقف معينة تقف عندها ولها علامات يعرفها الناس، إذ أنها مثبة على خرائط المدن التي توزع مجانا كما أنها -أي سيارات الأجرة- تقف عادة

عند الأماكن العامة كمحطات القطارات أو الحافلات التي تنقل الركاب بين المدن أو البلدان المجاورة أو الأماكن التي يكثر تردد الناس عليها كالمجمعات التجارية الكبيرة والأسواق وغير ذلك. وما عدا ذلك فلا بد من طلب سيارة الأجرة بالهاتف وسائق سيارة الأجرة في السويد كأنه قائد طائرة لا يرتدي زياً معيناً ولكنه يتأنق في ملبسه ويستعمل رباط العنق، وجميع السيارات في حالة ممتازة جدا، كما أن السائق لا يأخذ أكثر مما يسجله العداد، ولكنه يغدو ممتناً إذا ما نفحه الراكب أكثر من حقه.

يغلب على مباني المدن الطابع القديم من الخارج الذي يحتفظون به ويرممونه مهما كلفهم ذلك، أما من الداخل فعلى أحدث طراز ولا علاقة بين الشكل الخارجي التقليدي القديم والشكل الداخلي الحديث، والمسافات بين تلك المباني متساوية ومنسقة، كما ان المباني، رغم قدمها في مستوى واحد فليس هناك مبنى يناطح السحاب وآخر بجواره التصق بالأرض، أما المباني الشاهقة فهي عادة ما تكون متفردة شبه منعزلة عن بقية المباني.

الطرقات والشوارع في غاية النظافة فليس هناك شوارع أمامية نظيفة وشوارع خلفية قذرة كبعض المدن الكبرى او معظم المدن الأوروبية والأمريكية، كما أنه لا توجد أحياء نظيفة وأحياء قذرة أو أقل نظافة! نعم توجد هناك أحياء راقية والمقصود بهذا أنها أحياء يقطنها أغنياء المدينة وأن منازلها أو شققها أغلى من غيرها. كما توجد أحياء أخرى يعيش فيها البسطاء من الناس كالمهاجرين أو الطلبة. ولا وجود للأحياء الفقيرة، إذ أن الفقر بمعناه المعروف والمألوف في سائر مدن العالم لا وجود له في السويد، فقد تكلفت القوانين الإشتراكية وما إنبثق عنها من ضمان إجتماعي وصحي وغيره بمساواة الناس في الواجبات والحقوق.

وتجربة السويد الإشتراكية تجربة لا مثيل لها فهي إشتراكية ديمقراطية إنسانية، وليست كإشتراكيات دول أوروبا الشرقية ولا حتى دول أوروبا الغربية التي طبقت النظام الإشتراكي في فترات من تاريخها، ولأنها تجربة فريدة في مسيرة الإنسانية، فإنني سوف أتحدث عنها بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة.

الحدائق والمتنزهات جزء أساسي من المدن السويدية، فليس هناك مدينة لا تتوسطها أو تتناثر على أطرافها حدائق ومتنزهات كبيرة مسطحات خضراء للجلوس والإسترخاء ومداعبة الأطفال، ألعاب الأطفال ركن أساسي من أية حديقة أو متنزه وفرّتها الدولة لهم مجاناً، هناك أيضا طرقات خاصة وسط الحدائق للدراجات ولهواة الجري والمشي والألعاب الرياضية التي اشتهرت عالميا باسم "الألعاب السويدية".

السويديون يمارسون الرياضة متى ما توفرت لهم الفرصة في أي مكان وبلا حرج أو خجل، لأن الأمر لا يدعو للخجل على الإطلاق كما هو شعور اغلب العرب، لذا فإن الأحجام الكبيرة والأجسام الضخمة نادرة بينهم، فهم يتصفون بالرشاقة الجسمانية وتناسق القوام رجالاً ونساءً شيباً وشباناً ورغم أنهم مولعون بإلتهام البوظة "الآيس كريم" إلا أن ممارسة الرياضة لا تدع مجالا لزيادة الوزن. والحِمية الغذائية عندهم عادة جبلوا عليها وليست هدفا يتركونها مثلا عندما تحقق أهدافها.

قائمة الأفطار لا تتجاوز شريحتان أو ثلاث من الخبز وشيئا يسيراً من الزبد والمربى والحليب والزبادي والقهوة، ثم في فترة الغداء يتناولون عادة الشطائر وبعض الخضروات التي لا تخلو منها وجبة تقريباً، غدائهم خفيف حيث يتناولونه وهم في عجلة من أمرهم، أما العشاء فهو الوجبة الرئيسية ويتناولونها بعد عودتهم من العمل ما بين السابعة والتاسعة مساء ثم يتسمرون أمام التلفاز حيث يشترك أغلبهم في محطات أوروبية وعالمية عديدة أو

أنهم يقرأون، لا وقت ضائع لديهم ولا مقاهي يرتادونها أو طرقات يتسكعون فيها، معظم رواد المقاهي أو الحانات هم من المهاجرين أو اللاجئين.

يبدأ العمل عندهم عادة في الساعة التاسعة صباحاً وحتى الخامسة مساء، وكلمة مساء هذه تعتمد على الفصول، ففي شهر الصيف تغيب الشمس في الساعة الحادية عشرة مساء أما في شهر الشتاء فتغيب عند الخامسة أو قبلها بقليل، لديهم ساعة واحدة للغداء يتناولونه خفيفاً، بينما يتناولون القهوة طوال النهار تقريبا وهم مسرفون فيها. لا وقت لديهم لقراءة الجرائد والمجلات أو للثرثرة في الهاتف أثناء العمل، فكل لديه ما يشغله ويمارسون عملهم بكل دقة ونظام وبصمت وهدوء، كما أنه ليس لديهم تعال غدا أو بعد أسبوع، إن كان للمرء مسألة فانهم يحاولون حلها أو يدلونه على من يحلها.

ولقد تغلبوا على قلة الأيدي العاملة أثناء الطفرة الصناعية والإقتصادية بإستخدام الآلات وأجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) التي تؤدي عمل مجموعة من الموظفين، مكاتبهم منظمة ونظيفة، لا أثر للأوراق والملفات المكدسة فوقها.

يعيش السويديون في مجمعات سكنية خاص في ضواحي المدن وأطرافها، عبارة عن مبان متساوية الإرتفاع والتصميم وبين هذه المجمعات حدائق ومتنزهات تكثر فيها لعب الأطفال المختلفة والمقاعد، كما توجد حظائر ومرائب للسيارات خارج المجمع السكني حيث يركن السكان سياراتهم فيها ثم يتوجهون مشيا إلى شققهم إو منازلهم، حتى المناطق الراقية التي توجد فيها بيوت خاصة سواء من طابق واحد أو طابقين توجد مرائب السيارات خارج المنطقة السكنية المغلقة في وجه السيارات، وذلك حفاظاً على البيئة من التلوث والأطفال من الحوادث.

أما في المجمعات السكنية ذات الشقق فتوجد مثلا في العمارة الواحدة جميع الخدمات الضرورية لسكان العمارة بصورة مشتركة، فلا يرى المرء في طول السويد وعرضها شقة واحدة قد نشر أصحابها غسيلهم أو ملابسهم المغسولة في الشرفات لأن هذا منظر يؤذي البصر عندهم، كما أنه مظهر غير حضاري، فيوجد في أسفل العمارة وتحت الأرض عادة غرفة خاصة للغسيل توجد بها غسالة لغسيل الملابس وغرفة أخرى لتجفيفها وللغرفتان مفتاح يتم تعليقه عند الباب، كما توجد على الباب لوحة تبين أيام الأسبوع والساعات بحيث يستطيع ساكن العمارة أن يحجز الوقت المناسب لإستخدام الغرفة لذا فإن غيره لا يستطيع استخدامها في ذلك الوقت.

وهم يعتمدون على الثقة بينهم في احترام ادوارهم، وإذا حدث مثلا أن ساكناً ما قد تأخر في جمع ملابسه ودخل وقت غيره، عليه أن يعتذر له وهذا يحدث نادرا لأن كل شيء محسوب بدقة بدءا من وقت الغسيل وحتى التجفيف، ثم هناك غرف أو أقفاص كبيرة تغلق بالمفتاح أسفل المبنى، كل شقة تتبعها غرفة أو قفص يحمل نفس رقم الشقة وتستخدم هذه الأقفاص أو الغرف في تخزين حوائج صاحب الشقة كالدراجات التي لا تُستخدم إلا في فصل الصيف مثلا وغيرها من الأدوات التي يستغني عنها صاحبها مثل بعض قطع الأثاث.

كما توجد في بعض المباني كمبنى سكن الطلبة الذي أقمت فيه ثلاث سنوات ونيف غرف خاصة تحت الأرض تستخدم كملجأ ضد الحرب النووية ولها أبواب ثقيلة جداً كأبواب خزانات البنوك التي تُحفظ فيها الودائع، وكل هذه التسهيلات مثل الغسالة وآلة التجفيف وغيرها تعتبر من ضمن أجهزة المبنى أو العمارة يوفرها المالك لخدمة السكان.

كما توجد في كل طابق فتحة متصلة بأنبوبة كبيرة واسعة تمتد من الأرض حتى الطابق الأخير في البناية، وتستخدم هذه الفتحة في تجميع مخلفات الشقق والقمامة بحيث تلف جيدًا في كيس من اللدائن "البلاستيك" ثم تقذف في هذه الفتحة حيث تهوي في الأنبوبة إلى أسفل وتتجمع هذه الأكياس في كيس كبير وسط حاوية، حيث يقوم عمال النظافة كل يوم في وقت معين بجمع هذه الأكياس واستبدالها بأكياس نظيفة، وهكذا تبقى الحاوية دائما نظيفة. أما الزجاجات وغيرها من المخلفات التي قد تسبب أذى أو تلوثاً فإنهم يتركونها في مكان بارز عند نهاية الطريق، حيث يتم جمعها بصورة منفصلة لإعادة تصنيعها، أما العلب المعدنية كعلب المرطبات فيتم جمعها في كيس خاص حيث يتم إعادة بيعها مرة أخرى، وهكذا بدرجة عالية من التنظيم أصبحت النظافة عندهم – ليست من الإيمان لأنه لا إيمان لهم – بل مسلكا وعادة درجوا عليها منذ الصغر وعادة من يقوم بوضع المخلفات في أماكنها المخصصة هم الأطفال حتى يتعودوا منذ الصغر على مبادئ النظافة.

أما بالنسبة للشقق السكنية، فنظرا للحرية الشخصية والاستقلالية فقد إنتشرت في العقود الأخيرة الشقق السكنية الصغيرة التي تكفي لفرد واحد وهي عبارة عن غرفة نوم وصالة ومطبخ وحمام، ذلك لأن الفتى أو الفتاة عندما يبلغ الواحد منهما الثامنة عشرة من العمر، وحتى قبل هذه السن أحيانا، يبادر إلى الاستقلال بحياته والإقامة بعيداً عن والديه أو أحدهما في حالة الانفصال، ليبدأ حياته أو حياتها إما عاملا أو طالبا أو الاثنين معا وذلك أن الغالبية العظمى من الطلبة والطالبات خاصة في المرحلة الجامعية لديهم أعمال يزاولونها. إما كل الوقت أو بعضه، أي بصفة ثابتة أو مؤقتة كالعمل سقاة في المقاهي والمطاعم والحانات والمراقص أو المستشفيات وغيرها من الأعمال التي لا تتطلب تخصصاً

عاليا وهو مسلك طبيعي جدا ولا يثير الإستغراب أو الإستهجان، فالإعتماد على النفس صفة موروثة يتعلمونها منذ الطفولة.

وكل شقة تتوفر فيها الثلاجة وجهاز الطبخ الكهربائي وخزانات للأواني وأخرى للملابس وجهاز التدفئة، وهي من مكونات الشقة الأساسية التي يوفرها المالك للساكن ونادراً جداً ما تتوفر في السويد الشقق المفروشة، إذ ان عملية شراء الأثاث وإعادة بيعه عملية سهلة جداً، ويتم تقسيطها على دفعات، فالسويد هي بلد الأثاث الأولى في العالم

التدفئة في الشقق والمباني في المدن عملية مركزية توفرها الحكومة وهي تتم في معظمها بواسطة حرق القمامة التي تجمع من الدور السكنية نفسها، تذهب نفايات وتعود دفئاً، والحرارة في الشقة تتراوح ما بين ١٨ – ٢٠ درجة مئوية بفعل نظام التدفئة المركزي المحكم، ولقد حسبوها طويلا ووجدوا أن هذه هي الدرجة المثلى لجسم الإنسان بغض النظر عن مدى تحمله لها حراً أو برداً، وهذا النظام هو حقيقة من عجائب الإنجازات السويدية في نظري مقارنة مع ما جربته في بعض دول أوروبا الغربية أو دول أوروبا الشرقية التي إما أن ترتفع فيها درجة حرارة الغرفة إلى درجة لا تُطاق أو تنخفض بحيث تبعث القشعريرة في الجسم.

أما بالنسبة للمياه فهي من أرخص وأعذب وأنقى المياه في العالم أُسوة بباقي دول الشمال ولا تكلف الساكن شيئا يذكر وتصل إليه باردة أو عادية وساخنة من جهاز تسخين يقع أسفل كل بناية، وهي لا تنقطع أبداً وتدفق بكل قوة مهما كان علو المبنى، أما الطاقة الكهربائية فهي الأخرى رخيصة نظراً لإستخدام السويد الطاقة النووية في توليد الكهرباء

ولقد طلبت في إحدى المرات مع مجموعة من الدارسين زيارة محطة الطاقة النووية التي تقع خارج مدينة "مالمو" من السلطات المختصة، وتم تسهيل الأمر لنا وزرنا المحطة

وشاهدنا على الطبيعة كيف تعمل هذه المحطة؟، وكان عدد الموظفين والفنيين فيها لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة، وعلق أحد الزملاء العرب على ذلك قائلا: لو كانت هذه المحطة عندنا لأقام الجيش كله على حراستها وعلى رأسهم رئيس الجمهورية!! وهنا لا يكاد يلحظ المرء أية إجراءات أمنية مشددة وهي في الحقيقة موجودة ولكن بأساليب متطورة وخفية لا تكاد تبين ولم يسمح لنا بالتصوير وتم تفتيشنا تفتيشاً "الكترونياً" دقيقاً.

يستخدم معظم السويديين المواصلات العامة في التنقل وهي الأخرى على درجة عالية من التنظيم والتطور، لا توجد قطارات الأنفاق سوى في العاصمة ستوكهولم، و "الترام" يوجد فقط في مدينتا "غوتوبوي" ثاني أكبر مدن السويد ومدينة "نورشوبنغ" إحدى المدن الكبيرة في وسط الجزء الجنوبي من البلاد، وجميع المدن بما فيها تلك المدن التي ذكرناها تستخدم الحافلات "الباصات أو الأتوبيسات" العامة في النقل، وهي صناعة سويدية صنعتها إما شركة "فولفو" أشهر شركات صنع السيارات في العالم أو شركة "سكانيا" واحدة من أكبر شركات صنع الحافلات وسيارات الشحن الكبيرة في العالم.

تقف الحافلات في محطات خاصة وسط المدن أو في الضواحي وفي كل محطة جدول بمواعيد مغادرة هذه الحافلات، وإذا حدث أن وصلت الحافلة مبكرة عن موعدها، فإنها تنتظر حتى يصل موعد مغادرتها، كما يوجد في جدول المواعيد هامش التأخير الذي يتراوح ما بين دقيقتين إلى خمسة دقائق في حدة الأقصى، لا يعمل على الحافلة سوى السائق فقط، يصعد الراكب من الباب الأمامي الذي يفتح نصف فتحة تكفي لدخول الشخص في الشتاء ويدفع الأجرة للسائق الذي يقدم له إيصالا يحتفظ به حيث يتيح له إستخدام حافلة أخرى في نفس اليوم لنفس الإتجاه إذا رغب في ذلك، وتفوق قيمة الأجرة دولارا أمريكياً واحداً وهو مبلغ مرتفع نسبة إلى باقي دول أوروبا الغربية ويوجد في منتصف

الحافلة مساحة للوقوف أو لوضع عربات الأطفال فيها، حيث أنهم أي الأطفال وذويهم بعدد شخص واحد لكل طفل يستخدمون المواصلات العامة مجانا احتراماً للأطفال وتشجيعاً لكثرة النسل لا تحديده!! وليس هناك إزدحام يذكر على الحافلات، اللهم في بهض الخطوط وفي ساعات معينة هي ساعات الذهب للعمل أو العودة منه.

أما في فصل الصيف فيفضل السويديون إستخدام الدراجات للتنقل، كما أنهم يحملون أطفالهم خلف دراجاتهم على مقعد خاص مع ضرورة لبس الطفل خوذة خاصة تقي رأسه الإصابة في حالة وقوع الدراجة على الأرض مع ربط حزام المقعد!! وهناك طرق خاصة للدراجات تم تمييزها بواسطة رسم دراجة على الأرض.

الطرقات والشوارع في السويد نظيفة تماماً، فلا أثر لمهملات أو أوراق إطلاقاً على الأرض، تنتشر سلال المهملات وقد علقت بأعمدة النور يستخدمها الجميع، الأطفال قبل الكبار وقد وضعت في وسطها أكياس ورقية حتى تبقى السلة نظيفة، والورق عندهم متوفر بكثرة، الحمامات العامة من أنظف الحمامات العامة في العالم، يتم تنظيفها وتطهيرها بالمطهرات يومياً ويوضع فيها الصابون السائل والفوط الورقية، وهي عموما أنظف ما في دورهم حيث تزود بالعطور والصور الجميلة أو المجسمات التي تمثل ورودا أو مناظر طبيعية أو مناظر تثير البسمة أو الضحك!.

أما مقابرهم، خاصة تلك التي تقع وسط المدن، فهي حدائق ومتنزهات نصبت في ساحتها شواهد مختلفة الأشكال والأحجام، تحمل هذه الشواهد أسماء الموتى وتاريخ ميلادهم ووفاتهم، وفيها طرقات للمشاة ومقاعد للجلوس وتنمو فيها الأشجار الباسقة والورود أو الزهور في فصل الربيع أو الصيف، وهم غالباً ما يحرقون موتاهم ثم يضعون الرماد في قارورة ويدفونها تحت الأرض ويقيمون عليها شاهدا، يقولون إن دفن الرماد، أو

عملية الحرق أكثر نظافة من عملية الدفن التي تبعث على الاشمئزاز وتجلب الحشرات والهوام!!...

مقابرهم حدائق غناء يتشهي المرء أن يُدفن فيها إذا حان أجله (دفنًا لا حرقًا!!) وهي أبعد ما تكون عن مقابرنا التي تثير الهلع في قلوب الجن والعفاريت قبل الإنس فتولي منها رعبا!!

النظام وإحترام الإنسان بلغ عندهم مبلغه، ورغم ان الطوابير والإنتظام فيها مظهراً حضاريا إذا قيس بفوضى الناس في الدول المتخلفة التي تتقافز فوق بعضها البعض وتتبادل الركلات والصفعات، إلا ان السويديين وجدوا أن الطوابير عادة قديمة لا يلجأ إليها المرء إلا إذا كان مضطرا لذا فإنهم ابتكروا نظام الأرقام، في البنوك والمحلات والعيادات والمستشفيات، بل في كل مكان تقريبا، يدخل المرء إلى المكان فيأخذ رقماً من جهاز صغير يوضع عادة عند المدخل وينتظر إما واقفاً أو جالساً وهو يتصفح جريدته أو كتابا يحمله أو غير ذلك، إذ أن الثرثرة وتجاذب أطراف الحديث مع من يعرفه ولا يعرفه عادة غير محمودة عندهم، وبين كل فترة وأخرى يظهر رقم جديد على شاشة "الكترونية" حمراء يصحبها صوت مميز للتنبيه فيقوم صاحب الرقم المقصود إلى الجهة أو الشخص الذي أضاء تلك اللوحة أو أصدر ذلك الصوت.

وهي لعمري بدعة حسنة أخذت بها بعض الدول العربية ولكن بصورة محدودة جدا وأتمنى أن يعمل بها الناس عندنا بدلا من التزاحم وتبادل الألفاظ النابية والشتائم، لأن شخصا ما تجاوز دوره أو إعتدى على دور غيره!

أما طريقة الحديث عندهم فقد تأملتها طويلا، ووجدت أن مهذبيهم وهم عادة من كبار السن أو المثقفين، لا يشيرون أبدا بأصبع السبابة منفرداً في وجه محدثيهم لأن هذا

يعد شيئا فظاً أو غير مهذب، بل إن طريقة الحديث عند إستخدام اليد للإشارة أو التوضيح، تتم بأن يشير الشخص إلى محدثه بأصابعه الأربعة مجتمعة وملتصقة مع ضم أصبع الإبهام، هذا إضافة إلى عدم مقاطعة المتحدث في كل مرة إلى أن ينتهي من الموضوع على ألا يطيل فيه ويراعي إعطاء الآخرين فرصة للتعليق أو التعقيب بين الفينة والأخرى أما الشباب فإنهم لا يلتزمون بهذه الآداب بينهم، وإن كانوا أكثر تأدباً مع الآخرين.

شيء آخر يلحظه الزائر ليس للسويد فقط، بل لسائر دول الشمال وهو استخدام مصابيح الإضاءة في السيارات ليلا ونهارا، صيفاً وشتاءً، والسبب في ذلك يعود أولا إلى طول الليل في الشتاء وقصر النهار، ثم للأجواء التي يسود فيها الضباب وتتدنى الرؤية، أو ليس معنى "أسكندنافيا" هو جزيرة الضباب أو الظلام كما أسفنا؟... والإلزام هنا مرده العناية الفائقة التي توليها تلك الدول لسلامة أرواح مواطنيها وكل من يقيم على أرضها

وقوانين السلامة في الدول الأسكندنافية عموما قضية يطول شرحها وإن كانت هي من أعظم إنجازاتهم الحضارية. وأرجو أن أتناولها بشيء من التفصيل في فرصة قادمة إن شاء الله تعالى.

تشتهر دول الشمال بصفة عامة، وفنلندا والسويد بصفة خاصة بحمامات "السونا" وهي عبارة عن حمامات عامة مبطنة من الداخل بالخشب وتتميز بدرجة حرارة مرتفعة تجعل جسم الإنسان يتصبب عرقاً وهو الهدف المقصود منها، إذ أنهم يؤمنون بأن الجسم يجدد نشاطه عندما تتفتح مسام الجلد ويتخلص من السوائل الضارة على صورة عرق غزير إلا أنهم وفي أحيان كثيرة وهذا ما شهدته بنفسي، ينطلقون من تلك الحمامات الساخنة جدا جرياً إلى بحيرة قريبة قد ذاب جليدها، ثم يغمرون أنفسهم في تلك المياه في درجة

حرارة أقل من الصفر ولمدة دقائق معدودة !! يقولون إن هذا التغيير المفاجئ في درجة الحرارة من السخونة إلى البرودة الشديدة يبعث الإنتعاش والنشاط في الجسم.

حدثني صديق سوداني عمل سفيراً لبلاده في أقطار عدة قائلا: "زرت السويد في حقبة الستينات، وكان مجتمعاً مغلقاً في تلك الفترة أي نادرا ما كانوا يشاهدون بينهم أشخاصا في لوني، وكان أن عرض علي صديق سويدي قضاء بعض الوقت في أحد حمامات السونا وعندما دخلت إحدى تلك الحمامات، كان البخار كثيفاً، وكان العديد من السويديين في حالة إسترخاء، ولكنهم إنتفضوا بعد برهة عندما رأوني وسألني أحدهم: هل قضيت زمنا طويلا هنا؟! وذلك ظنا منه أنني سويدي أبيض اللون ولكنني قد أكون إحترقت!! وتبدل لوني إلى الأسود نتيجة بقائي مدة طويلة في حمام السونا!!"

الجامعة البحرية العالمية...

ما إن سمعت عن إفتتاح الجامعة البحرية العالمية بمدينة "مالمو" في جنوب السويد حتى سعيت جاهدا للإلتحاق بها، وقصة هذه الجامعة بإختصار شديد، أنه نظرا لكثرة الحوادث البحرية خاصة على سفن دول العالم الثالث، ورغبة من المنظمة البحرية الدولية فيرفع مستوى الوعي البحري لدى مسئولي الموانى والشركات الملاحية والشئون البحرية في دول العالم الثالث، فقد قررت المنظمة البحرية التي هي إحدى منظمات الأمم المتحدة المتخصصة تأسيس جامعة بحرية عالمية ليس فقط لدول العالم الثالث، بل لجميع دول العالم بلا إستثناء.

ولقد تلقت المنظمة عدة طلبات من عدة دول لتأسيس هذه الجامعة في أراضيها، إلا أن المنظمة رأت أن تكون هذه الجامعة في دولة محايدة حتى لا يتم إستقطابها هي وطلابها في أمور إيديولوجية بعيدا عن تخصصها الأصلي وهدفها الأساسي الذي أسست من أجله وحتى تكون محل رضا من جميع دول العالم، فلم يكن هناك سوى السويد الدولة المحايدة والتي تقبل بها جميع الدول ولقد قامت السويد بتوفير مبنى للجامعة وسكن للدارسين ومعونات عينية ومالية أخرى.

وتم إفتتاح الجامعة رسميا في يوليو ١٩٨٣. حيث إلتحقت بها أول دفعة من عدة دول وتمنح الجامعة لخريجها درجة ماجستير العلوم في الدراسات البحرية المتخصصة وكانت تمنح دبلوم عالي في السلامة البحرية،إلا أنها توقفت عن المضي في هذا النظام نظراً لتكلفته العالية، ومدة الدراسة سنتين.تخللها دورات تدريبية لا تقل عن شهرين يقضيها الطالب أو الدارس في التدريب على أساليب الإدارة البحرية الحديثة في عدد من دول العالم المتطور مثل: النرويج والدنمارك وفنلندا وألمانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا وبريطانيا

وروسيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى السويد، ولا تقبل الجامعة إلا حملة الشهادات الجامعية والمسئولين التنفيذيين في قطاع النقل البحري عموما وذلك لتأهيلهم على أساليب الإدارة الحديثة وتعليمهم وسائل تطبيق الخبرات الحديثة واستخدام المعدات والأجهزة المتطورة.

ولقد نجحت الجامعة نجاحاً منقطع النظير تمثل في تهافت الدول على إرسال مدرائها التنفيذيين وحتى كبار مسئوليها للدراسة فيها، مما حداً أيضا بأن ترسل الدول المتقدمة أبنائها للدراسة فيها، ولقد إنتدبت الجامعة كبار الخبراء العالميين للتدريس فيها منهم مثلا: البروفسيور الياباني "نوموتو" احد كبار مصممي السفن في اليابان كان يعمل تحت إمرته وإدارته آلاف المهندسين وله عدة نظريات في تصميم وبناء السفن مسجلة بإسمه في المحافل العلمية الدولية، والبروفيسور العربي المصري "احمد عبد المنصف محمود" أحد خبراء النقل البحري ليس في الوطن العربي فقط، بل على مستوى العالم، تخرج على يديه مئات الدارسين الذين أصبحوا مسئولين كبار في دولهم في مشارق الأرض ومغاربها والبرفيسور الفرنسي "أوسان" الذي كان مديرا عاما لأكبر شركات نقل البترول الفرنسية والتي كانت تبلغ ممتلكاتها مليارات الدولارات وهو أحد الخبراء المتخصصين في إدارة الشركات الملاحية، والبروفيوسور الهندي "فانشسوار" الذي كان يعمل مستشارا لحكومة الهند في شئون النقل البحري، وترأس إجتماعات اللجان المتخصصة في المنظمة البحرية الدولية وساهم في وضع وبلورة العديد من المعاهدات والقواعد الدولية وهو عضو في العديد من الهيئات العلمية البحرية، والبروفيسور النرويجي "ستوبيرد" وزميله البروفيسور "أوس" اللذان يعتبران من كبار خبراء النوريج في النقل البحري ساهماً في تطوير الشرائع البحرية النرويجية حتى أصبحت أكثر الشرائع البحرية تطوراً في العالم بأسره.

والبروفيسور الألماني "زاده" الذي تفتخر به ألمانيا في المحافل الدولية، وتزعم أنه أعظم مساعدة قدمتها ألمانيا للدول النامية والبروفيسور الأسكتلندي العالمي "اليستر كوبر" الذي وضع أطلس البحار والمحيطات ويعتبر أحد كبار خبراء النقل البحري في العالم، تستعين بعلمه وخبرته الدول المتطورة قبل النامية، وغيرهم هذا بخلاف الأساتذة الزائرين أمثال الدكتور "جمال الدين مختار" عضو مجلس إدارة الجامعة البحرية العالمية ورئيس الأكاديمية العربية للنقل البحري بالأسكندرية وأحد كبار خبراء التعليم والإدارة في المجال البحري، وترأس العديد من لجان العمل الرئسية في المنظمة البحرية الدولية وحصل على العديد من الأوسمة من دول متقدمة وتخرج على يديه معظم المسئولين البحريين في الوطن العربي ويعتبر بحق مفخرة لمصر، وغيره العديد من خبراء العالم.

نظراً للمستوى العلمي الراقي والمتطور للجامعة البحرية العالمية بالسويد، فقد اعترفت بها أعرق الجامعات في العالم مثل جامعة "هارفارد" و "اكسفورد" و "كمبرج" و "السوربون" وجامعات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وأسبانيا وألمانيا ومعظم دول العالم، ولقد التحق العديد من خريجي الجامعة بجامعات العالم الأخرى للحصول على درجة "الدكتوراه" ومنهم من حصل عليها بالفعل.

ولقد بلغ عدد جنسيات الدارسين فيها في إحدى السنوات أكثر من ٩٨ جنسية مختلفة، ولا يزال العدد في إزدياد سنة بعد سنة نظراً للفوائد الجمة التي تعود على البلدان لقاء تلقي أبنائها العلم في هذه الجامعة.

ولقد فاق عدد الدول التي إعترفت بالجامعة – رغم عمرها الزمني القصير جداً – المائة دولة، ولقد شذ للأسف الشديد عدد قليل جدا من الدول العربية عن هذا الإجماع العالمي بدعوى "اللوائح" التي ورثوها عن الأسلاف كما يقول القائمون على شئون التعليم في هذه

الدول، ولقد أصدر "الكهنة" أعضاء المحافل المقدسة المسماة بـ "لجان تقييم الشهادات" فتوى بعدم مطابقة شهادات الجامعة البحرية العالمية بـ "الألواح المقدسة!!" لديهم، لذا فإنهم لا يعترفون بشهادات الجامعة التي يعتمدها ويشرف عليها أكبر خبراء العالم في هذا المجال المتخصص.

هل هناك سفاهة في العقول وسخف في الفعل أكثر من هذا؟، هل من بين هؤلاء "المهنة" من يفقه شيئًا في النقل البحري حتى يستطيع تقييم الأبحاث التي أشرف عليها أعظم الخبراء، تلك هي مأساتنا منذ أيام المغول الذين كانوا يدقون أبواب بغداد وأهلها يتقاتلون حول القرآن أمنزل هو أم مخلوق؟ دول العالم تتقدم بخطى حثيثة ونحن لم نكتفي بلعن سباقهم المحموم نحو المجد والقوة، بل وقفنا جامدين نسفه أفعالهم إلى أن جاء اليوم الذي نتسول منهم كل شيء إنها "نكتة" العصر بضعة دول عربية لا تعترف بالشهادات التي تصدرها السويد أرقى دول العالم!! "ربنا لا تؤاخذنا بما يفعل السفهاء منا"

يقع مبنى الجامعة البحرية العالمية بالقرب من شركة "كوكمز" لبناء السفن وهي واحدة من أكبر شركات بناء السفن في العالم، والسويد مشهورة بتطورها المذهل في هذا المجال، وكنا نرقب أثناء الدراسة مراحل بناء سفن الركاب الفخمة وناقلات النفط العملاقة كما تملك الشركة حوض آخر مُحاط بالسرية الشديدة يتم فيه بناء السفن الحربية وخاصة الغواصات، ولقد ترددنا، بحكم تخصصنا الأكاديمي – على مبنى الشركة كثيرًا للتعرف عن كثب على نظريات تصميم وبناء السفن ومن ثم تطبيق هذه النظريات عمليا كان معنا في إحدى الزيارات البروفيسور الياباني "نوموتو" أحد كبار مصممي السفن والأستاذ المحاضر بالجامعة، ولقد وضعوا حوله ما يشبه الحراسة المشددة حتى لا يمكنوه من الإطلاع على أساليبهم أو مخططاتهم في بناء السفن.

كما أن مبنى تصميم السفن يُعتبر من المناطق المحظور الإقتراب منها، لأن في هذه الغرفة يتم تصميم السفن خاصة السفن الحربية والغواصات، ويعلمون جيدًا أن اليابان بدأت نهضتها الصناعية بالتقليد ثم تفقوت في العديد من صناعاتها على الذين أقتبست منهم.

لقد لاحظت الحراسة اللصيقة بالبروفيسور "نوموتو" وكانت على درجة من التهذيب واللباقة، ولفت نظره إلى ذلك فقال: أعلم هذا وهي ليست المرة الأولى، والغريب أن السويد تصنع أفخر وأقوى السيارات في العالم، إلا أن آلات مصانع السيارات عندهم أغلبها يابانية!! شركة "كوكمز" هذه إحدى الشركات السويدية العملاقة وهي أشبه بجمعية تعاونية حيث وفرت لعمالها وموظفيها جميع التسهيلات ووسائل الراحة وكان من ضمن هذه التسهيلات النادي الملحق بالشركة، ولقد حصل جميع الدارسين بالجامعة على عضوية النادي التي تخولهم التمتع بالتسهيلات الموجودة فيه ومن ضمنها إستخدام المطعم الذي يقدم وجبات بأسعار رمزية وأيضا الصالات المغلقة حيث تتوفر مختلف الألعاب من التزحلق على الجليد وألعاب الجليد الأخرى وكرة القدم التي يستحيل ممارستها في الهواء الطلق أثناء فصل الشتاء بالنسبة لنا نحن أبناء الجنوب على الأقل، والسباحة والتنس والسلة والكثير من الألعاب الأخرى.

كان مبنى الجامعة عبارة عن معهد بحري سويدي فيما سبق، وهو جزء من مبنى أكبر يضم مدرسة ثانوية مهنية يتعلم فيها التلاميذ من الجنسين مهن وحرف مختلفة إضافة إلى المواد الدراسية الأخرى، ففي هذه المدرسة توجد تخصصات معينة يدرسها هؤلاء التلاميذ لتكون حرفتهم في المستقبل، مثل النجارة والخياطة والميكانيكا والطبخ وتنسيق الزهور ومختلف الحرف الأخرى التي يحتاجها المجتمع، فليس في مجتمع السويد صبيان

يتعلمون الصنعة من معلمين يضربونهم ويهينونهم ويجرحون طفولتهم وكرامتهم، بل أساتذة متخصصون.

وكنا عندما نذهب إلى الجامعة نمر من خلال المدرسة فيوماً نسمع أصوات مناشير تقطع الخشب ويوما نسمع ضجيج آلات تدور وآخر موسيقى تصدح ثم رائحة طبيخ يتم التدريب على تجهيزه وهكذا كل يوم حرفة، ولهؤلاء التلاميذ يوم واحد في الأسبوع يمارسون فيه الرياضة فكانوا يذهبون إلى نادي ترسانة "كوكمز" لممارسة الرياضة بشتى أنواعها وهو يوم نشاط إجباري، كما أنهم يتناولون غذائهم في المدرسة مجانًا كما هو مُتبع في سائر مدارس السويد، فترة الدراسة عندهم منذ التاسعة صباحاً وحتى الخامسة مساء، ثم يعودون إلى بيوتهم إما بواسطة الدراجات صيفاً أو بالحافلات العامة بواسطة إشتراك شهري أو سنوي مخفض.

أما نظافة التلاميذ وملابسهم ومدرستهم فحدث ولا حرج، نظافة لا نظير لها في مدارس العالم الأخرى.

لا أعلم شبيها لجامعتنا هذه من حيث تنوع جنسيات الدارسين فيها لقد درس في هذه الجامعة أكثر من مائة جنسية مختلفة، دارسين ودارسات من الدول الأعضاء في المنظمة البحرية الدولية التي يفوق عدد أعضائها ١٣٢ دولة من دول العالم، ولا يزيد عددهم في الدفعة الواحدة عن مائة دارس.

تبدأ الدراسة في شهر يناير ولمدة سنتين حيث يقام إحتفال حاشد في بداية ديسمبر لتخريج الدارسين، تتخلل فترة الدراسة إجازة سنوية لمدة شهر واحد وتكون في شهر ديسمبر، وكان من المفترض أن تكون الإجازة السنوية في الصيف، إلا أن البرد القارص في فصل الشتاء أجبر الدارسين على إختيار إجازتهم في الشتاء هرباً من برودته.

أما الدارسون فهم خليط عجيب، منهم من بلغ سن التقاعد وتجاوز الستين من العمر ومنهم من أبعد عن بلده لفترة مؤقتة بهدف تدبير أمر ما في غيبته. كبعض جنرالات وأدميرالات أمريكا الجنوبية حيث يتم إرسالهم إما مكافأة لهم لأن المخصصات الشهرية التي يحصلون عليها أثناء الدراسة أضعاف تلك التي يحصلون عليها في بلدانهم والتي عادة لا تتجاوز المائة والخمسون دولارا لبعضهم في الشهر رغم الرتب الكبيرة، أو إبعاداً لبعضهم قد تكون لهم معارضه ما أو وجهة نظر تختلف عن أقرانهم في الجيش، وهم جميعا راضون عن هذا الوضع للمكاسب المادية التي يحصلون عليها، وإن لم ترق لهم الحياة الهادئة الرتيبة في السويد حيث كانوا يتبرمون منها كثيرا.

وكأي جامعة في العالم، لا بد من وجود شخصيات متناقضة فيها، خاصة وأن جميع الدارسين يقيمون في سكن الطلبة الخاص بطلبة الجامعة البحرية العالمية ما عداً أرباب العائلات الذين يقيمون في شقق خاصة خارج السكن.

الحياة في سكن الطلبة...

وفرت مملكة السويد ضمن ما وفرت لطلبة الجامعة البحرية الدولية سكناً خاصاً كان عبارة عن فندق للمهاجرين الذين لجأوا للسويد هرباً من بطش حكوماتهم أو من الحروب التي تدور في بلدانهم، وكعادة أهل السويد الذين يطلقون أسماء على مسكنهم، كان هذا النزل الجامعي يسمى "هنريك سميت هوستل" وأصبح الآن مع الجامعة من معالم مدينة "مالمو" ويقع هذا النزلُ الذي يشبه الفندق على مقربة من مقبرة كبيرة هي عبارة عن حديقة غناء نصبت فيها شواهد الموتى وبالقرب منها مقبرة لليهود وكنيس لهم حيث أن أغلب سكان الحي من اليهود.

يتكون النّزل من غرف صغيرة، في كل واحدة منها مطبخ صغير وحمام وغرف أخرى أكبر منها، ثم شقق من غرفتين للأساتذة الزائرين وضيوف الجامعة لقد تنقلت في مختلف الغرف والأدوار إلى أن طاب لي المقام في إحدى الغرف الكبير في الدور الثالث وكنت الدارس الوحيد من بين جميع الدارسين الذي جمع بين دراسة الدبلوم والماجستير لفترتين متتاليتين ولمدة ثلاث سنوات عوضا عن فترة واحدة، وبسبب هذه المدة الطويلة نسبياً كانت لي علاقات وثيقة مع جميع الدارسين والأساتذة والموظفين.

مديرة النُزل كانت عند بداية التحاقي بالدراسة في الثامنة عشرة من عمرها من أب فنزويلي يهودي وأم سويدية مسيحية اسما، والدها من أغنى أغنياء فنزويلا لديه أملاك وعقارات تقُدر بمئات الملايين من الدولارات، عشقت شابا فنزويلا مسيحياً فقيراً فغضب عليها أبوها وأرسلها إلى والدتها المطلقة في السويد لتقيم معها حتى تنسى حبيبها، إلا أنها بدلا من أن تنساه بعثت اليه وجاء إلى السويد وتزوجا رغماً عن أبيها والدين اليهودي الذي يحرم مثل هذه الزيجة كما تقول، وعملت مديرة لنُزل الطلبة حتى تنفق على نفسها

جاءت في إثرها شقيقتها الصغرى التي إعتنقت الماركسية وأقامت مع صعاليك السويد من الماركسيين والشيوعيين. أما عاملات النظافة في النزل، فقد تم إختيارهن من الفتيات الجميلات الشقراوات.

يستوعب النزل أكثر من مائة دارس، أما العاملون عليه فلا يتجاوزون العشرة. كان جميع المقيمين في إجازة عندما التحقت بالجامعة وأقمت في النزل مع أربعة دارسين اثنان من توغو غادرا وطنهما لأول مرة إلى "السويد"، أحدهما يدعى "أبوزي" والآخر يدعي "أليتا" والثالث ربان سفينة من المكسيك اسمه "لويس" أما الرابع فهو "الكساندرو" من الأرجنتين.

كانت غرفنا تطل مباشرة على المقبرة، لم أكن أعلم أن مواطني "توغو" لا يعرفان للنوم طعما بسبب هذه المقبرة إلا عندما داعبتهما بأنني أحسست كأن أرواحا تخرج منها أثناء الليل ودب الرعب في أوصالهما وأصرا على تغيير غرفتيهما أو العودة إلى "توغو"، فقد كانا يعيشان في توتر نظرا لإيمانهما العميق بالأرواح ومدى ضررها على الإنسان خاصة إذا كانت شريرة، ولقد أقسمت لهما أننى لم أر شيئا وتأكيداً لكلامي فقد أخذت أتجول على مرأى منهما في المقبرة أثناء الليل وفي درجة حرارة تحت الصفر!! وقلت لهما: هل يعقل أن تترك الأرواح الدفء وتخرج في هذا البرد القارص! وحتى لو حدث هذا فإنها أي الأرواح سوف تصاب بالرعب منكما وتولي هارية!! ضحك الميكسيكي والأرجنتيني لهذه المداعبة وانتهت مشكلة الأشباح بوصول العديد من الدارسين.

من الشخصيات الأخرى التي تركت إنطباعاً خاصاً سواء في السكن أو في الجامعة المقدم "شودري" من بنغلاديش أحد ضباط خفر السواحل حيث فاز بهذه البعثة في مسابقة تقدم لها الآلاف كما يقول، ولقد برع "شودري "هذا في إعداد الأطباق الهندية

والبنغالية خاصة طبق "البرياني" المشهور في منطقة الخليج العربي وسواحل أفريقيا الشرقية، وهو عبارة عن رز يضاف إليه اللحم أو الدجاج مع الطماطم والبهارات وبعض المكسرات أحيانا، ولبراعته في هذا النوع من الطعام أطلق عليه اسم "كوماندرشودري ملك البرياني" وكان يستهويه هذا الاسم كثيراً.

أيضا من الشخصيات البارزة "غريغوري كودوولي" خريج جامعات الولايات المتحدة في الاقتصاد، وهو من مدينة "ممباسا" في "كينيا" وكان يتحدث الإنجليزية بلكنة أمريكية وعندما يسأل عن بلده يقول أنه من الولايات المتحدة لأن مواطنيها يحظون باحترام في السويد، وكان يقول: لولا اسم والدي "كودوولي" لانطلت الخدعة على السويديين فليس هناك أمريكي بهذا الاسم الأفريقي القح وكان يلقب بملك الفكاهة نظرا لمداعباته و "قفشاته" اللاذعة المرحة وكان يهيم بطبق البرياني الذي يعده "شودري" ولكن الأخير لا يضيع وقته في إعداد ما يشتهيه "غريغوري "أو غيره لذا فإن الكيني "غريغوري" كثيراً ما يوهمه بأن عدد من الفتيات السويديات الجميلات يرغبن بتذوق طبيخ شودري الذي يسارع إلى شراء كل شيء على نفقته وإعداد دعوة العشاء" لغريغوري" وضيوفه أو ضيفاته وكثيرا ما كانت تنطلي خدع "غريغوري" الماكر على "شودري" الساذج!!

أيضاً الفنزويلي ذو الأصول العربية اللبنانية "فريدي غارسيا" كان أيضا من الدارسين الذين تركوا ذكريات ما زالت تروى، فقد كان شديد التأنق مراوغاً بارعاً في كل شيء، حاد الذكاء ولكنه يستخدمه في تدبير المقالب ضد "غريغوري" و"شودري" وغيرهما والحصول على المكاسب مهما كانت وأين ما كانت، وكان بارعا في إعداد الأطباق الشهيرة في أمريكا اللاتينية وترتيب المائدة بحيث تبدو كحديقة صغيرة وكان يطبق التوجيهات التي يقرأها من كتب متخصصة في إعداد الولائم والموائد ومراعاة "الإتيكيت"

وكـان يقضي جلّ وقته في هذه الأمور، بينما يقوم زميله العبقري "هورهن" بتلخيص المقررات وشرحها له نظير اعداد الطعام.

و"هورهن" هذا من" بيرو" وهو ضابط برتبة عقيد أصبح الآن لواء في سلاح البحرية في بلده وكان أكاديمياً محترفاً ومدرساً في الكلية البحرية، جاء إلى السويد مع زوجته إبنة أدميرال البحرية في بيرو، وكان يتندّر عليها قائلاً لدى قائدين في العمل والبيت، والدها رئيسه في العمل وإبنته رئيسته في البيت، حيث كانت شديدة الغيرة عليه صعبة المراس قوية الشكيمة والبأس، توثقت علاقتي "بهورهن" وعائلته، وزرتهم بعد ذلك في منزلهم بليما عاصمة بيرو وبكت زوجته عندما رأتني وقالت: عندما غادرت السويد ظننت أننا لن نلتقي ثانية، هذا حدث أيضا لزميله الثاني "لويس ميلا" وعائلته، أنهم عاطفيون جدا أهل أمريكا الجنوبية.

من الدارسين الذين توثقت علاقتي بهم جيدا، السيدة "أولغابوسكويز" والسيدة "سابينا غوانزاليس" من بنما. الأولى تعمل مستشارة في مكتب الأمم المتحدة البحري في بنما والثانية تعمل مديرة لمكتب بنما في نيويورك وهو منصب كبير في وزارة المواصلات، إذ أن بنما تعتمد فيما تعتمد عليه من دخل على تسجيل السفن ومكتب نيويورك هو المسئول عن إيرادات التسجيل التي تتجاوز عشرات الملايين، هذا والكثير من الزملاء في أفريقيا وآسيا وأمريكا إضافة إلى الزملاء العرب.

ولقد اتاحت لنا فرصة الإقامة في مبنى واحد المعايشة اليومية المتواصلة في الجامعة والسكن وتوثقت علاقاتنا نظراً لأننا ندرس سوياً ونأكل سوياً في المطعم الملحق بالسكن ونمارس الهوايات المختلفة سويا ونتبادل الآراء والزيارات ونقيم الاحتفالات بجميع

المناسبات الدينية والقومية والاجتماعية، ونشارك سويا في الإعداد لهذه الاحتفالات، هذا خلاف تعاوننا في مجال الدراسة.

فقد كناّ من تخصصات شتى وكان كل متخصص في مجال معين يساعد زملائه الآخرين في فهم واستيعاب المحاضرات والدروس التي تدخل ضمن تخصصه، بل إن الأمر وصل لأكثر من هذا، فقد حدثت زيجات بين بعض الدارسين والدارسات، دارس من "مدغشقر" تزوج واحدة من "تايلند"، آخر من "كوريا" تزوج واحدة من "الصين"، "فنزويلي" تزوج "كولومبية"، عربي إنفصل عن زوجته العربية ليتزوج من" سويدية" بعد أن خلبت لبه! حتى أطلق "غريغوري" الكيني مقولة ذهبت مثلا وهي: أن العرب كالأفارقة عقولهم في أي مكان آخر عدا رؤوسهم!!

قد تكون مقولته هذه صحيحة بالنسبة لبني قومه فهو أدرى بهم، إلا أنها قطعا ليست صحيحة بالنسبة للعرب، فواحد من بين الدارسين لا يساوي شيئا على الإطلاق. أتذكر جيدا عدداً من الدارسين العرب كانوا مثالاً للإستقامة ورجاحة العقل، يشغل معظمهم الآن مناصب كبيرة في بلدانهم بعد تخرجهم من الجامعة، وأرجو أن يسمحوا لي مستقبلاً بتسطير قصص النجاح التي حققوها.

عندما يحين فصل الصيف نتسابق جميعنا رجالاً ونساء إلى الساحة الرياضية القريبة من "هنرك سميث"، سكن الطلبة لممارسة الرياضة جريا وهرولة وألعاباً أخرى، كان من بين الدارسين رياضيون مشهورون في بلدانهم منهم مثلا "إنريكي" الفنزويلي أحد أبطال فنزويلا في الكاراتيه وزوجته الغيورة جداً "ميرشي" وهو اسم دلع "لماريا"، كان "إنريكي" يقوم بتدريب الدارسين على لعبة الكاراتيه حتى أجادها بعضهم، يقول إن إتقانه للعبة علمه الحلم والهدوء والتريث، لأن أية حماقة قد يرتكبها تجاه أي شخص آخر لأي سبب

تعني ضرراً بالغاً للشخص قد يندم عليه طوال حياته، زوجته "ميرشي" تتقن العمل على أجهزة الحاسوب "الكمبيوتر" فتخرج لنا أشكالا ورسومات بديعة في جميع المناسبات كما أنها تكفلت بإخراج الرسالة التي أعددتها على هيئة كتاب بصورة جذابة وأنيقة رغم أنها لا تعرف من اللغة الانجليزية سوى كلمتين: نعم ولا، قابلتها بعد التخرج بست سنوات في "كاراكاس" عاصمة فنزويلا ووجدتها تتقن الإنجليزية إلا أنها إنفصلت عن زوجها بسبب غيرتها الشديدة كما إعترفت لي، حاولت إصلاح الأمر بينهما ولكنها أصرت على الرفض فقلت له تزوج غيرها، إنتفضت كمن لدغتها أفعى وقالت: سوف أقتله إن فعلها. هي المرأة في كل مكان هو دواؤها ! أو ذلك الضلع الأعوج الذي لن يعتدل أبداً!!

السويديون لا يمارسون الرياضة لأن أوزانهم قد زادت قليلا، أو لأن الأطباء ينصحون بها، بل يزاولونها لأنها كالأكل والشرب والنوم احدى ضرورات الحياة، وقد وفرت لهم حكومتهم ساحات لممارسة الرياضة في كل حي، فهذه الساحة القريبة من مقر أقامتنا توفرت فيها جميع التسهيلات تقريباً لأنها تقع بالقرب من مدرسة ابتدائية، وكثيرا ما كنا نقيم مباريات ودية مع أطفال المدرسة هم بأعمارهم الصغيرة ونحن في معظمنا قد تجاوزنا الثلاثين إلا ما ندر، فكنا نتمتع بالرشاقة والخفة والشباب إضافة إلى الهواء النقي الذي لا تلوثه عوادم السيارات بسبب الخضرة المنتشرة في كل مكان وقواعد حماية البيئة الصارمة.

هذا إضافة إلى مسابقات التجديف التي كانت تقيمها لنا الجامعة بالإشتراك مع الأندية الرياضية في المدينة، هذا مع العلم بأن فريق نادي "مالمو" لكرة القدم هو أقوى الفرق في السويد بأسرها، كانت الجامعة تنتدب إحدى الفتيات الجميلات لكي تقرع الطبلة في قارب فريق الجامعة للتجديف، فكان الفريق يبذل قصارى جهده للفوز، إن لم

يكن لاسم الجامعة فلأجل عيون تلك الفاتنة الزرقاء، فكيف لهؤلاء الضمئي أن يتقاعسوا عن تلبية نداء الطبلة وهي تقرع بيد تلك الصهباء الفاتنة!!

لقد أحصيت في سنة واحدة ما يقارب ثمانية إحتفالات أعياد للميلاد أقامها "غريغوري" الكيني المباسي لنفسه. سألته: هل ولدتك أمك ثمانية مرات في ثمانية أيام مختلفة؟! قال: لا ولكن وددت دعوة فتيات تعرفت إليهن وهن كما تعلم لا يلبين دعوة غريب مثلي ما لم يكن هناك سبب جوهري مقنع وليس هناك أكثر تمنعا من المرأة السويدية، فلم أجد غير هذه المناسبة وهي عيد ميلادي!!.

لا يمر يوم من غير ضجيج وصخب وموسيقى وإحتفالات يقيمها على وجه الخصوص الأفارقة واللاتين أمريكان أو مواطني أمريكا الجنوبية، (الإحتفالات عندهم بمناسبة وبغير مناسبة بالنسبة إلى مواطني أمريكا الجنوبية)، إذا رزق أحدهم بمولود أقام حفلاً ثم بعد مدة حفلاً آخر لإعطاء المولود اسما، والهدف من هذا الحفل هو الحصول على هدايا تناسب جنس المولود فقد عرفنا جنسه عند ميلاده والآن بعد فترة نحن مدعوون لحفلة يتم فيها اطلاق اسم عليه لذا فلا بد لنا من حمل هدايا هو بحاجة إليها وهكذا.

عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة لنا كما هي للسويديين وقت الراحة، السبت للتنزه خارج المدينة والأحد لترتيب المنزل وتناول الغداء أو العشاء مع بعض الزملاء حيث نجتمع في غرفة أحدنا، إما أن يقوم بمهمة الطبخ الفتى الأنيق "فريدي" الفنزويلي، أو ملك البرياني "كوماندر شودري" الذي يصر إصرار على لقب "كوماندر"، بينما اعداد المكان هو من إختصاص "غريغوري" المباسي كالعادة، أنا وزميلي السوداني أحمد قورين علينا أن نذهب منذ الصباح الباكر إلى ساحة "ميلفنغ ستوريت" حيث تُباع فيها ولمدة يومين شتى

أنواع الخضار الطازجة والفواكه والعسل واللحوم وغيرها، نذهب بواسطة الدراجات حيث وضعت كالسويديين سلة أمام الدراجة.

فقد زميلي أحمد قورين دراجته مرة وطلب مني أن أحمله معي، إنه أمر هين ولا غضاضة فيه على الأقل بالنسبة لنا، وحملته، وإذا بسيارة الشرطة تطاردنا وتطلب منا الوقوف على الرصيف، نزلنا ونزل الضابط بمفكرته وقلمه وأخذ يتفحص الدراجة ثم سألني بالسويدية خشيت أن أجيبه بحصيلتي المتواضعة من مفردات اللغة حتى لا يتهمني بمخالفة القانون، تأكد الرجل الآن أنني غريب أو ربما في ظنه لاجئ جديد لا يعرف قوانين البلد فإنه عندهم كل أجنبي هو بمثابة لاجئ إلى أن يثبت العكس، قلت له على رسلك ما كل هذا ما هي فعلتي؟ قال: أولا تعرف حقا؟ قلت: لا، زميلي وقف مشدوها ما كل هذا.. اثنان ذاهبان للتسوق ما هي المشكلة؟ قال الضابط: ألا تعرف أنه طبقا لقانون الدرجات لا يجوز لك أن تحمل أحداً معك على دراجة واحدة؟ وبما أنك غريب فسوف أتركك هذه المرة على ألا تخالف مرة أخرى اللوائح والأنظمة، كما ينبغي عليك أن تضيف بعض الإضافات التي نص عليها القانون الجديد ولا توجد لديك هنا!!

هناك الكثير من القوانين في السويد قانون للمشاة وقانون للدراجات وقانون أو مجموعة قوانين للسيارات، ممنوع منعا باتا قيادة الدراجات على الأرصفة أو مناطق المشاة، وإذا أراد راكب الدراجة أن يستخدم الأرصفة مثلا، فعليه أن ينزل من على دراجته وأن يقودها ماشياً حتى ينطبق عليه قانون المشاة، ليس هذا فقط بل حتى تربية الحيوانات وطرق التعامل معها لديها قوانين تنظمها!!

أضطررنا أنا وزميلي السوداني أحمد قورين للذهاب إلى الساحة والعودة منها راجلين مشيا على الأقدام ومعنا دراجتنا احتراما للقوانين أو خوفاً من العقوبة حتى ولو

كانت مخففة، أحمد متخصص في إعداد السلطة وقد برع فيها، كثيرا ما تساهم معنا في اعداد الوجبات البنميتان بهدف التعرف على طريقة "شودري" في اعداد الأطباق البنغالية تشاركنا أيضا السيدة "سنثيامريغيت" وهي موظفة استرالية كانت تعمل في مقر المنظمة بلندن، ثم إنتدبت للعمل في الجامعة وتعرف جميع الخريجين وهي على علاقة طيبة جدًا مع جميع الدارسين وإن كانت تميل كثيرًا إلى الأفارقة بحكم زواجها السابق من رجل مغربي.

"آليتا" و"أبوزب" من "توغو" لا تفوتهما فرصة كهذه، فهذه هي أول مرة يخرجان فيها من بلدهما "اليتا" يقول: لقد أرسلت رسائل إلى والدتي وأصدقائي أخبرهم فيها بالبرودة القاتلة وأيضا بحكاية الفتيات الشقراوات اللاتي ينظفن غرفتي كل يوم ويغسلن الأطباق هذه لم استطع أن استوعبها بعد ولقد أصابت أصدقائي الدهشة لهذا الخبر، قلت له: إذن عليك أن توثق تجربتك هذه في كتاب ولتسمه مثلا من "توغو" إلى "السويد"، يقول إنها حقا تجربة مثيرة بالنسبة لي ولن تتكرر أبداً.

قصص كثيرة تلك التي عشنا تجاربها معا سواء في السويد أو من خلال الجولات الميدانية التي كنا نقوم بها في دول أوروبا، أرجو أن أتمكن من تسجيلها في كتاب مستقل مستقبلا إن شاء الله لأنها حافلة بالعبر والعظات.

الحياة السياسية والثقافية..

السويد مملكة ديمقراطية على النمط الغربي، كان للملك نفوذ قوي فيما مضى، أما الآن فليس لديه أية مسئوليات سياسية في إدارة دفة الحكم، ولكن درجت العادة على أن يقوم الملك ببعض المهمات التمثيلية لبلده في الداخل والخارج، فكثيرًا ما يصطحب الملك معه في زياراته للخارج رجال الأعمال والصناعة والتجارة وذلك بهدف عقد الصفقات وتسويق المنتجات السويدية، كما أن حياة التواضع التي تعيشها العائلة المالكة جعلت لها مكانة عظيمة عند السويديين والمقيمين في السويد، فكثيرا ما يشاهد الملك أو أحد أفراد أسرته يتجولون في الشوارع القريبة من القصر الملكي بالسويد.

ولقد كان من السهل جدًا التحدث مع الملك في أي مكان قبل مصرع رئيس وزراء السويد "أولف بالمة"، فقبل ذلك الحادث المشئوم الذي هز ضمير السويديين بعنف، كان الملك يمارس حياته الطبيعية كأي مواطن دون حراسة، بل إنه عادة ما يرتدي الملابس الرياضية أيام الآحاد ويمارس الرياضة كسائر أفراد الشعب في الحدائق والمتنزهات، بل إن الأمر وصل إلى أن أفراد الشعب السويدي ومثلهم من الأجانب يستطيعون زيارة مقر الملك والتجول فيه.

ولقد بلغ من تواضع الملك وأسرته أنه يعامل كسائر أفراد الشعب من حيث الحقوق والواجبات، ولقد قامت الدنيا عندهم – أثناء إقامتي في السويد- عندما أخذ الملك إبنته لتسجيلها في المدرسة بنفسه لكي يوصي مديرة المدرسة على العناية بها، وخرجت الصحف تهاجم هذا التصرف زاعمة أنه لا يحق للمدرسة أن تعامل أبناء الملك معاملة خاصة تختلف عن معاملة سائر التلاميذ، إلا أن الملك ردّ على هذه الحملة بقوله: إنه تصرف هذا التصرف كأب يهتم بتربية أبنائه وليس كملك وأنه لم يطلب معاملة خاصة

لهم وإلا أخذهم إلى مدرسة خاصة لا مدرسة حكومية عامة، وأنه لو قام بهذا التصرف فرد عادي من أفراد الشعب، لما أثار كل هذه الضجة!!، ولم تقعد الدنيا إلا بعد أن صرحت مديرة المدرسة بأن الملك لم يطلب معاملة خاصة لابنته وأنه تصرف معها كأب فقط لا كملك وهي تعامل ابنته كما تعامل سائر التلاميذ تماما.

هذا الخلق الذي عرفه المسلمون قبل ١٥٠٠ سنة تقريبا، توصل إليه السويديون بعد تجارب مريرة ومنذ عهد قريب جدًا، فإذا كان لنا أن ننبهر أو نعجب، فحري بنا أن ننبهر ونعجب لصدق ديننا لا لزيف حضارتهم التي إن صدقت في شيء فإنها كذبت في أشياء كثيرة.

نظام الحكم السياسي في السويد برلماني، ويسمي البرلمان عندهم "ريكسداغ" ويتكون من ٣٤٩ عضوا، يتم انتخابهم من قبل المواطنين السويديين الذين يتجاوز أعمارهم الثامنة عشرة عند التصويت، أما المواطن الأجنبي الذي تجاوز الثامنة عشرة وأقام لمدة تزيد عن الثلاث سنوات فيحق له التصويت في الانتخابات المحلية التي يتم فيها انتخاب ممثلين للمجلس البلدي وللتنظيم النيابي للمحافظة.

وعادة ما يتم انتخاب أعضاء البرلمان من قبل ممثلي الأحزاب السياسية التي تنقسم إلى فئتين رئيسيتين هما: الكتلة الإشتراكية والكتلة البرجوازية، الكتلة الإشتراكية تضم عادة حزب العمال السويدي الإشتراكي الديمقراطي وهو أكبر أحزاب السويد وحكمها أكثر من ٥٣ عاما بالتحالف مع الحزب الشيوعي أغلب الأحيان، وهو حزب صغير لا تتجاوز نسبته في البرلمان ٥٪ وفقد الكثير من مؤيديه في السنين الأخيرة. أما الكتلة البراجوازية فتضم عادة أحزاب اليمين أكبرها: حزب تجمع المحافظين وأحزاب الوسط أكبرها حزب الشعب وحزب الوسط.

ولقد كفلت الديمقراطية السويدية حقوقاً كثيرة للمواطنين أهمها:

- حق التصويت العام السري لجميع المواطنين الذين بلغوا الثامنة عشرة
- حرية التعبير عن الرأي وحرية الصحافة بحيث يستطيع أي مقيم في السويد أن يعبر عن رأيه من خلالها.
- حرية نقد الحكومة والأجهزة التابعة لها.
- حرية تنظيم الاجتماعات والمظاهرات.
- حرية الأديان والمذاهب مكفولة لجميع السكان، وتحريم التمييز الديني والعنصري والمساواة أمام القانون.

لقد ترسخت قواعد الديمقراطية في السويد إلى درجة أن البرلمان أصبح يناقش موضوع إعطاء الأطفال حق الانتخاب بكل جدية!! أي حق الانتخاب لمن هم دون الثامنة عشرة وهذا ليس بغريب، إذ أن الديمقراطية وحرية الرأي والنقاش تمارس في أماكن العمل والمدارس والنقابات، بين الرجال والنساء، بين الكبار والصغار، بل إن الأمر وصل إلى أفراد العائلة، فليس عندهم أوامر الأبوين واجبة التنفيذ، بل إنها تخضع عند الأطفال للنقاش والاقتناع، وكثيرا ما شاهدت بنفسي سواء في وسائل النقل أو في الطرقات أو في الأسواق أن تحاول الأمهات جاهدات اقناع أطفالهن بتنفيذ أمر، أو بالإمتناع عن غيره، ويطول النقاش أحيانا بين الأم ووليدها فترة طويلة من الزمن وإن كان غالبًا ما يحسم لصالح الأم! إلا أنه أحياناً يتغلب رأي الطفل على رأي أمه.

وللأطفال في السويد قدرة عجيبة على النقاش وتبرير الأمور قطعاً تعلموها في المدارس إذ أن الطفل عندهم له شخصية جديرة بالإحترام مثل الإنسان البالغ سواء بسواء. ولقد خلق هذا الوضع – أي حرية النقاش– بين الأطفال وآبائهم مشكلات وسلبيات كثيرة

فكثيراً ما أشاهد فتاة مراهقة يقل عمرها ربما عن الخامسة عشرة وهي تدخن السجائر أسوة بأمها، فقط لأنها ترى والدتها تفعل ذلك. ولم تقتنع بنصائحها، أو أنها تأتي بأمور أخرى لا توافقها عليها والدتها أو والدها.

أما الجوانب الإيجابية التي شاهدتها في تطبيق فكرة الديمقراطية في مدارس الأطفال فهي مثلا أن الطالب المشاغب في الفصل مثلاً تعرض مشكلته وفي وجوده على سائر تلاميذ فصله لكي يقرروا إما توجيه النصح والإرشاد له أو إبعاده عن الفصل، ويأخذ القرار بالأغلبية تحت إشراف المدرس أو المدرسة، أي أن تلاميذ الفصل هم الذين يقررون مشكلة المشاغبين بينهم، بل إن الأمر وصل إلى أن التلاميذ هم الذين يقررون المواد التي سوف يدرسونها والمواد التي يطلبون تأجيلها وهكذا، حتى طريقة التدريس يؤخذ رأيهم فيها وأنا أتحدث هنا عن تلاميذ المرحلة الابتدائية أو المرحلة الأساسية كما يطلقون عليها.

بل إن الديمقراطية نأت بهم بعيدا نحو المساواة المثلى، فلا ألقاب ولا أنساب بينهم الملك لا يخاطب أبدا عندهم بجلالة الملك أو بأي لقب آخر بل باسمه المجرد هكذا "كارل غوستاف" أي مواطن عادي يخاطب الملك باسمه المجرد دون حرج أو ملامة فالأمر أصبح عرفاً لديهم، أيضا توقفوا منذ زمن بعيد عن استعمال سعادة أو حضرة أو حضرتكم أو أنتم يستعمل المواطن السويدي بكل بساطة ضمير المخاطب "أنت" لأي شخص، للملك، لرئيس الوزراء، لرئيسه في العمل، لمدير المدرسة، للمدرس، لوالده أو والدته، لزميله، كما أنه يستخدم الاسم الأول دائما في المخاطبة وليس اسم العائلة كما هو على طريقة الإنجليز مثلا "مستر كذا" ولا يعني هذا قلة إحترام بل هو تطبيق حرفي للمساواة التي كفلها لهم القانون، والأمر برمته يخضع للاقتناع ما لم يكن هناك قانون صريح واجب التنفيذ.

يوجد البرلمان ومقر الحكومة في العاصمة "ستوكهولم" التي تضم أيضا قصر الملك الذي يملك ولا يحكم، وينتخب أعضاء البرلمان من ممثلي الأحزاب السياسية الكبرى في سائر أنحاء البلاد، ويتم التصديق على القرارات التي يتم إتخاذها في البرلمان عن طريق الأغلبية أما الحكومة التي يرأسها رئيس الوزراء فهي التي تدير دفة الحكم وتشرف على السياسة الخارجية وجميع الأمور الأخرى التي تهم المواطنين، ويشرف الوزراء على أنشطة وزاراتهم التي لا يوجد فيها عدد كبير من الموظفين، بل إن الأمور التنفيذية تقوم بها هيئات ومؤسسات أخرى يبلغ عددها حوالي ٨٠ هيئة، ونظرا لمساحة السويد الشاسعة فليست هناك مركزية تسبب البطء في إتخاذ القرار ومن ثم تنفيذه.

تنقسم السويد إلى ٢٤ محافظة وفي كل محافظة يدير المحافظ والأجهزة التابعة له الأمور الحكومية فيها مثل الضرائب والشرطة والجوازات والمرور والبيئة، ويوجد في كل محافظة محكمة إدارية للفصل في قضايا الضرائب ومخالفات السير ووضع الأطفال تحت الرعاية وغير ذلك من مشاكل الرفاهية.

كما توجد في سائر أنحاء السويد أكثر من ٢٨٤ بلدية وهي التي تشرف على المدارس ودور الحضانة ورعاية المسنين والمعاقين، ويدير البلدية مجلس بلدي هو بمثابة البرلمان الذي يعين بدوره إدارة البلدية التي تمثل فيها الأحزاب تمثيلا نسبيا لعدد الأصوات التي حصلت عليها في الانتخابات، تنبثق عن إدارة البلدية لجان عدة تشرف على قطاعات مختلفة مثل الشئون الاجتماعية والتعليم المحلى والبناء والتعمير وغيره.

كما تنقسم المحافظة الواحدة إلى ٢٣ تنظيم نيابي تختص هذه التنظيمات بالرعاية الصحية والطبية والمواصلات العامة والإشراف على الجهاز الوطني للعناية بالأسنان ولقد أولت السويد الأسنان عناية خاصة وفصلتها عن الشئون الصحية والطبية الأخرى، لذا

فإنها أكثر دول العالم تقدماً في هذا المضمار ليس فقط من الناحية العلمية بل من الناحية التقنية فلا غرو إذن أن تكون أسنان السويديين هي أكثر أسنان الشعوب صحة وتألقاً كأنها الجمال المنضد!

تختلف الحياة الثقافية في السويد من مكان إلى آخر تبعًا للكثافة السكانية لذا فإن النشاط الثقافي يتركز في معظمه في العاصمة "ستركهولم" ومدينة "مالمو" القريبة من عاصمة الدنمارك وهذا القرب له تأثير متبادل بلا شك وأهم معالم الحياة الثقافية في أي دولة هو الأدب.

يؤرخ للأدب السويدي الحديث بترجمة الإنجيل على يد "أولاس بيتري" سنة ١٥٤٠ وكبير شعراء السويد "يورغي ستيزنهلم" الذي عاش في الفترة من ١٥٩٨-١٦٧٢ والشاعر "يونودالستيدنا" والمؤرخ الشاعر "أولف فون دالين"، ثم ساهم في تطوير الأدب عدد من الشعراء الذين جاءوا بعد الرواد الأوائل مثل الشاعر "كارل ميخائل بيلمان" والناقد الشاعر "يوهان هنريك كيلغرن" الذي شجعه الملك "غوستافوس الثالث" وأسس الأكاديمية السويدية وألف كتباً كثيرة، ثم جاء في الفترة من ١٦٨٨-١٧٧٢ العالم والفيلسوف "إما نويل سويد نبرغ" الذي تعمق في دراسة اللاهوت وزعم أنه أداة مباشرة في يد الله ويتلقى منه التعاليم عن طريق الوحي وكان له أتباع شكلوا بعد موته كنيسة عرفت باسم "أورشليم الجديدة".

وفي بداية القرن التاسع عشر إشتهر عدد من الشعراء منهم: "إيريك يوهان ستفنيليوس" و "دالغرين" و "بيتر هنريك لينغ".

ثم إزدهرت الرواية عندما نشر "المكويست" مجموعة من القصص الرومانسية القديمة في أربعة عشر مجلداً، ثم إشتهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "غوستافرودينغ"

أعظم شعراء السويد و"سلمى لاجيرلون" الكاتبة التي نالت شهرة عالمية وترجمت رواياتها وقصصها إلى لغات أجنبية عدة.

أما في مجال المسرح فبرز "ستريندبرغ" أعظم المسرحيين السويديين كما فاز الشاعر "فرنرفون هايد نستام" بجائزة نوبل، وبعد سنة ١٩١٠ تأثر الأدب السويدي بحركة الإصلاح الاجتماعي ونظام التعاونيات الذي أثر في المجتمع تأثيراً عميقا حيث إهتم الكتاب شعرائهم وروائييهم بتصوير حياة الكادحين في الريف والمدينة على حد سواء، ومن أشهرهم "غوستاف هيليستروم و"الين فاغنر" و"ألبرت أنغستروم" و"أوسيانيلسون" و"دان أندرسون" و"هاري مارتنسون" و"فلهلم موبرغ" و"ايفند جونسون".

تنتشر المكتبات العامة في أغلب مناطق البلاد، أما المناطق التي لا توجد فيها مكتبات عامة كالقري مثلا، فيتم تخصيص مكتبة عامة متنقلة على هيئة سيارة كبيرة لها مواعيد ثابتة يستطيع المواطنون استعارة الكتب منها وتسجيل أسماء الكتب التي يرغبون في استعارتها في المرة القادمة وفترة الاستعارة هي ثلاثة أسابيع ولا بد من الحصول على بطاقة استعارة للاستفادة من هذه الخدمة المجانية.

يشارك الشعب بصورة غير مباشرة في دعم الأنشطة الثقافية في الدولة من خلال دفع الضرائب حيث يتم تخصيص جزء منها على شكل إعانات مالية للمكتبات العامة والمسارح والأوبرا ودور النشر التي تصدر مؤلفات معينة تكلف أموالاً كثيرة، كما تحصل أيضا الصحف والمجلات على مساعدة مالية.

يوجد في السويد حوالي ١٨٠ صحيفة يصل إجمالي توزيعها إلى ما يقارب ٥ مليون نسخة، ويزيد توزيع ١٦ صحيفة منها عن خمسين ألف نسخة، بينما يزيد توزيع خمس منها عن مائتي ألف نسخة، وتصدر حوالي نصف صحف السويد ثلاث مرات أو أقل في

الأسبوع، كما يصدر عدد كبير من جمعيات المهاجرين والأقليات صحف خاصة بها وبلغاتها الأصلية منها عدة صحف باللغة العربية، وتحظى هذه الصحف بدعم مالي من الدولة، كما تحظى جمعيات المهاجرين بدعم الدولة في الحفاظ على هوية أفرادها الثقافية يتجلى ذلك في تعلم أبنائها لغاتهم الأصلية في المدرسة وتأسيس دور نشر خاصة بهم.

ولقد برز على المستوى الدولي شخصيات سويدية عالمية في مجالات مختلفة ومن أهم هذه الشخصيات في المجال السياسي: "داغ همر شولد" الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة والوسيط الدولي "الكونت فولك برنادوت" ابن عم الملك "كارل غوستاف" وأبيه الروحي كان رئيساً لجمعية الصليب الأحمر الدولية عينته الأمم المتحدة وسيطاً بين العرب واليهود في فلسطين، إغتالته عصابة من المتطرفين اليهود سنة ١٩٤٨ عن عمر يناهز ثلاثة وأربعين عاما. ورئيس الوزراء الراحل أولف بالمة الذي قتله شخص مجهول وهو خارج مع زوجته من دار للسينما في مدينة "ستوكهولم" بلا أدنى حراسة.

أما في المجال السينمائي والفني فقد غزت فاتنات السويد السينما العالمية أشهرهن "غريتا غاربو" و"انغريد بيرغمان" و"سوزان هايورد" و"بيفي لي" و"أنيتا إيكبرغ" و"لوني أندرسون" و"لينا أولين" وغيرهن كثيرات كما برز في مجال السينما أيضا المخرج العالمي "إنعمار بيرغمان" وفي مجال الغناء فرقة "أبا" الشهيرة و"جيني ليند"، وفي مجال الرياضة "بيورن بورغ" و"أندرس هيدبيرغ" وفي العلوم والصناعة والإختراع العالم الأشهر "الفرد نوبل" و"جون إيركسون" الذي أسس شركة إيركسون للصناعات الكهربائية وهي أكبر الشركات العالمية في هذا المجال وغيرهم كثير.

من السهل جداً في السويد أن يتعلم المرء أية هواية أو حرفة، فهناك معاهد متخصصة لتعليم الموسيقى، والرقص والطبخ وقيادة الزوارق، وكل ما لا يخطر على البال، وهي كفيلة بتعليم الهواة الحد الأدنى المطلوب وشغل أوقات فراغهم بما يعود بالفائدة، لذا فليس هناك من يعاني من الفراغ.

السويد مملكة المرأة...

قبل تحول السويد إلى مجتمع صناعي بفضل الاختراعات والاكتشافات أي قبل مائة عام تقريبا، كانت المرأة السويدية شأنها شأن المرأة في أغلب بلدان العالم، خاضعة للرجل نظرا لاعتمادها عليه، كان الرجل يعمل في المصانع والحقول والمرأة تدير شئون المنزل وتعتني بالأطفال ولكن عندما بدأ المجتمع في التحول من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي وانتقل الناس من الريف إلى المدن ونظرا لقلة الأيدي العاملة في ذلك الوقت فقد خرجت المرأة تشارك الرجل أعباء العمل، بل شارك الأطفال فيه أيضا، ثم أتُيحت الفرصة للمرأة للدراسة والتخصص حتى أصبحت مساوية للرجل في المؤهلات والقدرة عل أداء دوره وناضلت للحصول على حقوق ومُكتسبات لم تكن حصلت عليها بعد.

وهكذا بدءًا من حصول المرأة على حق التصويت سنة ١٩٢١ إلى اليوم وهي تحصل على كل الحقوق التي حصل عليها الرجل ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى درجة تفوق المرأة على الرجل لا في المهارة أو تحمل المسئولية بل في الفرص التي تحصل عليها، لقد وصل الأمر مثلا لو أن فتى وفتاة تقدما لشغل وظيفة ما والإثنان على درجة متساوية في المؤهلات والخبرة، يتم إختيار الفتاة التي لها الأولوية دون أن يكون هناك قانون مكتوب بل هو عرف درجوا عليه خشية أن يتهم صاحب العمل بالعنصرية والتحيز ضد المرأة.

لم تصبح المرأة نصف المجتمع بل هي المجتمع كله، باستطاعة المرأة في أي عمر أن تعيش منفردة وأن تستقل بحياتها كما تشاء، وأن ترفه عن نفسها كيف تشاء، كما أن للمرأة المتزوجة نفس حقوق الزوج في التصرف بدخل العائلة كما أن على الزوج نفس الواجبات التي تقوم بها المرأة تجاه الأطفال.

أعرف عددًا من العائلات السويدية، كثيرًا ما أشاهد رجال تلك العائلات يأخذون أطفالهم الرضع في جولة قبل غروب الشمس بواسطة العربات، وهي جولة تكاد تكون إلزامية، إذ أن من الوصفات الطبية التي تعطي للأطفال الرضع أو حديثي الولادة، الهواء الطلق ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل، خاصة يوم السبت أو الأحد تنتشر عربات الأطفال في المتنزهات والحدائق يدفعها رجال أو نساء أو الجنسين معا، وإذا كان الهواء الطلق في الأجواء الصحية من الأمور الهامة جدا في حياتهم خاصة للأطفال لفوائده الجمة إلا أنه ليس هو بيت القصيد!

يحصل كل طفل سويدي أو غير سويدي يولد في السويد على دعم مالي من الحكومة كما تحصل العائلة على دعم معين من الضمان الاجتماعي، ويحق للأم الحصول على فترة حضانة مدفوعة الأجر من جهة العمل عن طريق الضمان الاجتماعي ولمدة لا تتجاوز ٣٦٠ يوما، أي سنة كاملة تقريبا، وتقل الإعانة أو الأجر في التسعين يوما الأخيرة من الفترة، كما يحق للمرأة الحصول على إجازة من عملها مدفوعة الراتب قبل الوضع بستين يوما، إلا أن بيت القصيد هنا هو تساوي المرأة والرجل في البيت للعناية بالطفل الرضيع وفي هذه الحالة تطبق على الرجل لوائح الحضانة أو (إجازة وضع) لأن الأبوين أو الأم بالتحديد رأت أن وجودها في العمل أكثر أهمية من وجود زوجها أو كما يقول المثل المصري: (ما فيش حد أحسن من حد) والطفل هو طفل الاثنين.

ونظراً لأن الأمور الاجتماعية في بلدان العالم تستهويني بشدة، فكثيراً ما أقوم بزيارة بعض معارفي من السويديين وهم في إجازة وضع وأقصد بذلك الرجل لأرى على الطبيعة ما يفعله الرجل أثناء غياب المرأة، إنه يقوم تماما مقام المرضعة أو الأم من حيث العناية

بالطفل وإعداد الطعام وغسل الأطباق والملابس وهم لا يجدون غضاضة في هذا، بل إن أغلبهم يفضلون هذا الوضع على الذهاب إلى العمل!!

لقد نالت المرأة في السويد حقوقاً أكثر مما هي في حاجة إليها فعلا، وأصبحت ندًا للرجل في كل شيء، وانطلقت تمارس كل ما يحلو لها دون حسيب أو رقيب، ثم جاءت فترة من الزمن أرادت فيها المرأة إهمال دور الرجل وتهميشه أو إشعاره بأنها تستطيع الاستغناء عنه، وكانت الفترة التي أطلقوا عليها مصطلح "الثورة الجنسية" وهي فترة صعود الإباحية وبداية الإنحلال الخلقي في السويد في نهاية عقد الخمسينات وبداية عقد الستينات من هذا القرن.

فالسويد هي أول من إبتدع عرض العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة على الملأ،إما في صورة مجلات أو أفلام إباحية خليعة، وتصوير العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة على أنها علاقة عادية طبيعية بدأت منذ أقدم العصور وسوف تستمر إلى نهاية الوجود الإنساني وهي ليست مقصورة على بني الانسان، بل في كل الكائنات الحية وغير الحية وأنه لا شيء يدعو للخجل من ممارستها، وتم تطبيق هذا المفهوم عملياً في كل مكان في الحدائق وفي الطرقات وعلى الشواطئ.

قال لي أحد المهاجرين العرب القدماء: أنه كثيرًا ما كان يشاهد في الحافلات العامة علاقات جنسية كاملة تتم بين النساء والرجال في تلك الفترة، كما حدثني عدد من النرويجيين والدناركيين عن بداية الثورة الجنسية كما أسموها في السويد، قالوا: عندما بدأت الإباحية الجنسية في السويد في صورة أفلام ومجلات وصور وممارسات؛ واجهت حكومتا النرويج والدنمارك مشكلة عويصة في منع تهريب أو تداول مثل تلك الممنوعات على أراضيها خاصة وأن الحدود كانت مفتوحة وإذا كانت الحكومة السويدية قد رضيت

بهذا الوضع، فإن حكومتا النرويج والدنمارك لم تقبلا به بعد، إلى أن إمتد أثره إلى الشعبين وظهرت حركات مناصرة ومؤيدة للإباحية الجنسية في كلتا البلدين، وهكذا بدأت في السويد وإمتد أثرها المدمر في سائر أنحاء الدنيا. واشتهرت بعد ذلك المرأة السويدية بأنها إباحية منحلة سهلة على مستوى العالم.

وبعد أن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة – كما يقول المثل – رجعت المرأة السويدية إلى نفسها لترى أنها لم تجن سوى سوء السمعة في العالم بأسره، حدثني العديد من نساء السويد، بعضهن تجاوزن الخمسين بل والستين من العمر عن هذا الأمر بقولهن: منذ تلك الفترة وحتى الآن ما إن نسافر إلى أي بلد من بلدان العالم ويعرف أهلها أننا سويديات حتى يبداء الحديث عن الجنس وعن المواعيد الغرامية، هكذا من أول نظرة أو أول تعارف وحتى دون سابق معرفة كأن المرأة السويدية فقط خلقت للجنس وللفراش، وكثيرا ما كنا نجاهد لتعريف الآخرين بإنجازات المرأة السويدية الحضارية في الأدب والفن والثقافية والعلوم ولكن دون فائدة، وكان لهذا الأمر أثر عميق في عودة المرأة السويدية إلى رشدها إن لم يكن كله فمعظمه.

والحقيقة التي لمستها من خلال إقامتي الطويلة في السويد وعند الحديث مع أية سيدة أو فتاة هو الهاجس الذي تشعر به كل واحدة من أن ينظر إليها تلك النظرة.

أول سؤال تبادر به المرأة السويدية الزائر للسويد هو ما رأيك أو ما هو إنطباعك عن المرأة السويدية؟ تفرح كثيرًا عندما يحدثها الشخص عن مجالات الإبداع التي تفوقت فيها سواء في الفن أو العلوم أو الرياضة أو أي شيء آخر، وتغضب كثيرًا عندما يحدثها عن الجنس. كنت أعرف جيدًا هذه الخاصية وأتعمد إستفزاز بعض السيدات اللآتي يحاولن النيل من إنجازات الحضارة العربية أو الحديث بسوء عن العرب، بسمعتهن المتردية وأن

المرأة السويدية سمعتها سيئة في العالم بأسره لذا فمن الوقاحة أن تتحدث عن الآخرين بسوء.

ولكن عندما يتحاشى المرء الحديث عن إباحية المرأة ويحدثها عن إنجازاتها وإن كانت وهمية فإنه يستولى على قلبها قبل عقلها، وتدخل بعد ذلك في حديث لا ينتهي عن صراع المرأة السويدية من أجل المساواة وبناء مجتمع الرفاهية الذي هو أعظم الإنجازات البشرية في نظرهم وأرقى مجتمعات العالم.

أما عن علاقتها بالرجل، فترى المرأة السويدية أنه – أي الرجل – لا يحظى باهتمامها وأن التقنية (التكنولوجيا) الحديثة قد وفرت لها كل الوسائل!! التي تغنيها عن الرجل ومشاكله، ووجود علاقات ثنائية يعني النساء أو صداقات محصورة بينهن هو أمر مألوف في السويد، يلاحظ هذا في المطاعم والمشارب والمقاهي وإن لم يعدم المجتمع بعد العلاقات السوية بين الجنسين، إلا أنها قلت كثيراً عن ذي قبل.

بل إن موضوع المساواة والتأكيد على حرية المرأة وصل إلى حدود سخيفة ومبالغ فيها مثال ذلك "موضه" الصدر العاري الذي إبتدعتها المرأة السويدية، وهي إن لم تكن "إختراع" سويدي صرف، إلا أن عليها وزر إنتشاره ومن عمل به إلى يوم القيامة، ولقد بدأت هذه البدعة سنة ١٩٧٦ وهم لا غيرهم الإسكندنافيون أو بمعنى أدق الإسكندنافيات أول من نشرها.

تقع جامعتنا، الجامعة البحرية العالمية، بالقرب من أكبر شواطئ مدينة "مالمو" والتي تمتد من الجامعة حتى منطقة يقال لها "ليمهامن" حيث يقع مرفأ العبارات التي تحمل الركاب والسيارات بين السويد والدنمارك، وكثيرًا ما يحلو لبعض الدارسين التمشية بالقرب من تلك الشواطئ في موسم الصيف أثناء استراحة الغداء لتجديد النشاط

واستنشاق الهواء الطلق، ويحلو لصديقي "غريغوري كودولي المباسي الكيني" أن يصطحبني معه في جولة الغداء هذه.

هناك شاطئ خاص مخصص للكلاب تلهو وتستحم فيه بعيدا عن "مضايقة" بني البشر لها!! وبقية الشاطئ لعامة الناس، يوجد في جزء منه وفي البحر مباشرة مبنى من خشب ينقسم إلى قسمين لارجال وللنساء لمن يهوي منهم التجرد تماما من ملابسه وهو مغطى عن أعين الناس، لا أظن بسبب الحياء لأن الذي يستحي لا يتجرد من ملابسه ولا يخالط غيره حتى ولو كان من جنسه، وبقية الشاطئ يعج بالناس.

كل النساء في هذا الشاطئ عاريات الصدور، يمارسن لعبة كرة الطائرة والمضرب وغيرها من الألعاب مع الرجال وهن على هذه الحالة!! نهودهن ترتعش وتهتز باهتزاز وإرتعاش أجسامهن بلا أدنى خجل، يسأل "غريغوري" إحدى الفتيات: لماذا لا تغطي صدرها؟ فتقول بكل جرأة: "ولماذا ينبغي عليّ أن أفعل ذلك؟! ولماذا لا يغطي الرجل صدره!؟ إنها المساواة".

وتضيف: "ليس هناك ما أخجل منه، إن صدر المراة هو مظهر من مظاهر جمالها وأن التي تغطي صدرها عندنا هي إما إمرأة معقدة أو أن في صدرها عيبا تحاول ان تخفيه!!!"

لقد شاهدت أثناء تجوالي في ربوع العالم شيء كهذا في أدغال الأمازون، المرأة هناك إستغنت تماما عن الملابس أو أنها لم تعرفها طيلة حياتها وتعيش وتمارس حياتها عارية تماما كالرجل، ولكن أولئك القوم بدائيون ولا ملامة عليهم، كما رأيت أيضا نساء الهنود الحمر وهن خلاف هنود الأمازون، في سائر دول أمريكا الجنوبية في "بنما" على وجه الخصوص قبائل منهم تغطي المرأة النصف الأسفل من جسمها بما يشبه الإزار الذي يرتديه البنغاليون وبعض شعوب سواحل أفريقيا الشرقية، بينما تترك صدرها عاريا.

كما شاهدت أيضا في معظم قرى كينيا بلد "غريغوري" لا تغطي المرأة هناك صدرها وتتجول في الطرقات والشوارع بهيئتها تلك لأنها عادة عندهم، ولكن شتان بين تلك "القرب المتأرجحة" التي تتجول في قرى كينيا وبين هذه الثمار اليانعة وقد حان قطافها كما يقول "غريغوري".

تذكرت العديد من الأغاني العربية التي تترنم بالنهود كتلك الأغنية الشعبية القديمة التي تقول "رمان نهديك غاية منيتي" وأغنية أخرى إشتهرت في نهاية الخمسينات تقول في أحد مقاطعها:

أسعد الأوقات عندي	عندما هدهت صدري!!

لقد طاف بنا الصدر العاري آفاق الدنا واخترق حاجز الزمان، يسأل غريغوري الفتاة مرة أخرى: هل عندكم أن تكشف المرأة صدرها تشبها ومساواة بالرجل كما تزعمون هو تطور وتقدم؟ فتجيب الفتاة: نعم إنه كذلك! فيرد عليها غريغوري قائلا: إذن نحن أكثر منكم تطوراً وسبقناكم بذلك منذ آلاف السنين، فما زال عندنا أقوام يعيشون عراة تماما كما خلقهم ربهم وتخلفنا نحن عنهم بارتدائنا الملابس التي ترينها الآن!!

إنه منطق عجيب حقا!، أقول لصديقي: هيا بنا فإن ربنا سوف يحاسبنا على مجرد النظرة فكيف التأمل!!، فيقول: نعم أعرف ذلك فأغلب أصدقائي في "ممباسا" من المسلمين لكم الأولى، فقد يكون القادم أسدا، وإن كانت هذه النهود أشد فتكا من الأسود!! وعليكم ما تلا ذلك... تركته يجادل تلك "الصهباء" وقد "أدارت رأسه" وسلبت عقله...، وما لبث أن لحق بي لا تعففا بل يأسا من أية محاولة!! وهربا من تلك النهود الفواتك ولسان حاله يقول:

لما رأين الغواني "سواد بشرتي"	أعرضن عني "بالنهود النواضر"!

اللهم إن لنا لأجرين: أجر ما أبتلينا به وصبرنا، وأجر ما حرمنا منه فشكرنا!!

المرأة السويدية من أجمل نساء الأرض شكلاً وقواماً؛ شعر أصفر، عيون زرقاء يشع منها الصفاء والبهاء، خدود كستها حمرة طبيعية أو لوناً وردياً فاتحاً، شفاه رسمت بدقة وعناية، أنف مستقيم، وقوام ممدود، لا هضاب ولا سفوح ولكنه جمال بارد سقيم كبرودة أجواء السويد. لا عاطفة ولا غيرة ولا حنان ولا أنوثة، وهي أكثر النساء تمنعا حتى على الرجل السويدي الذي أخذ يبحث عن الحنان والعاطفة بين نساء القوميات الأخرى، يقول عدد من الرجال السويديين: مع المرأة السويدية يشعر المرء وكأنه يعيش مع رجل مثله تماما مساوله في كل شيء، لا هيمنة للرجل على المرأة ولا سلطة له عليها.

كنت أتجول في إحدى الليالي وحيداً بعد أن أرهقتني القراءة وكانت درجة الحرارة ١٨ تحت الصفر وقد إكتست الأرض بطبقة بيضاء من الثلج المتساقط، إنها عندي متعة ما بعدها متعة، تلك التمشية تحت الثلج المتساقط كالعهن المنفوش، إسترعى إنتباهي حديث صاخب بين رجل وإمرأة على قارعة الطريق، يبدو أنهما خرجا للتو من مشرب أو مرقص لست أدري ولكن السكر كان واضحا عليهما من ترنحهما، إشتد النقاش وفجاءة هوت المرأة بكفها على وجنة الرجل صافعة إياه صفعة مدوية ثم تركته، إحتج الرجل على هذه الإهانة البالغة بأن رمى بمعطفه – رغم البرودة الشديدة – على الأرض!! فما كان من المرأة إلا أن عادت مرة أخرى وانهالت على الرجل صفعا وركلاً ولم يجرؤ أن يمنعها من فعل ذلك، ثم تركته وأدبرت لا تلوي على شيء، إلتقط الرجل معطفه ولملم جراحه ومضى في حال سبيله.

سألت عددا من السويديين والسويديات عن هذه الحادثة مبديا تعجبني بأنها المرة الأولى طيلة إقامتي وترددي على السويد أرى شخصا ما يضرب شخصا آخرا أجمعوا على

أن القانون يحرم تحريمًا تامًا الضرب لأي سبب فيه إهانة بالغة للشخص، بل أن التهديد به حتى وإن كان قبل الأبوين لأطفالهم يعتبر مخالفا للقانون وتوقع على مرتكبه العقوبة المنصوص عليها، ولكن حتى وإن كان تصرف المرأة خاطئ قانونا لأن القانون لا يميز بين الرجل والمرأة، إلا أنه يقف عاجزًا في حالة المرأة التي تصفع رجلا وهو أمر نادر الحدوث!

هل بقي شيء من الشك لدى أصحاب الشوارب المفتولة التي تقف عليها شتى أنواع الجوارح من الطيور، من التسلط التي وصلت إليه المرأة السويدية بسبب الحرية الزائدة؟!

أزيدهم من الشعر بيتان:

البيت الأول: وهو حادثة حدثت لي شخصياً، كنت مدعوًا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزل ريفي تملكه عائلة سويدية مكونة من سيدة مع طفليها ووالدتها وجدها الذي تجاوز التسعين عاما ويتمتع بصحة جيدة، المنزل يبعد عن المدينة حوالي ساعة ونصف بالسيارة إستأجرت سيارة وأخذت زميلي السوداني "أحمد قورين" والفنزويلي "فريدي" لكي يتولى أمر الطبيخ لأن الوجبات السويدية تثير الغثيان، وصلنا إلى المكان المقصود.

منزل كبير يقع وسط حقل وبه جميع الكماليات إضافة إلى الأبقار وخلايا النحل تعرفنا على عائلة سويدية أخرى كانت مدعوة لقضاء الإجازة وهي مكونة من رجل وزوجته التي جاوزت الأربعين عاما وإبنتها ذات العشرين ربيعا وطفل في السادسة، ما إن أظلم الليل علينا ونحن في جلستنا نتحدث مع العائلة عن سر صحة الجد ونشاطه حيث أنه يمشي ما لا يقل عن سبعة كيلو مترات كل يوم، حتى أطلت علينا السيدة المتصابية وهي تطلب مني شخصيا أن أكون لها، ذهلت لأن الأمر كان أمام الجميع ثم أن زوجها معها وإن كان يتمشى خارج المنزل كما تزعم، ثم والأهم أنني لم أبدي أبدا أي اهتمام بها

منذ وصولنا، شرحت لها الأمر ولكن لا فائدة قالت: إن كنت تخجل من زوجي فإنني قد أخبرته وسوف آتيك به لتتأكد من قولي، وجاءت تجرجر خلفها زوجها وسألته أمام الجميع: ألم أخبرك بأنني سأكون معه هذه الليلة، قال الرجل: نعم وما هي المشكلة، أنا أعرف ذلك ولم أعترض!، قالت، المشكلة ليست فيك أنت بل فيه هو إنه يرفض، ازددت ذهولاً وإحراجاً من هذا الموقف السخيف وقلت لمضيفتنا: إننا هنا لكي نقضي إجازة سعيدة نتعرف خلالها على عاداتكم وتقاليدكم لا أن نقيم علاقة مع سيدة متزوجة جاءت مع أسرتها!!، قالت: ان الأمر لا يعدو أن يكون متعة عابرة لاغضاضة فيها، وأضافت المتصابية: إلى متى ستبقون أيها العرب بهذه العقلية المتخلفة؟، عقلية متخلفة؟! اللهم إحفظ علينا تخلفنا هذا واحشرنا به يوم القيامة..

هل بقي شيء من الشك عند أصحاب أعشاش النسور من المستقبل المظلم الذي ينتظرنا نتيجة لحرية المرأة الزائدة؟ أورد البيت الثاني وأختمه بمشهد محزن شاهدته في إحدى الدول العربية:

البيت الثاني: كان من عادة الدارسين في الجامعة البحرية إقامة حفلات في مقر إقامتهم يدعون إليها العديد من الأسر السويدية بهدف التعارف، وفي إحدى الحفلات كان من بين المدعويين محام شاب وزوجته الشابة، حدثني المحامي الكثير عن عادات السويديين وبعض السلبيات التي طرأت عليهم نتيجة الحرية أو الإباحية، من هذه السلبيات مثلا أنه ما يقارب من نصف عدد الأطفال لا ينتسبون إلى آبائهم الذين يعيشون معهم، تعاشر المرأة السويدية وهي متزوجة من تشاء وتحبل منه وقد تعرف ذلك وقد لا تعرف، ويضيف أنه لو تم الكشف على الأبناء وصلتهم بالآباء لظهرت مشكلات

كثيرة، رغم أن الآباء أحيانا لا يأبهون لهذا الأمر. وبينما نحن في حديثنا جاءت زوجته لتقول له أنها لن تعود معه هذه المساء إلى المنزل لأنها أعجبت بحديث أحد الدارسين وستمضي الليل معه!، أصابتي الدهشة لهذه الجرأة، إعترض الرجل لا غيرة ولكن حسب قوله أنهما لم يتفقا على هذا الأمر ولم ينقذ الموقف إلا رفض الدارس الفكرة ببقاء السيدة معه وأنه يكتفي بما دار من حديث معها!

قطعاً ليست الصورة كلها قائمة على هذا النحو فهناك عائلات سوية إلا أن الغالبية تنتهج ذلك النهج الذي ذكرناه.

أما المشهد المحزن الذي شاهدته في إحدى الدول العربية التي إشتهرت بالسياحة، فهو تقليد بعض نساء ذلك البلد لبدعة الصدر العاري، حيث خلعن كل ما يستر صدورهن وأخذن يتجولن على مرأى من أزواجهن وأقاربهن حول مسبح أحد الفنادق! أي أن الكارثة لم تعد تدق الأبواب، بل دخلت عقر الدار ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

العلاقات العربية السويدية...

"بيرغيتا يونغبيك" سيدة سويدية إستهوتها الحضارة العربية الإسلامية كثيراً سافرت إلى العديد من الدول العربية وإقامت فترة في اليمن لدراسة العادات والتقاليد العربية، تدرس وتحاضر في العديد من المعاهد العلمية والثقافية في السويد، أمنيتها أن تقيم فترة أخرى في أية دولة عربية لدراسة المزيد لأنها تعتبر الحضارة الإسلامية والحضارات العربية السابقة عليها من أعظم الإنجازات البشرية وأنها لن تسطيع الإلمام بها وإن قضت عمرها جله في دراستها.

هي ليست وحدها في هذا المجال، هناك الكثير من المثقفين السويديين الذين ينظرون إلى الإنجازات العربية السابقة بعين التقدير المجرد، ذلك لأنه لم يكن في يوم من الأيام أو فترة من الفترات الزمنية نزاع أو حروب بين العرب وشعوب دول الشمال، فليست هناك رواسب أو أحقاد سببها استعمار هنا أو غزو هناك كما هو الحال الآن مع بعض الدول الأوروبية الأخرى بسبب الحروب الصليبية وما تلاها من حروب استعمارية امتدت حتى منتصف القرن العشرين، ومازالت حالة التوجس والريبة قائمة بين أغلب الدول العربية وبين تلك الدول الاستعمارية السابقة.

توطدت علاقة السيدة "بيرغيتا" وبين الدارسين العرب في الجامعة البحرية العالمية فأخذت تدرسنا اللغة السويدية بحكم تخصصها فيها ونظرا لحاجتنا إلى تعلمها في بداية إقامتنا في السويد، وأخذ بعضنا يزوّدها بالكثير من المعلومات والبيانات عن الدول العربية والاختلافات بينها في مجال العادات والتقاليد التي لا يستطيع الزائر الغربي أو الأجنبي تمييزها.

وكثيراً ما كانت تدعونا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزلها الريفي أو المنزل الصيفي كما يطلقون عليه، وهو منزل خشبي بناه زوجها بالكامل وإن كانت تساعده في بعض الأحيان، وبناء منزل خشبي أو تركيب آلة وخلاف ذلك من الأمور، قد تبدو لنا صعبة معقدة أو لا يمكن القيام بها سوى للمحترفين، ولكن عندهم الكثير من الكتب والدورات التدريبية التي تعلم المرء كيف يبني منزلا خشبيا أو يصمم آلة.

ونظراً لعلاقاتها الكثيرة والمتعددة مع العائلات العربية المهاجرة والمقيمة في السويد فقد تطبعت بعاداتها وتقاليدها في كرم الضيافة والود وطيب المعشر وفن الدعابة الذي لا يجيده السويديون إطلاقا.

والعلاقات العربية السويدية والإسكندنافية عموماً تعود إلى عصور قديمة كما أسلفنا وتحديداً في القرن العاشر عندما بدأت العلاقات التجارية وازدهرت بعد ذلك بين الخلافة العباسية و "الروسية" القادمين من السويد على عهد الفيكنغ، وإن كانت عكس ذلك بين الفيكنغ والدانيين بصفة خاصة وبين الحضارة العربية في الأندلس حيث كان الفكنغ يشنون الغارات على مدن المسلمين في الأندلس كما كانوا يشنونها على سائر مدن أوروبا

ولعل أشهر الكتب السويدية التي تتحدث عن هذه العلاقات هو كتاب الدكتورة "كارين أودال" أستاذة تاريخ الفن في معهد الدراسات الإنسانية في جامعة "أولسالا" السويدية، أعرق جامعات السويد وواحدة من أعرق جامعات أوروبا، والكتاب هو "الاستشراق والآثار المشرقية والعلاقات السويدية مع العالم الاسلامي على مر القرون".

والدكتور كارلين نالت شهادة الدكتوراة حول موضوع الفنون والمصورات الفارسية وتقوم حاليا بالإشراف على القسم الإسلامي في متحف البحر المتوسط في" ستوكهولم" الذي تأسس عام ١٩٨٢. ويحتوي على مقتنيات فريدة من التحف الإسلامية إنتقلت إليه

من المتحف الوطني السويدي الذي تأسس سنة ١٨٦٠، والذي جمع منذ تأسيسه العديد من التحف الفنية الإسلامية النادرة.

ولقد قامت الدكتورة "كارين" بتصنيف التحف والآثار الإسلامية والشرقية الموجودة في المتاحف السويدية منذ السبعينات كجزء من دراسة جامعية موسعة، ثم عملت بعد ذلك في العديد من المتاحف السويدية ووضعت أول فهرس بصنف ويصف ويشرح المجموعة الكبيرة من المقتنيات الفنية الفارسية والإسلامية في كل السويد.

ويجئ كتابها الآنف الذكر تلخيصاً وتجسيداً لخبرتها العميقة في مجال الفنون الإسلامية، حيث سجلت فيه إنطباعاتها وخواطرها حول العلاقات الإسلامية السويدية حسب تسلسلها التاريخي.

يصف كتابها بداية إماطة اللثام عن العلاقات الإسلامية السويدية عندما عثر علماء الآثار والمؤرخون على الكثير من التحف والمقتنيات والمصنوعات الإسلامية في السويد وليست هناك أدلة قاطعة على كيفية وصول مثل هذه المصنوعات، هل صنعها حرفيون مسلمون حضروا للسويد وأقاموا فيها؟ أم أن الفيكنغ جلبوها معهم من ديار المسلمين؟ إلا أن المؤكد هو أنه كانت للفيكنغ محاولات فاشلة لتقليد تلك الصناعات الإسلامية.

هذا بالنسبة للمقتنيات الإسلامية في السويد، إلا أن العلاقات نفسها التي كانت سائدة بين السويدين على عهد الفيكنغ وهو أول العهود المعروفة والمدونة، وبين الحضارة الإسلامية فقد كانت معروفة وموثقة بشكل قاطع لا لبس فيه، ثم بدأت هذه العلاقات بعد ذلك في الإضمحلال نتيجة لإزدياد السيطرة المسيحية ليس فقط في السويد بل في سائر دول أوروبا، وأيضا للوهن الذي أصاب الخلافة الإسلامية في "بغداد" على مر الزمن والتي كانت لها أقوى العلاقات مع السويديين القدماء.

ووصلت العلاقات الإسلامية السويدية بصفة خاصة ومع دول الشمال بصفة عامة إلى أقل مستوى مع إزدياد التأثير المسيحي الأوروبي على تلك البلدان نتيجة للقرب الجغرافي ولإنتشار الديانة المسيحية فيها وأيضا بسبب الحروب الصليبية التي قامت بعد ذلك بين أوروبا المسيحية والمشرق العربي المسلم على الرغم من عدم انغماس دول شمال أوروبا في تلك الحروب باستثناء غارات الفيكنغ السابقة على مسلمي الأندلس وشمال أفريقيا كما ذكرنا.

ولقد وصل تأثير أوروبا المسيحية على القرار الإسكندنافي والسويدي بصفة خاصة إلى درجة أن تصدير صقور الصيد الذي كان مزدهرا بين دول شمال أوروبا والدول الإسلامية كان يستوجب الحصول على موافقة "بابا روما" صاحب السلطة المطلقة على ملوك أوروبا ثم بدأت العلاقات السويدية الإسلامية تزدهر شيئا قليلاً عندما أصبحت السويد دولة عظمى وذات قوة عسكرية مهيبة الجانب، خاصة مع الخلافة العثمانية ووصلت ذروتها على عهد الملك "كارل الثاني عشر" في نهاية القرن السابع عشر الذي تحالف معها وأرسل أعدادا مع العلماء والدارسين إلى مقر الخلافة لدراسة مختلف أسباب التطور والتقدم خاصة في مجال المعمار والبناء وشق الطرق.

ولقد بلغ تأثر السويديين بأساليب الحياة في الخلافة العثمانية حداً كبيراً جعلهم يقتبسون منهم ليس فقط أساليبهم في البناء والإدارة والتنظيم، بل في أسلوب الحياة اليومية في إنشاء المقاهي العامة وتدخين الأرجيلة التركية الشهيرة وإقامة الأكشاك والديوانيات والحمامات التركية الساخنة وطرق تحضير القهوة وغير ذلك.

ثم ظهر بعد ذلك مستشرقون ورسامون وفنانون سويديون سافروا للشرق وتأثروا به ومن بين هؤلاء: "اندرس زورن" و "هينرك إنقر كرونا" و "إيفان جويلي" الذين أقاموا في

شمال أفريقيا و "هيدنستام" و "لوفيهنهيلم" الذين إتصلوا بالخلافة العثمانية وتأثروا بها ونقلوا عنها.

ومن الإنجازات القيمة لمتحف البحر المتوسط الذي تشرف عليه الدكتورة "كارين" دعوته التي طرحها في المؤتمر الدولي الثاني للفن الإسلامي الذي عقد في لندن عام ١٩٨٥ بإحصاء وتسجيل وتوثيق جميع المقتنيات والتحف الفنية الإسلامية النادرة في العالم ولقد أبدى مكتب اليونسكو في السويد إهتمامه بالفكرة وعرض المساهمة في تمويل وتنفيذ هذا المشروع الضخم، ولقد بادر المتحف الذي يشرف على هذا المشروع بإرسال قوائم إستفسار ودعوات للمشاركة في تنفيذ هذا المشروع إلى أكثر من ١٥٠ متحفا وهيئة مختصة في مختلف أنحاء العالم، سيتم بعد ذلك برمجتها في الحاسوب "الكمبيوتر" حتى تكون جميع المعلومات في متناول أي باحث يود الاستفادة منها، كما أنها ستوفر لجميع المتاحف والمعاهد المختصة ذخيرة قيمة من المعلومات، وهو جهد ضخم وعمل شاق ساهمت فيه بكل وقتها وخبرتها وعلمها المستشرقة السويدية الدكتورة "كارين أودال".

أما المستشرق السويدي "إنغفار رود بيرغ" فقد قام بعد جهد مضن دام سنوات طويلة من العمل المتواصل في ترجمة مقدمة" ابن خلدون" إلى اللغة السويدية، ونشرته دار "الحمراء" لصاحبها الناشر "هشام بحري"، ولقد نال هذا العمل الجبار إعجاب وتقدير الأوساط الثقافية السويدية.

فقد قال عنه الناقد المعروف "تيلس غروفبيرغر": "... يعود الفضل للعرب في كوننا نمتلك تراثنا كلاسيكيا نتوارثه ونعتز به، فلو لا المساهمة العربية لكان من المحتمل أن نبقى بدون عصر النهضة وبدون الحضارة الأوروبية".

كما قال عنه الناقد "إنغمار ليكيوس": "لو أن مفاهيم العدالة كانت مطبقة في الأوساط الثقافية لمنحت دار نشر "الحمراء" والمترجم المستشرق "إنغفار رود بيرغ"، أرفع أوسمة التقدير لإنتاجهما الجريء".

كما قالت عنه الدكتورة "إنجابرانديل" أستاذة العلوم السياسية في جامعة "أوبسالا" العريقة: "إن المقدمة لم تقتصر على تعريفنا بأسس التقاليد السياسية في الثقافة العربية الإسلامية فحسب، بل أيضا سلطت الأضواء على الفكر الذي أرسى مفاهيم الحرية والدولة في المجتمع الإنساني الحديث".

ولقد قدم "بيريارتون" أحد أكثر السويديين إطلاعاً ومتابعة للقضايا العربية. هذا العمل الجليل للقارئ السويدي في برنامج إذاعي بعد صدوره باللغة السويدية حيث قال: "لقد عالج إبن خلدون في مقدمته عن تاريخ العالم قبل خمسة قرون جوهر العلاقة بين الفرد والسلطة من منطلقات يسهل فهمها وبأسلوب سبق فيه زمنه بمدة طويلة، ويمكن مقارنة ما جاء في المقدمة بالمواقف المعاصرة التي تعالج العلاقة بين الفرد والسلطة فالماركسيون سموا "ابن خلدون" بأبي المؤرخين، فهو إضافة إلى منطقة الجدلي إعتبر العمل والإنتاج مقياسا للقيمة، ولاشك أن الليبراليين يقرون طريقته في التقسيم الوظيفي للعمل، وبالتأكيد فإن المحافظين يتفقون معه في طريقة إنتقاده لفرض الضرائب الثقيلة على المواطنين. أما الإشتراكيون الديمقراطيون فإنهم حتماً يتفقون معه في إعطاء الدولة دورا توجيهيا على الصعيد الإقتصادي والديمقراطيون المسيحيون يتعاطفون مع دفاعه عن مبدأ إعتبار الدين عاملاً سياسياً مؤثرا. وحتى حزب البيئة يرحب بتوجيهاته لمخططي الدولة في المحافظة على الغابات ونظافة الماء ونقاء الهواء".

لقد أوردت بعضاً من تقريض عدد من صفوة المثقفين في السويد لهذا الإبداع العربي والإنجاز الإسلامي الفذّ لا بهدف الترويج له أو للترجمة السويدية وهو أكبر وأعظم من كل

هذا، بل بهدف تعريف القارئ الكريم بآراء العديد من المثقفين حول الإنجازات الإسلامية والعربية وهذا العمل على كل حال ليس الأول للمستشرق "إنغفار رود بيرغ" فقد سبقته ترجمات عديدة إلى اللغة السويدية لبعض أعمال "نجيب محفوظ" و"عبد الرحمن الشرقاوي" و"غسان كنفاني "وآخرين.

والتعاون الثقافي بين السويد والدول العربية أرى ألا يقتصر على جانب واحد أي الجانب السويدي، سواء من حيث ترجمة الأعمال والمؤلفات العربية إلى السويدية أو الإهتمام بالحضارة الإسلامية بل يجب أن يقابله إهتمام عربي بالإنجازات السويدية سواء في المجال الثقافي والعلمي والأدبي وذلك من خلال ترجمة الإبداعات السويدية إلى اللغة العربية ونقل المعارف والعلوم والإختراعات السويدية إلى القارئ العربي ودعوة المستشرقين والعلماء والأدباء السويديين لإلقاء المحاضرات وإقامة الندوات في الدول العربية وإيفاد الدارسين العرب للإطلاع على عوامل التقدم الهائل في السويد خاصة في المجالات التقنية "التكنولوجية" بدلاً من الإعتماد على عناصر محدودة في نقل المعرفة كما هو متبع لدى بعض الدول العربية التي تتعاون مع بريطانيا والولايات المتحدة وأخرى تتعاون مع فرنسا بحكم الروابط التاريخية السابقة.

ومن الدول العربية الرائدة في مجال التعاون مع الدول الإسكندنافية وخاصة السويد هي جمهورية مصر العربية حيث تم تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما في عام ١٩٢٢، أما في المجالات الثقافية والعلمية فهناك العديد من الروابط منها مثلا المنح الدراسية التي يقدمها المعهد السويدي والوكالة السويدية لدول العالم وتستفيد جمهورية مصر من بعضها خاصة في مجال الطب والزراعة والتكنولوجيا الصناعية والسينما والمسرح وغيرها من المجالات

كما أتاحت مناسبة حصول الأديب المصري "نجيب محفوظ "على جائزة "نوبل" للسلام عام ١٩٨٨ سبباً جديداً من أسباب التقارب الثقافي والسياسي والسياحي بين

البلدين وفتحت الباب لمزيد من الإتصال الثقافي والفكري والأدبي، وتشكل السياحة الحديثة في مصر إحدى قنوات الإتصال الرئيسية بين مصر والسويد حيث يتزايد أعداد السياح السويديين القادمين إلى مصر سنة بعد سنة.

كما توجد في مدينة "ستوكهولم" عاصمة السويد الجمعية المصرية التي تأسست سنة ١٩٦٧ على يد عدد من المهاجرين المصريين، وهي جمعية تهدف إلى توثيق الروابط بين أعضاء الجالية المصرية من جهة وبينهم وبين المجتمع السويدي. والجمعية ليست لها أية أهداف أو إتجاهات دينية أو سياسية، ولقد قامت الجمعية بتأسيس المدرسة المصرية سنة ١٩٨٤ لتعليم أبناء الجالية المصرية. وهناك العديد من الشخصيات المصرية والعربية التي لها إنجازات كبيرة وتحظى باحترام كبير في السويد.

ومن عوامل التقارب والتعاون بين السويد والدول العربية هو حياد السويد وإنتهاجها سياسة سلمية محايدة خاصة أثناء سياسة الاستقطاب الدولي أثناء الحرب الباردة التي كانت قائمة بين المعسكر الشيوعي السابق والدول الرأسمالية، كما أن وقوف السويد إلى جانب الحق العربي خاصة في عهد رئيس وزرائها الراحل "أولف بالمة" أكسبها إحتراما كبيراً وتقديراً خاصاً، للأسباب السابقة وغيرها من الأسباب ونظراً لعدم وجود النزعة الاستعمارية أو سياسة الهيمنة التي تنتهجها الدول الأخرى، فأن مجالات التعاون بين السويد والدول العربية تغدو رحبة واسعة خاصة في المجال الصناعي الذي تقدمت فيه السويد تقدما هائلا وضعها ليس فقط في مصاف الدول المتطورة الأخرى، بل في مقدمتها أيضا المجال السياحي وهو خير وسيلة وأفضل مدخل لتوثيق التعاون في المجالات الأخرى

الدعوة الإسلامية في السويد..

أما في مجال الدعوة الإسلامية فقد دخل الإسلام السويد عن طريق العمال الأتراك والبوسنيين والمسلمين الأسبان في بداية الستينات ثم تكاثر عدد المسلمين في أوائل السبعينات، ويقدر عددهم في الوقت الحاضر ما بين ٦٠ – ٧٠ ألف مسلم بينهم ما يقارب خمسة آلاف مسلم من الإسكندنافيين الأصليين وأغلبهم من المثقفين وحملة الشهادات الجامعية. ويمثل المسلمين لدى حكومة السويد حاليا المجلس الإسلامي السويدي الذي يتكون بدوره من إتحاد الروابط الإسلامية *(FIFS)* وإتحاد مسلمي السويد *(SMF)*.

ويقوم بالدعوة الاسلامية والتعريف بالدين الاسلامي مكتب الإعلام الإسلامي الذي تأسس عام ١٩٨٦، كما يقوم بالردّ على المقالات والنشرات والكتب والبرامج التي تسيء إلى الإسلام، كما أن له عدة أنشطة أخرى منها النشر والترجمة وعقد الندوات والحلقات الدراسية وإقامة المؤتمرات.

ويصدر مكتب الإعلام حاليا مجلة شهرية باللغة السويدية اسمها "السلام"، كما قام المكتب بإصدار كتاب "الإسلام عقيدتنا" باللغة السويدية ردا على كتاب المرتد "سلمان رشدي"، ولقد قامت نفس الدار التي طبعت كتاب" سلمان رشدي" بطباعة ٢٠٠٠ نسخة كطبعة أولى وقد نفدت جميع النسخ وستصدر منه طبعة ثانية.

ومن مشاريع مركز الإعلام التي بحاجة إلى تمويل أقامة "دار الأنصار" لتكون مقراً رسمياً للمركز يحتوي على مطبعة ومحطة إرسال إذاعي، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأسكندنافية، السويدية والنرويجية والدنماركية والفنلندية، وتأسيس فروع للمركز في كل من مدينة "أوسلو" عاصمة النرويج ومدينة "هلسنكي" عاصمة فنلندا وكل هذه المشاريع بحاجة إلى دعم مادي ليتسنى لها العمل.

أما عنوان المقر الرئيسي في السويد فهو:

IIF Ostgotagam, 87 BV 11654,
STOCKHOLM,
SWEDEN.

وعنوان المركز الاسلامي في مدينة "مالمو" هو:

Islamic Centre In Malmo,
P. O. Box: 28024,
S – 20028, MALMO,
SWEDEN.
TEL: 46 – 40 – 228320.

دولة الرفاهية .....

بدأت السويد نهضتها الصناعية في مطلع هذا القرن كما أسلفنا، وانتهجت علي المستوي الدولي سياسة محايدة ولم يدخل جيشها أية حروب منذ مدة طويلة وهو الذي أنشئ لغرض الدفاع لا للإستعمار كما بدأت السويد نهضتها بسن تشريعات وقوانين التعاون وأنشأت الجمعيات التعاونية التي سبقت بها دول أوروبا الأخرى سواء تلك التي انتهجت نهجاً اشتراكياً ماركسياً أو التي انتهجت نهجاً رأسمالياً، وكان من نتيجة هذه القوانين والتشريعات والسياسات أن دخل المجتمع السويدي في رفاهية لا نظير لها واعتبرت التجربة السويدية أسطورة تحققت علي أرض الواقع وأصبح الشعب السويدي يعيش فعلاً- لا شعارات- في نعيم وعدالة ومساواة.

ووصلت التجربة ذروتها في بداية الخمسينات من القرن العشرين حيث وصل الشعب إلي أعلي مستويات المعيشة في العالم تمثلت هذه التجربة في الضمان الاجتماعي الفريد وصلت بالفرد السويدي إلي أن يعيش حياة أطول وبصحة أكبر من أسلافه، بل إن الرعاية الاجتماعية الحكومية بلغت درجة من الرفاهية إلي أنها أرسلت عدداً من الأحداث ارتكبوا جنحاً يعاقب عليها القانون في رحلة بحرية إلي البحر الكاريبي، علي أمل أن يساعد وجودهم معاً هناك بعيداً عن وطنهم علي بعث روح الجماعة وحب العمل لديهم

وأذكر في هذا الصدد عنه بداية التحاقي بالجامعة البحرية العالمية بمدينة "مالمو" حادثة حدثت في فصل الصيف إذ سطا لص سويدي وهو أمر نادر الحدوث، علي مكتب الإستقبال في مبني سكن الدارسين في وقت متأخر من الليل وسمع "فريدي" الفنزويلي الذي يقيم في غرفة بالقرب من مكتب الاستقبال حركة اللص وهو يحاول فتح خزانات المكتب بمجموعة من المفاتيح كانت معه، فما كان من فريدي إلا أن اتصل بالشرطة التي

وصلت بعد دقائق ووقف معهم يرقب إلقاء القبض علي اللص وهو متلبس بالجرم المشهود مع عدد آخر من الدارسين، وأقتيد اللص الذي رفض رفضاً قاطعاً أن توضع القيود في يده إليPمركز الشرطة، مرت أيام وإذا "بفريدي" يشاهد نفس اللص يتجول في الحديقة من المبنى في يوم مشمس جميل من أيام الصيف القصير عندهم، فهرع من فوره للإتصال بالشرطة فلعل اللص قد هرب من سجنه، وأخبرهم بأمره، فرد عليه ضابط الشرطة قائلاً: نعم لقد اعتقلناه وصدر حكم بسجنه، ولكنه طلب منا أن يتمتع بالتجول فى الأيام المشمسة خارج السجن وفى حدود المدينة وأجبناه إلي طلبه لأن هذا من حقه طبقاً للقانون فالأيام المشمسة عندنا قصيرة جداً وهو سوف يعوض هذه الأيام في الشتاء!!

قصة أخري رواها لي دارس آخر من الدارسين في الجامعة يقول: "إرتكبت مخالفة وجب معها أن اقضي مدة ثلاثة أشهر بالسجن (لم يذكر لي المخالفة ولكن حدثني عن السجن) فأخذوني في البداية إلي التحقيق حيث جلست علي مقعد وسألوني: ماذا تود أن تشرب؟ فطلبت قهوة وأخذوا يسألوني أسئلة خلت معها أنها دردشة بين زملاء أكثر منه تحقيق بين مخالف وضابط شرطة، ثم بعد ذلك أخذوني إلي السجن الذي هو عبارة عن فندق من ٣ نجوم تقريباً، غرفة فيها سرير مريح نظيف وحمام خاص وجهاز تلفزيون سألتهم أهذه غرفة توقيف أم سجن حقيقي؟ فقيل لي إنه سجن حقيقي، لذا فإنني أنصح كل من ليس لدية منزل يأويه في السويد أن يرتكب مخالفة حتى يقيم في ما يشبه الفندق إن لم يكن أحسن."

وفي صدد معاملة الشرطة السويدية الرفيعة للمواطنين والمهاجرين إلي السويد تتردد الكثير من الدعابات منها مثلاً: أن شخصاً أخبر آخر بأن لديه خبر سيء له وخبر آخر حسن، فقال له الآخر إئتني بالخبر السيء أولا. قال له: إنك ارتكبت مخالفة وسوف تأتي

الشرطة للقبض عليك. قال له وما الخبر الحسن؟ فأجاب الأول: أن القادمين هم من الشرطة السويدية.

كان السويديون أثناء إقامتي في السويد يتباهون بأنه لا يوجد عندهم مشرد واحد في سائر أنحاء السويد سواء من السويديين الأصليين أو حتى من المهاجرين أو اللاجيئين سواء كانوا بصورة قانونية أم غير ذلك، إلا أنني شاهدت مرة واحدة رجلاً قد أتخذ من مدخل كنيسة مناماً له وتدثر بالعديد من الأعطية، فسارعت إلي أحد معارفي من السويديين قائلاً له: لقد وجدت مشرداً واحداً فاندهش الرجل وقال أين؟ فوصفت له المكان فانفجر ضاحكاً وأخذ يصف الرجل فقلت له إنه هو، قال: لم يرهق حكومة السويد أحد كما أرهقها هذا الرجل، لقد عرضوا عليه منزلاً فخماً وراتبا تقاعيدا عالياً وإجازات يقضيها في البلدان المشمسة ذات الشواطئ الجميلة كأسبانيا، إلا أنه رفض جميع هذه العروض مفضلاً حياة الصعلكة والتشرد، وهنا لا تستطيع الحكومة علي إجباره أن يترك هذه الحياة البائسة ليس فقط إشفاقاً عليه بل منعاً للإحراج الذي يسببه لها بسلوكه هذا.

نعم أن كلام الرجل صحيح تماماً، فقد رأيت بعيني كيف وفرت السويد وسائل الإقامة الكريمة للاجيئين الذين تدفقوا عليها بعشرات الألوف منذ بداية حركات العصيان المدني والهروب التي أطاحت بالأنظمة الشمولية الحاكمة في دول أوروبا الشرقية وما تلاها من حركة نزوح هائلة بسبب الأوضاع الاقتصادية المتردية في تلك البلدان وأيضاً للحروب الأهلية التي اندلعت في يوغسلافيا السابقة ودول الاتحاد السوفيتي السابق.

لقد استأجرت السويد سفن ركاب ضخمة فاخرة وجعلت منها فنادق عائمة لإستقبال هؤلاء النازحين بعد إن امتلأت جميع وسائل السكن الأخرى بهم، وبلغت معدلات الإنفاق عليهم أرقاماً عالية جداً وذلك تطبيقاً لدستورها الذي ينص علي عدم طرد

أي لاجئ يفد إلي السويد هرباً من مطاردة أو حروب أو خوفاً من اعتقال سلطة بلدة الدكتاتورية إلي آخر هذه التصنيفات التي حددها القانون السويدي وخصوصاً قانون اللجوء السياسي.

قطعا إن المستوي الذي وصلت إليه السويد لم يكن خبط عشواء، بل كان نتيجة لتجارب ودراسات ومناقشات عديدة، دامت دهوراً عدة وليست سنوات قليلة ومازالت هذه التجارب تنقح ويعاد النظر فيها خاصة بعد الأزمة الاقتصادية التي مُنيت بها السويد أخيراً أسوة بباقي دول أوروبا.

يعتبر وقت العمل العادي في السويد ٤٠ ساعة في الأسبوع، والعمل الإضافي لا يتجاوز ٤٨ ساعة خلال فترة ٤ أسابيع وبمدة ١٥٠ ساعة في العام الواحد، ولا يحق لمن هم دون السادسة عشر العمل إلا بتصريح خاص، أما لمن هم دون الثامنة عشرة فهناك قوانين خاصة تنظم عملهم تختلف من غيرهم ممن تجاوزوًا الثامنة عشرة من العمر، وللعامل الحق في الحصول علي خمسة أسابيع إجازة في العام الواحد، وهي اختيارية بالنسبة له، ولا يستطيع صاحب العمل سواء كان شخصاً طبيعياً أو اعتبارياً أن يغير أعمال المؤسسة أو الشركة أو المصنع وتغيير ظروف العاملين بها إلا بعد التفاوض مع المنظمات النقابية التي يحق لها طبقاً للقانون مراقبة إنتاج المؤسسة أو الشركة والحصول علي معلومات حول تطور الإنتاج، كما يحق لها تعيين ممثلين نقابيين في مجلس إدارة الشركة.

من ضمن القوانين الكثيرة في السويد، قانون المساواة بين الجميع في فرص العمل، يلزم هذا القانون أرباب العمل في توفير فرص المساواة في شركاتهم أو مؤسساتهم فلا يجوز التفريق بسبب الجنس أي أن يوظف الرجل بدلاً من المرأة بسبب الجنس فقط ما لم تكن هناك أسباب مقنعة، وعادة ما تتاح فرص العمل في جميع المهن للنساء والرجال علي حد

سواء، إلا أن الرجال يفضلون العمل في القطاع الصناعي الإنتاجي والمهن الفنية بسبب ارتفاع أجورها، بينما تفضل النساء الأعمال الإدارية والمكتبية وغيرها وإن تدنت أجورها قليلاً عن أجور الأعمال الصناعية بسبب اختلاف طبيعة العمل، لأن الأعمال المكتبية تتيح للمرأة الاحتفاظ بأناقتها كما أنها مريحة أكثر، بينما الأعمال الصناعية تحتاج إلي ملابس خاصة وخوذات رأس مثلاً لا تليقها المرأة، هذا عوضاً عن الزيوت والشحوم والتعامل مع الآلات، وتشرف الدولة علي تطبيق مبدأ المساواة في العمل إشرافاً مباشرة.

والمساواة في السويد لا تفرق بين سويدي ومهاجر مقيم إقامة شرعية، فإذا كان السويدي بحكم انتمائه يتحدث اللغة السويدية، فإن المهاجر ربما لا يجيدها، وقد تحدث له إصابات عمل نتيجة لجهلة التحدث بهذه اللغة، لذا فإن القانون السويدي نص علي الحق في تعلم اللغة السويدية للعاملين الذين يجهلونها، فقد أقر البرلمان السويدي قانوناً سنة ١٩٧٣ منح بموجبة المهاجرين الحق في دراسة اللغة السويدية أثناء أوقات العمل مع صرف الأجر ولمدة ٢٤٠ ساعة.

أما العمل نفسه فيتم عن طريق تقديم طلب إلي مكتب الاستخدام، هناك أكثر من ٢٩٥ مكتب استخدام في سائر أنحاء السويد، ويوجد أكثر من مكتب في المدن الكبرى ويقوم المكتب بمساعدة المتقدمين للحصول على عمل مناسب في أي مكان كما أنه يحدد مواعيد الاختبار ومقابلة أصحاب العمل، كل ذلك يتم مجاناً من خلال أجهزة حاسوب متطورة "كمبيوتر" تحتوي علي جميع التفاصيل الدقيقة عن فرص العمل فما علي المتقدم سوي تقديم كافة البيانات والتفاصيل وحتى المدينة التي يفضل العمل فيها وهكذا.

أما الذين لا يتحدثون اللغة السويدية، فمن حقهم الحصول علي مترجم ليقوم بالترجمة بين طالب العمل وصاحب العمل، أما إذا تتوفر فرصة العمل المطلوب فيقوم

مكتب الاستخدام بمساعدة مقدم الطلب في الحصول علي عمل مناسب، كما يقوم مكتب العمل بالمساعدة علي تسديد نفقات الإنتقال والمواصلات التي يتكبدها من يبحث عن عمل في المدن الأخرى.

لا تقتصر الخدمة علي توفير فرص العمل بل أيضاً هناك مكاتب خاصة لتوفير السكن وتقدم خدماتها مجاناً في توفير مسكن مناسب سواء كان منزلاً أو شقة سكنية، ويتم ذلك من خلال بيانات ومعلومات تم تخزينها في جهاز الحاسوب، كما توجد أيضاً مكاتب خاصة لتوفير هذه الخدمة لقاء رسم خاص، وعادة ما تكون الشقق السكنية ملكاً لشركات تابعة للبلدية لا تهدف للربح بقدر ما تهدف لتوفير مساكن جيدة ورخيصة.

أما الضمان الاجتماعي فهو أكثر تطوراً من سائر دول الشمال الأخرى بل إنه الأكثر تطوراً في سائر دول العالم، وأجد من الصعوبة تلخيصه في صفحات قليلة ولعلني أورد للسويد كتاباً خاصاً في المستقبل إن شاء الله كنموذج لبلد وصل من الرقي والتطور ما لم تصل إليه دولة أخرى إلا أن للتطور ضريبة أخرى يدفعها المواطن أو وجه آخر قد لا يكون بالضرورة وجهاً مشرقاً.

لقد تحلل المجتمع السويدي من القيم الدينية والإجتماعية، فالغالبية العظمي من السويديين لا يؤمنون بدين أو أنهم ملحدون، كما أن الغالبية أيضاً لا تقيم وزناً للأعراف والتقاليد المشتركة بين الأمم، فقد تفشت العلاقات الجنسية بين المحارم، أو أنهم لا يرون غضاضة فيها وتمخض عن هذا السلوك مواليد كثيرة من المتخلفين عقلياً والمعوقين، وإن لم يكن منتشراً بصورة مطلقة، إلا أنه لم يعد أمراً منكراً، أما العلاقات الثنائية بين الرجال والنساء تحت سقف واحد بلا زواج فأصبحت أمراً عادياً جداً ومنذ عقود خلت، ولأنها كذلك فقد تناولها القانون السويدي بالتنظيم.

يطلقون على التعايش بين الرجل والمرأة تحت سقف واحد اسم " سامان بونيدة" وتختصر هذه الكلمة إلى كلمة "سامبو" الأكثر شيوعاً، ولا يجد الفتى أو الفتاة غضاضة في القول بأنه أو بأنها تعيش "سامبو" مع طرف آخر إذا ما سأل عن حالته الاجتماعية هذا ليس في مجال المحادثة العادية، بل حتى في الإستبيانات الرسمية، أي أن هذا الوضع أصبح عرفاً لديهم.

ولقد نظم القانون السويدي هذا الوضع تنظيماً دقيقاً بعد ما قبله المجتمع وسلم به بدءا من حضانة الأطفال الذين يولدون في هذا الوضع وانتهاء بحق اقتسام الممتلكات المشتركة في حالة الإنفصال أو وفاة أحد الأبوين، بل إن كلمة "ابن غير شرعي" أو " *Bastard* " لم يعد لها وجود ولا تعني شيئاً على الإطلاق، بل إنها لا تعني شتيمة أو إهانة كما الحال ليس فقط في الدول العربية والإسلامية، بل حتى في الدول الأوروبية الأخرى

أيضاً ونتيجة للتحلل الاجتماعي والانحلال الأخلاقي، فلم يعد الزواج وإنجاب الأطفال يمثل هاجساً عند الرجل والمرأة، وقد استعاضوا عن تربية الأطفال بتربية الكلاب والقطط وسائر الحيوانات الأليفة الأخرى بل إنني وجدت في أحد البيوت حيواناً غريباً مهجناً ما بين الفأر والأرنب وتعامل هذه الحيوانات خاصة الكلاب معاملة الأبناء، فلها طعامها الخاص بها والذي يباع في معلبات وألعابها التي تلهو بها مثل العظام البلاستيكية والكرات المطاطية وغيرها، بل وصل الأمر إلى تصنيع منظفات خاصة لها كالصابون والشامبو، وهذا بخلاف الملابس الخاصة والغرف الخاصة والعيادات الخاصة والأطباء النفسانيين.

وكثيراً ما تعرض قنوات التلفاز إعلانات ودعايات عن آخر ما طرح في الأسواق من طعام وألعاب للحيوانات الأليفة!!ونظراً لهذا الإهتمام الزائد بتربية الحيوانات المنزلية

وتناقص المواليد، فقد أخذت الحكومة عندهم تدق نواقيس الخطر خشية إنقراض الشعب السويدي مقارنة مع تكاثر الوافدين والمهاجرين وأورد هنا قصة حدثت فعلاً ونشرت في وسائل الإعلام في السويد وأقسم إنها ليست دعابة، أما القصة فهي كما أوردتها وكالة الأنباء الوطنية السويدية: " أصدرت محكمة سويدية حكماً بالغرامة علي لص منازل مقدارها ٣٧٠ دولار، وذلك كتعويض لببغاء منزل داهمه اللص- وتسبب أي اللص- في إثارة فزع وخوف الببغاء، وأنه ومنذ حادثة السرقة في العام الماضي والببغاء يشعر بخوف شديد عند تركه منفرداً في المنزل، مما دعي صاحبه إلي تركه عند أقاربه كلما غادر المنزل! ولقد ألزمت المحكمة اللص بأن يدفع كافة المصاريف التي تكبدها ويتكبدها مالك الببغاء جراء نقله إلي منزل أقاربه وإعادته مرة أخرى إلي منزله في كل مرة يغادره فيها !!!.

الحكومة عندهم هي بمثابة الأم الرؤوم التي تعتني بهم في الليل والنهار، في الصغر والكبر في الصحة والمرض، ما علي الشعب السويدي سوي أن يقرر أمراً فتبادر الحكومة إلي وضع القوانين والتشريعات المنظمة له، السويديون- وإن لم يكونوا كلهم- قد أنـفَوا من الزواج والحياة السوية التي قررتها جميع الأديان والشرائع، ويريدون أن تكون العلاقة الإجتماعية بين الرجل والمرأة تجربة ولا بأس خلال هذه التجربة من إنجاب الأطفال، وقد تدوم هذه التجربة عشرات السنين ثم بعد ذلك يأتي الزواج ! ولم العجلة ؟ !

طالما أن هذه هي رغبتهم، إذن لا بأس، ما علي الحكومة سوي وضع التشريعات التي تنظم مثل هذه الحالات الجديدة وهكذا لكل رغبة قوانين وأحكام، تبدأ نزوة، ثم عادة، ثم عُرف !!.

هكذا بدأت حكاية الـ"سامبو" أو التعايش، الحياة بغير زواج سمها ما شئت فليس لها تعريف في اللغة العربية سوي "علاقة محرمة" بدأت في خضم طوفان الثورة الجنسية

إستهجنها الكثير من الناس عندهم في البداية، وكانت نزوة ظنوها عابرة وسيعود الناس إلي رشدهم بعدها، ولكن النزوة تحولت إلي عُرف إجتماعي وأصبحت من صميم عادات الناس وتقاليدهم، مجتمع لا يحكمه دين، لا تنظمه أخلاق ولا أعراف.

"لويس ميلا" صديق من "بيرو" كان من ضمن الدارسين بالجامعة البحرية الدولية حدثني قائلاً: "لقد اصطحبت معي كما تعرف أسرتي عند مجيئي إلي السويد للدراسة وهي مكونه من زوجتي وابني البالغ من العمر الخامسة عشر سنة وابنتي ذات الثلاثة عشر ربيعاً وطفلي الرضيع، ولأن إقامتي ستدوم ربما أكثر من سنتين فقد ألحقت ابني وأخته بإحدى المدارس هنا، ولقد عنّ لي في البداية أن أتصفح الكتب الدراسية التي وفرتها المدرسة لهما ولقد هالني ما رأيت، إذ رأيت مجموعة العوازل الطبية البلاستكية التي يستخدمها الرجال عادة أثناء الجماع بين كتب ابنتي، تملكني غضب شديد وسألت نفسي: هل بلغت الجرأة بابنتي بأن تحضر معها إلي المنزل هذه العوازل الطبية وهي التي لم تبلغ سن المراهقة بعد ؟! واجهتها بما رأيت وأخذت أضربها وهي تقسم لي أن المدرسة هي التي وزعت علي جميع التلاميذ هذه العوازل، وشرحت لهم طريقة استخدامها وتجنب الإتصال الجنسي بدونها"

ويضيف: "لم أصدق في البداية الأمر وسألت أخيها فقال نعم لقد وزعوا علينا نحن أيضاً مثل هذه القطع ولكنني رميت بها بعيداً، لم أصدق وذهبت في اليوم التالي مع زوجتي إلي المدرسة للتأكد من هذا الأمر وقابلنا المدرسة التي أكدت لنا رواية قائلة: إننا نقوم هنا في السويد بتوزيع مثل هذه العوازل علي التلاميذ ونشرح لهم طريقة إستخدامها والمشاكل التي سوف يواجهونا بسبب جهلهم بالعواقب المترتبة علي الإتصال الجنسي دون حذر، إن

الأمر لم يعد يجدي في تبيان مضار العلاقات الجنسية في ظل الإباحية المطلقة ولكن التحذير واجب" !.

ولعل هذا ما حدا بهم إلي وضع جهاز خاص في المطاعم والمشارب والمراقص لتزويد الراغبين بالعوازل الطبية إذا ما دعت الحاجة إليها في تلك الساعة لقاء، مبلغ معين يوضع في طرف الجهاز ليسقط العازل في يد طالبه !!.

قصة أخرى روتها العديد من الصحف اليومية وقامت لأجلها الدنيا عندهم ولا أعرف حتى هذه اللحظة هل قعدت أم لا !! لقصة بإختصار شديد هي قصة مهاجر عربي مسلم تزوج وأقام في السويد وأكتسب الجنسية السويدية ورزق بابنة عاشت في ما يشبه إنفصام الشخصية ما بين عادات وتقاليد أمها ومجتمعها وبين عادات وتقاليد أبيها، إلا أنها احترمت عاداته وتقاليده ومنها ضرورة التزام السلوك الحسن والتحلي بالأخلاق الحميدة أمامه علي الأقل، وإلي أن بلغت الثامنة عشرة وهي السن القانونية التي تتيح للمرء في السويد سواء كان فتي أو فتاة أن يفعل ما يحلو له من سهر ورقص والتمتع بكل مباهج الدنيا حلالها وحرامها بشرط عدم مخالفة القانون.

ولقد أقامت لها والدتها حفل عيد ميلاد صاخب دعت إليه أصدقائها وصديقاتها ومن ضمنها صديقها الشخصي "بوي فرند" وبعد إنتهاء الحفل أخذت صديقها إلي غرفتها وأغلقت الباب، فما كان من والدها إلا أن فقد أعصابه وانهال عليها ضرباً وطرد صديقها خارج المنزل، وطلبت والدتها رجال الشرطة الذين أخذوا الوالد إلي المركز حيث صدر حكماً بسجنه فيما بعد.!.

الدين عندهم أصبح تراثاً يروي وقصصاً وأساطير، كنائس فخمة ضخمة لا يتردد عليها سوي السواح، حالات الانتحار رغم الرفاهية في أعلي معدلاتها تتباهى أستاذه

الدراسات النفسية في إحدى الجامعات بأن معدلات الانتحار في السويد في المرتبة العاشرة عالمياً بين الدول، أي أنها ليست الأولي.

لقد أعطتهم الرفاهية كل شئ وسلبت منهم الإطمئنان والأمان الروحي، وهذا الكلام ليس من عندي، لا شئ في هذا الكتاب من تأليفي، بل هي مشاهدات ومعلومات بذلت وقتاً طويلاً في جمعها والتأكد من صحتها، أخذتها من أفواه أصحابها، عدد من أساتذة الجامعات والمفكرين التقيت بهم في أماكن متفرقة في السويد شمالاً وجنوباً سألتهم نفس السؤال: لماذا رغم الرفاهية تكثر عندكم عيادات الطب النفسي ويشكو الناس من التعاسة وعدم الاطمئنان ؟

أنه الخواء الروحي، لا هدف سوي التمتع بملذات الدنيا ثم ماذا ؟

القلق، التوتر، الاضطراب أشياء كثيرة، بعض هؤلاء الأساتذة ملحدون أو لا دين لهم ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت .

كثيراً ما كنت أحرص علي حضور المحاضرات والندوات التي يقيمها عدد من أساتذة الجامعات السويدية لتعريف الدارسين في الجامعة البحرية عن السويد وتاريخها وعادات السويديين والكثير من الأمور التي كنا نجهلها، ذكرت لنا في إحدى المحاضرات أستاذة في جامعة"لوند" أشهر جامعات السويد أن الحكومة السويدية لاحظت من خلال الإحصائيات الموثقة إزدياد طول السويديين عن ذي قبل، وعادت سنين طويلة إلي الوراء ووجدت أن طول السويديين يزداد بمعدل ثابت، فأخذ العلماء يدرسون سبب هذه الزيادة وتأثيرها علي الإقتصاد والحياة عموماً في السويد فوجدوا أن هذه الزيادة سوف تسبب أيضاً زيادة في طول الأسرة والملابس والكثير من الأمور الأخرى، كما أنها قد تتجاوز الأطوال المتعارف عليها أو المقبولة عالمياً.

نعم الحكومة السويدية تخشى أيضاً القصر ولكنها لا ترحب بالطول المفرط، ليس الطول فقط بل الأوزان والألوان وكل شئ، هذا الإهتمام المفرط بالإنسان السويدي من قبل الحكومة، أدي إلي شيوع نظرة أو فكرة أن الإنسان لا يختلف كثيراً عن الآلة، وأنه بالإمكان أيضاً التحكم في مقاييسه ومواصفاته، وكان هذا التفكير هو بداية ظهور علم " الهندسة الوراثية" التي طبقوها علي الحيوان في البداية وهكذا تحول الإنسان إلي آلة أو إنسان إلي "روبوت" يسير بواسطة جهاز التحكم عن بعد "ريموت كونترول" كل شئ بمقياس وصدق قول الفيلسوف والشاعر الإسلامي العظيم محمد إقبال:

" إذا الإيمان ضاع فلا أماناً"

لقد ضاع الدين برمته وليس الإيمان فقط .

جنة المهاجرين .....

كانت السويد بحق جنة المهاجرين، وللهجرة إلي السويد قصة بدأت أثناء الحرب العالمية الثانية عندما عمت الفوضى في دول أوروبا التي دمرتها الحرب وأصبح الكثير من الناس يهيمون علي وجوههم هرباً من جحيم الحرب في بلادهم.

نجحت السويد في تجنب ويلات الحرب بسبب سياسة الحياد التي إنتهجتها والطبع المسالم للشعب السويدي، وفتحت السويد حدودها لإستقبال اللاجئين من الدول المجاورة كما ساهم الصليب الأحمر السويدي بقيادة "برنادوت" في إنقاذ العديد من الناس من معسكرات الاعتقال.

بعد انتهاء الحرب، إنتعش الإقتصاد السويدي بعد كساد إصابة وصل ذروته في الثلاثينات من هذا القرن، حيث إرتفعت نسبة البطالة وتنخفض عدد المواليد، ازداد الطلب علي السلع السويدية بعد الحرب نتيجة لخطط البناء والتعمير التي وضعت لأعمار أوروبا وغيرها، ونتيجة للإنتعاش الاقتصادي المفاجئ، عانت السويد في البداية من النقص الشديد في الأيدي العاملة، وشرعت الأبواب لإستقبال العمالة الوافدة لإدارة وتشغيل المصانع ورغم ذلك فقد إستمر النقص.

وتم توقيع اتفاقيات عمالية مع الدول المجاورة تلاها إلغاء قانون الحصول علي تصريح عمل بالنسبة لمواطني دول الشمال سنة ١٩٤٣، ثم معاهدة سوق عمل مشترك مع دول الشمال سنة ١٩٥٤التي نصت علي حق مواطني تلك الدول في الإنتقال والعمل دون الحصول علي تصريح عمل.

وكان من نتيجة هذه المعاهدة نزوح أعداد كبيرة من المواطنين الفنلنديين للعمل في السويد، ثم قام بعد ذلك أصحاب وممثلوا الشركات السويدية بالسفر إلي عدة دول لجلب العمال منها دون دراسة العواقب التي ستترتب علي هذه الخطوة.

ثم جاءت بعد ذلك القوانين الإصلاحية والتعاونية في الخمسينات لرفع مستوي معيشة الشعب السويدي مما استدعي معها رفع الإنتاج الصناعي الذي كانت تنقصه القوي العاملة، وانخفض عدد سكان الريف نتيجة لنزح الكثير منهم للعمل في المصانع في المدن الكبرى وما حولها وازدادت نسبة المهاجرين إلي السويد في الستينات نتيجة للإنتعاش الإقتصادي والمستوي المعيشي المرتفع، مما استدعي دراسة وضع قوانين تنظيم الهجرة، وطالبت الحركات النقابية بوضع قيود علي الهجرة وأصدر البرلمان السويدي سنة ١٩٦٨ قراراً بوجوب حصول المهاجرين علي تصريح عمل قبل القدوم إلي السويد.

هذا بالنسبة للمهاجرين الباحثين عن عمل في السويد، أما اللاجئين الذين اضطرتهم ظروفهم للهرب من أوطانهم بسبب الحروب أو المجاعات أو الأنظمة الدكتاتورية، فقد قصدوا السويد نظراً لما تتمتع به من سمعة دولية كبلد محايد ديمقراطي ذي مستوي معيشي مرتفع.

وقعت السويد علي ميثاق جنيف لعام ١٩٥١، الذي بمقتضاه وطبقاً لقانون الأجانب تمنح السلطات المختصة للاجئ الذي تنطبق عليه الشروط، دعوة تسمي "إفادة اللجوء" يحصل اللاجئ بموجب هذه الدعوة علي سكن وجواز سفر، ولقد إستفاد من هذا القانون الكبير من اللاجئين المقيمين في مخيمات اللاجئين في العالم وبالتعاون مع مفوض الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، كما لجأ إلي السويد أعداد كبيرة من مواطني أمريكا اللاتينية هرباً من الأنظمة العسكرية الدكتاتورية فيها.

وتم اعتبار اللاجئين كجزء من سكان السويد في فترة السبعينات وحدد البرلمان سنة ١٩٧٥ الأهداف الشاملة للسياسة السويدية الخاصة بالمهاجرين، وهي: المساواة والمشاركة والحرية في الإختيار، ويتضمن هذا وجوب حصول المهاجرين علي نفس الفرص والحقوق والواجبات أسوة بالسويديين، ولقد قام البرلمان بعد ذلك بإصدار قرار آخر ينص علي إجراء عدد من الإصلاحيات منها مثلاً: حق تعلم اللغة السويدية مجاناً، حق تعلم اللغة الأصلية حق التصويت في الانتخابات المحلية، حق الحصول علي خدمات الترجمة وحق الحصول علي المعلومات، ولقد توفرت للمهاجرين حرية الإختيار بين الاحتفاظ بثقافتهم الأصلية في السويد أو الاندماج تماماً في المجتمع السويدي.

كما وفرت الحكومة السويدية فرص تعلم اللغة السويدية مجاناً للمهاجرين ووفرت أيضاً فرص اللغة الأم أو الأصلية لأطفال المهاجرين مجاناً.

عرض علي البرلمان السويدي سنة ١٩٦٨ إقتراح بمنح حق التصويت للمهاجرين في الانتخابات المحلية، ولقد أثار هذا الاقتراح جدلاً واسعاً بين الأحزاب السياسية وجمعيات المهاجرين، إلا أن البرلمان صدق علي هذا الاقتراح سنة ١٩٧٥ وتم تطبيقه للمرة الأولي في انتخابات عام ١٩٧٦ ويتضمن قانون "حق التصويت" هذا أيضاً حق الأجانب الذين أقاموا لمدة تزيد علي ثلاث سنوات الإشتراك في الانتخابات البلدية وانتخابات التنظيم النيابي للمحافظة.

ويجيز قانون التجنس إحتفاظ المواطن المهاجر بجنسيته الأصلية إضافة إلي الجنسية السويدية التي اكتسبها.

ولقد أقامت الحكومة السويدية أكثر من ١٥٠ مكتباً في جميع أنحاء البلاد لخدمة المهاجرين، منها توفير خدمة الترجمة الفورية لمن لا يجيد اللغة السويدية، سواء عند

مراجعة السلطات المختصة لأي أمر من الأمور، أو حتى لمراجعة الطبيب والمستشفي وأثناء المثول أمام السلطات القضائية لأي سبب من الأسباب، كما تصدر السلطات السويدية عدداً من المطبوعات بلغات المهاجرين المختلفة لتعريفهم بالقوانين الجديدة وغيرها من الأمور، من هذه المطبوعات نشرة شهرية تصدر باللغة العربية.

ليس هناك دولة حاربت التمييز العنصري كالسويد، فقد نص الدستور السويدي علي أنه لا يجوز لأي قانون أو تعليم أن يتضمن عدم العدالة أو المساواة في معاملة مواطن سويدي بسبب إنتمائه إلي أقلية بالنظر إلي عنصره أو لونه أو أصله العرقي، كما ينص الدستور علي وجوب تأمين نفس الحماية للمواطنين الأجانب.

لقد خصصت الحكومة مكاتب وموظفين مهمتها رصد وتسجيل أي بلاغ بشأن التمييز العنصري سواء كان في العمل أو في المجتمع بصفة عامة ولا يجوز إطلاقاً لصاحب العمل حكومياً أو خاصاً- رفض تعيين شخص لمجرد اللون أو الدين أو الجنس، ويحق للشخص رفع دعوى قضائية في هذه الحالة ومن حقه المطالبة بتعويض، ويعاقب مرتكب هذا الجرم بالغرامة أو السجن بل إن مجرد إطلاق كلمة "أجنبي" علي أي شخص مهاجر أو زائر أو وافد لأي سبب تعتبر مخالفة يعاقب قائلها طبقاً للقانون.

هناك هيئة حكومية مختصة في شئون الهجرة هي التي تبت في طلبات الإقامة وتأشيرة الدخول والحصول علي الجنسية السويدية، ويجوز الطعن لدي الحكومة في بعض قرارات هذه الهيئة، وهي التي تتحمل مسئولية إستقبال اللاجئين وطالبي اللجوء في السويد حيث توفر لهم مراكز تجمع منتشرة في جميع أنحاء البلاد وتوفر لهم أيضاً المساعدات المالية، ولقد زرت العديد من هذه المراكز، أنها أشبه ما تكون ببيوت شباب ولكن علي

مستوي راق فيها عائلات مختلطة من دول مختلفة ويمارسون أنشطة مختلفة لديهم صحف ومجلات بلغاتهم الأصلية ووسائل تسلية أخرى.

ويجوز للمهاجر الذي توفرت له شروط الهجرة إلي السويد الحصول علي الجنسية السويدية بعد مرور خمس سنوات علي إقامته ما لم يكن متزوجاً أو "معاشراً" فإنه يحصل عليها في وقت أقل تبلغ عامين، أما اللاجئون السياسيون وفئة "بدون" أي الذين لا ينتمون إلي وطن فيحصلون علي الجنسية السويدية بعد مرور أربع سنوات علي إقامتهم في السويد.

أما التسجيل المدني أو قيد النفوس فلا مثيل له، تنحصر شخصية أية مواطن سويدي أو مقيم علي أرض السويد في أربعة أرقام وهي مفتاح شخصيته، وُتضاف هذه الأرقام إلي سنة وشهر ويوم ميلاد الشخص بحيث تبدأ الأرقام من اليسار إلي اليمين بسنة الميلاد (رقمين) ثم شهر الميلاد (رقمين) ثم يوم الميلاد (رقمين) يلي ذلك الأرقام الأربعة، هذه الأرقام تدخل الحاسوب (الكمبيوتر) المركزي الذي يسجل فيه كل ما يتعلق بالشخص الذي عندهم، وهو عبارة عن رقم متى ولد، الأمراض التي أصيب بها في حياته، زواجه طلاقة، تعليمه الأدوية التى تناولها ، الأطباء الذين تعالج عندهم ، أطباء الأسنان الذين فحصوه ، المخالفات التي ارتكبها، الضرائب التي دفعها أو التي تهرب من دفعها وهكذا تفاصيل عن كل شخص بدءا من الملك وانتهاء بأصغر مولود في قرية نائية ويستحيل أن يتشابه رقم لشخصين.

أما نظام الضرائب فهو أيضاً نظام فريد، تتصاعد فيه بتصاعد دخل الفرد حسب الإيراد الشهري أو السنوي وإن كان التصريح عما يستوجب دفع الضرائب عليه يتم سنوياً أكبر دافع ضرائب هو صاحب أكبر راتب أو إيراد شهري أو سنوي.

أما أصحاب أعلي الرواتب في جميع أنحاء السويد فهم مدراء الشركات العملاقة مثل: مدير عام شركة "فولفو" لصناعة السيارات، مدير عام شركة "سكانيا" لصناعة الشاحنات والحافلات، مدير عام شركة "ساب" لصناعة الطائرات والسيارات، مدير عام شركة "الكترولكس" لصناعة الأجهزة الكهربائية، مدير عام شركة "إيركسون" و "إيكيا" وهؤلاء هم أكثر دافعي الضرائب فى السويد إذ تصل نسبة الضرائب المتحصلة من رواتبهم أكثر من ٨٠٪ (بالتحديد ٨٤٪) أي أنه لا يبقي لهم سوي ٢٠٪ أو أقل.

لذا فإن الرفاهية التي توفرت للمجتمع السويدي هي من الضرائب التصاعدية، حيث تم تطبيق القاعدة "يؤخذ من أغنيائهم لينفق علي فقرائهم" وينطقها كبار رجال الأعمال هكذا "تؤخذ من المجتهدين لتنفق علي الكسالى واللاجئين" وهذا الأمر دفع بالكثير من رجال الأعمال والأغنياء إلي الهجرة والعمل بعيداً عن الوطن، منهم مثلاً: لاعب كرة المضرب "بيورن بورغ" الملقب بـ"جبل الجليد" وغيره كثير من نجوم السينما والمخرجين والصناعيين ورجال الأعمال.

ونظام الضرائب نظام معقد وصعب، إلا أن الفكرة الأساسية فيه هي تحريك دورة رأس المال وعدم تجميد الأموال سواء بصورة ودائع أو ممتلكات أو مقتنيات، فطالما أن المرء ينفق أمواله في أمور تفيد المجتمع وتعمل علي تشغيل عدد من الناس فهو آمن من سطوة وجبروت هذا النظام وسيفه البتار "من أين لك هذا؟"، ليست المشكلة في إثبات من أين لك هذا، بل المشكلة هي مشاركة الضرائب لك في" هذا" الذي تملكه.

لذا فإن جميع رجال الأعمال والأغنياء في السويد يتحاشون الظهور بمظهر الغني والبذخ والإسراف، لقد قابلت الكثير منهم وزرت معظمهم في مصانعهم وشركاتهم جميعهم ما عدا الكبار الذين سبق ذكرهم، يملكون سيارات قديمة نوعاً ما، ويقيمون في منازل

عادية وهم بذلك عكس أقرانهم في دول العالم الثالث وخاصة الدول العربية التي يحاول أفرادها الظهور بمظهر مخالف تماماً عن حالتهم المادية، يركبون السيارات الفارهة وهم لا يملكون شروى نقير، ويحاولون أن يوهموا الناس بأنهم من علية القوم أو من كبار رجال الأعمال وهم مجرد موظفون صغار.

شاهدت سيارة واحدة فقط من السيارات الفارهة من نوع "رولزرويس" في مدينة "مالمو" خلال إقامتي الطويلة فيها، وعندما سألت عن صاحبها قيل لي إنه رجل أعمال سويدي من أصل عربي مهاجر عربي مقيم في السويد ويحمل جنسيتها !!

لم تعد السويد كما كانت "جنة المهاجرين وفردوس اللاجئين" فقد عصفت بها كما عصفت بغيرها عوامل الإنهيار الإقتصادي، وأصبح السويدي ينظر إلي المهاجرين واللاجئين نظرة أخرى مختلفة ويتهمهم بأنهم سبب في الأزمة نظراً للمبالغ الطائلة التي تنفقها عليهم الحكومة والتي هي بلا شك حصيلة الضرائب العالية، كما عزز من عدم ترحيب السويديين باللاجئين فرص العمل المتضائلة والبطالة المتفشية.

ولقد دبت الغيرة في نفوس الكثير منهم لأي نجاح يحققه مهاجر، ولقد تداولت الصحف سنين عدة قضية المهاجر العربي المصري "رفعت السيد" الذي حقق نجاحاً مذهلاً، وقصة "السيد" باختصار شديد، أنه حصل علي شهادة جامعية في الصيدلة أو الهندسة الكيماوية من مصر ثم غادر إلي السويد وعمل في إحدى شركات الأدوية وساهم في تركيب وصنع أنواع عدة من الأدوية وأفلست الشركة التي كان يعمل بها وما كان منه سوي أن جمع العاملين فيها وعرض عليهم إنقاذ الشركة وشراء أسهمها، وتكاتف الجميع واستطاعت الشركة بفضل جهوده وإختراعاته تحقيق أرباح طائلة وارتفعت أسهمها أضعافاً مضاعفة وأصبح هو رئيس مجلس إدارتها.

وجاءت الطامة الكبرى علي رأس هذا العبقري، إذ إكتشف أحد زملائه السويديين أن "رفعت السيد"، لا يحمل درجة الدكتوراه كما هو مدون في بطاقته وبياناته وقامت القيامة كيف يكذب الرجل ويقول أنه حاصل علي درجة الدكتوراه وهو لم يحصل عليها ؟ وجُرد من كل أملاكه وأُتهم بتلويث البيئة وبكل التهم الأخرى، وبعد أن كان الرجل ثالث أغني أغنياء السويد أصبح واحدًا من عامة الشعب، ولقد علق زميل مصري كان معي في السويد علي هذه الحادثة بقوله: لو أننا حاكمنا الناس علي الألقاب التي يحملونها، لما بقي شخص واحد بلا تهمة، فكم دكتور عندنا من تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات، وكم "باش مهندس" وكم "كابتن" وكم ... وكم ....

سألت سائق سيارة أجرة عن قصة "رفعت السيد" ووجهة نظره فيها عندما كان الرأي العام منقسماً بشأنها في تلك الأيام أثناء إحدى زياراتي للعاصمة "ستوكهولم" قال الرجل إنني من المعجبين بهذا الرجل العصامي ولقد بدأ من الصفر تقريباً وأنقذ شركة كبيرة من الإفلاس وجعلها واحدة من أنجح شركات السويد، كما أنقذ المئات من العاملين فيها من البطالة، ولست أري تناسباً بين التهمة التي اتهم بها والعقوبة التي حصل عليها لقد عاد الرجل إلي البداية مرة أخرى بعد مئات الملايين التي كان يملكها، وهناك الكثير من الناس الذين يستنكرون ما حصل" لرفعت السيد" أولهم عمال الشركة ومساهموها ولكن دعني أصارحك القول نحن السويديين نصاب بالغيرة عندما نري مهاجراً ناجحاً بيننا ونعمل علي تحطيمه بأية وسيلة، لو كان "رفعت السيد" سويدياً أصيلاً لما حدث له كل ما حدث.

لم تعد السويد كما كانت "جنة المهاجرين وفردوس اللاجئين" دولة الرفاهية من المهد إلي اللحد كما كان يُطلق عليها أهلها، أصبحت تترنح تحت وطأة الديون، يقول "بو سود

رستن" أستاذ الإقتصاد بجامعة لوند" "كل شئ يشير إلي أن الوقت قد تأخر علي إعادة هيكلة دولة الرفاهية أكثر المشروعات فخامة وأثاره في التاريخ الحديث، لقد انتهي زمن دولة الرفاهية وستنهار في غضون عامين" إنه رأي متشائم جداً ولكنه أقرب للواقع

لقد شاهدت ذلك في آخر زيارة لي للسويد في مطلع هذا العام، حتى سلوك الناس هناك تغير، كان أصحاب المصانع والشركات لا يأبهون لدعوة أحد، ولا يعنيهم لأمر زبون ما ولا يسعون إلي تسويق سلعهم بالحماس الذي يقوم به جيرانهم، إيماناً منهم بقدرة سلعهم علي المنافسة لجودتها، أما الآن فالوضع قد تغير.

لقد تلقيت الكثير من المكالمات الهاتفية والرسائل الهاتفية والرسائل العادية ليس فقط من شركات ترغب في بيع معداتها وآلاتها بعد أن أفلست، بل من أشخاص يرغبون في العمل خارج السويد، وكان هذا إلي عهد قريب ضرباً من الجنون أو الدعاية الساخرة "سويدي يبحث عن عمل ؟ !!"

ولقد سعت الحكومة جاهدة في محاولة منها لموازنة بنود الميزانية إلي خفض الإنفاق وزيادة أقساط التأمينات التي يدفعها المواطنون ضد المرض والبطالة والإصابة والعجز

ومن حيث الإنفاق تتصدر السويد قائمة الدول الصناعية الأربع والعشرين الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية والتي يوجد مقرها في "باريس"، ولقد شكل الإنفاق العام سنة ١٩٩٢ (٦٧٪) من إجمالي الناتج المحلي السويدي مقابل ٤١٪ في المتوسط في دول المنظمة الأخرى، ولقد أوشك الدين القومي علي تجاوز حاجز تريليون كرونه بعد أن وصل إلي ٩٦٤ مليار كرونه (١٢٥ مليار دولار) وكان الدين القومي في عام ١٩٧٠ نحو ٣٠ مليار كرونه (٤ مليارات دولار).

ويذهب معظم الإنفاق القومي في دفع تأمينات الأعداد المتزايدة من العاطلين ودفع أسعار الفائدة العالية علي الديون، في الوقت الذي تقلصت فيه الإيرادات.

في عام ١٩٩١ أطاح الناخبون السويديون بحكومة حزب العمال الديمقراطي الإشتراكي التي حكمت البلاد لأكثر من ٥٣ عاماً، وصوتوا لصالح اليمين والمحافظين (يمين الوسط) التي أعلنت خطة لخفض الإنفاق العام بمقدار ٨١ مليار كرونه (١١ مليار دولار) خلال السنوات من ١٩٩٤- ١٩٩٨، ولقد وصلت الضرائب إلي أعلي مستوياتها وتوقف النمو الإقتصادي بعد أن وصلت السويد إلي منتصف أسوأ فترة كساد تمر بها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ووصلت الإيرادات العامة واغلبها من الضرائب إلي ٦٠٪ من إجمالي الناتج المحلي في عام ١٩٩٢ مقابل ٣٨٪ في المتوسط في دول منظمة التعاون الاقتصادي.

يقول خبراء الاقتصاد في السويد: "لقد تضخمت دولة الرفاهية في السويد مع مرور الزمن إلي حجم هائل أصبح من المستحيل قيادتها علي حالتها تلك"

أهم معالم السويد السياحية .....

لقد شغلتنا السويد بتاريخها وتطورها الاقتصادي عن وصف أهم معالمها السياحية أن السويد واحدة من أكثر دول العالم تطوراً في مجال السياحة، ليس فقط للمناظر الطبيعة الخلابة، بل للتنظيم المتقن والإدارة الفنة، ولأننا بدانا من مدينة "مالمه" أي من أقصي الجنوب قادمين من مدينة "كوبنهاغن" عاصمة الدنمارك، فالأولي أن نتحدث عن المدينة أولاً قبل أن ننتقل إلي غيرها.

تأسست مدينة "مالمو" ١٢٥٠م، كانت تحت حكم الدنمارك إلي أن ضمتها السويد سنة ١٦٥٨م، يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر حوالي ٢٥٠ ألف نسمة، وهي ثالث أكبر مدينة في السويد، فيها العديد من المعالم السياحية أهمها "رودهوست" قاعة البلدية أو "سيتي هول" ومتحف القلعة أو الحصن الذي بني سنة ١٥٣٧ وتحول إلي متحف وتحيط به المياه من كل جانب، وبالقرب منه متحف الأسلحة والمتحف العلمي الذي يحوي العديد من المعدات والأجهزة منها مثلاً: غواصة حقيقية بالحجم الطبيعي.

وتقع في الجهة المقابلة من المتحف الجامعة البحرية العالمية التي أصبحت الآن أشهر معالم مدينة "مالمو" وخلفها علي البحر حوض بناء السفن التابع لشركة "كوكمز" وغير بعيد محطة الحافلات البحرية المتجهة إلي مدينة كوبنها غن وبالقرب منها محطة القطارات التي تربط مدينة مالمو بالعديد من مدن السويد، وعلي الجانب الأخر موقف الحافلات المتجهة إلي مدينة كوبنها غن وبعض المدن الأخرى التي لا توجد فيها محطة قطارات وكنيسة سانت بيترز والعديد من الحدائق والمتنزهات وحدائق ألعاب خاصة للأطفال وساحة كبرى لسباق الخيل، وركوب الخيل هواية محببة لدي السويديين شانها شأن التزحلق علي الجليد.

علي بعد حوالي عشرين دقيقة بالقطار شمال شرق مدينة "مالمو" تقع مدينة أخرى هي أشهر مدينة طلابية في أوروبا، إنها مدينة "لوند" نصف سكانها من الطلبة، توجد بها واحدة من أعرق جامعات السويد، جامعة "لوند" التي أسسها الملك "شارل الحادي عشر" سنة ١٦٦٦م، وأصبحت المدينة مقراً لكبير الأساقفة في القرن الحادي عشر، ثم أسقفية لوثرية سنة ١٥٣٦، كانت تحت السيادة الدنماركية حتى سنة ١٦٥٨ توجد بها متاحف عديدة، أما جامعتها فهي من أصعب جامعات العالم.

وتقع مدينتا "لوند" و"مالمو" في محافظة "سكونا" وهي المحافظة الجنوبية السويدية ويكثر فيها المهاجرون واللاجئون، لذا فإن أهل المحافظة من السويديين لا يرحبون بالغرباء أو المهاجرين بصفة عامة وإن كانوا لا يضايقونهم طبقاً للتقاليد والقوانين السويدية

مدينة أخرى من المدن الهامة والجميلة في السويد، إنها مدينة "غوتنبرغ" أو "غوتوبوي" كما ينطقها أهلها، أسسها الملك "غوستافس" الثاني عام ١٦١٩، وهي ثاني مدن السويد بعد العاصمة "ستوكهولم" تقع جنوب غرب السويد وهي ميناء رئيسي علي مصب نهر "غوتا" تأسست جامعتها في عام ١٨٨٧ وبها عدة أكاديميات ومدارس فنية، وتقع في محافظة "بوهسلان" علي بعد حوالي ٤ ساعات بالقطار من مدينة "مالمو" وعلي بعد أيضاً ما يقارب ٤ ساعات من مدينة أوسلو عاصمة النرويج.

سكان المدينة أكثر ودا من سكان مدينة "مالمو"، ومازالت المدينة تستخدم "الترام" كإحدى وسائل النقل وهي بذا تعتبر ثاني مدينة في جميع أنحاء السويد تستخدم هذه الوسيلة القديمة من وسائل المواصلات بعد مدينة "نورشونبغ" هناك الكثير من المتاحف والحدائق ومدينة ألعاب كبيرة، ترتبط المدينة بخط ملاحي لنقل الركاب مع بريطانيا ولها

طابع إنجليزي بصفةعامة حيث يطلق عليها "لندن الصغيرة" وهناك دعابة تتردد في المدينة بهذا الشأن "عندما تمطر السماء في لندن يحمل أهل غوتوبوي مظلاتهم".

لأن السياحة في السويد في غاية التنظيم والدقة، يستطيع المرء بكل سهولة الإطلاع علي المطبوعات والمنشورات السياحية التي تحوي تفاصيل الجولات والمعالم السياحية في كل مدينة، وتتوفر هذه المنشورات مجاناً في المكاتب السياحية المنتشرة في كل مدينة إلا أنها عادة ما تكون باللغة السويدية، وللحصول علي هذه النشرات باللغة الإنجليزية مثلاً لابد من مراجعة المكاتب السياحية الحكومية التابعة لهيئة السياحة والتي توجد عادة في محطات القطارات في كل مدينة، "غوتوبوي" واحدة من هذه المدن، ولا توجد للأسف نشرات باللغة العربية ربما لأن عدد السواح العرب قليل جداً.

مدينة "غوتوبوي" يألفها المرء بسرعة ويشعر فيها بالمتعة والاسترخاء عكس مدينة "مالمو" التي تبعث علي الضجر والكآبة رغم أناقتها، كل المدن في السويد علي درجة عالية من الأناقة والنظافة.

كثير من الناس يفضلون الإنتقال بواسطة السيارات سواء كانت خاصة أو مستأجرة أنا لست واحدا من هؤلاء فلا أحب سياقة السيارات أبداً ولا أمارسها إلا مضطراً والسويد شانها شأن الدول الإسكندنافية الأخرى، قد وفرت خدمة تأجير السيارات سواء باليوم أو بالأسبوع أو بالشهر وإن كانت بأسعار غالية جداً مقارنة مع أسعار الدول العربية، إلا أن ميزة هذه الخدمة في السويد هي أن مستأجر السيارة يستطيع مثلاً تسليمها إلي مكتب الشركة في أية مدينة أخرى سواء في السويد أو خارج السويد وفي دول الشمال مهما بعدت هذه المدينة عن المدينة التي استأجر منها السيارة، وهذه الخدمة تعني الشئ

الكثير خاصة لأصحاب العائلات، لأن السائح لا يود عادة العودة إلي نفس المدينة التي أنطلق منها لأي سبب من الأسباب وفي السويد هناك وسائل ممتعة للتنقل غير السيارة.

"تريليبوي" مدينة أخرى تبعد حوالي ثلث ساعة جنوباً من مدينة "مالمو" إنها مدينة صغيرة ولكن ميزتها أنها مرفأ لسفن الركاب العاملة بين السويد ومدينة "ترافامندة" الألمانية، حيث تستغرق الرحلة بين المدينتين حوالي ٨ ساعات ولا ترتبط هذه المدينة بسائر مدن السويد الأخرى بالسكك الحديدية، بل بالحافلات.

إلي الشرق منها تقع مدينة "يستاد" علي الساحل أقصي جنوب السويد، وهي أيضاً مدينة صغيرة، إلا أن ميزتها هي الأخرى أنها ترتبط بخط ملاحي لنقل الركاب بين السويد بولندا.

من الرحلات القليلة التي إستخدمت فيها السيارة تلك الرحلة التي قمت بها بواسطة السيارة من مدينة "مالمو" إلي "بولندا"عبر مدينة "يستاد"، الرقابة الأمنية والجمركية هنا أكثر تشدداً خاصة للقادمين إلي "السويد"، إنطلقت إلي "بولندا" قبل إنهيار الحكم الشيوعي فيها العبارة البولندية التي نقلتنا إلي "بولندا" متهالكة قديمة، الخدمة فيها سيئة للغاية ووسائل الترفيه معدومة، فرق شاسع بيم هذه العبارة والعبارات السويدية أو الإسكندنافية الأخرى لا وجه للمقارنة علي الإطلاق.

في طريق عودتي من بولندا إلي السويد مرة أخرى عبر نفس المدينة "يستاد" وقفت السيارات صفاً واحدًا إلي حين الإنتهاء من المعاينة الجمركية وختم جوازات السفر، لا ينبغي علي المسافر النزول من سيارته إلا لفتح صندوق السيارة الخلفي، إذ أن ضباط الجوازات والجمارك ينهون إجراءاتهم والمسافر في سيارته، سيدة سويدية جميلة قامت بهذه الإجراءات وأنا في السيارة، أين هذا الوجه البشوش الصبوح والإبتسامة العذبة من

تلك الوجوه العابسة كأن عليها قترة تتحين الفرصة فقط لإهانة المسافر في بعض الدول العربية بسبب وبلا سبب !.

الريف وما أجمل ريف السويد صيفاً وشتاءً، صيفاً الخضرة علي إمتداد البصر والمنازل الأنيقة المتناثرة هنا وهناك والأبقار، لا أثر إطلاقاً لأية مهملات سواء في الطرقات الخارجية أو في الحقول، اللافتات والعلامات الدالة علي المدن والقرى تجعل من الإنتقال والسفر متعة، لا داعي إطلاقاً للتوقف والسؤال عن مدينة كذا أو شارع كذا، خرائط الطرق والمدن متوفرة في كل مكان ورغم أنها أعدت باللغة السويدية إلا أن إستخدامها سهل جداً حتى للغرباء.

أما في الشتاء فبساط أبيض ناصع من الثلج يغطي الأرض يبعث علي الهدوء والصفاء وإنشراح الصدر رغم درجة الحرارة المتدنية، وللتغلب علي مشكلة الثلج علي الطرقات يستخدم السويديون الملح ينثرونه في الشوارع حتى يعمل علي إذابة الجليد وبغير هذا تصبح قيادة السيارات في منتهى الخطورة حتى ولو كانت بسرعة بطيئة رغم الإطارات الخاصة التي يستخدمونها لمثل هذه الحالات.

المسافة بين "مالمو" والعاصمة "ستوكهولم" تبلغ حوالي ٧ ساعات بالقطار، كما توجد أسرة نوم في قطارات المساء، إلا أن سفر النهار أكثر متعة، هناك الكثير من المدن الجميلة علي الطريق بين "مالمو" و"ستوكهولم" منها مثلاً "نورشوبنغ" التي ترددت عليها كثيراً لتدريب في معهد البحث والإنقاذ البحري الرئيسي الذي يشرف علي جميع المراكز في جميع أنحاء السويد.

في هذه المدينة قابلت صهيونياً متعصباً في أحد إحتفالات المدينة السنوية، بادرني بلا مقدمات بسؤال: هل أنت عربي مسلم؟، فأجبته بنعم، فقال من فوره: تحيا إسرائيل !

دهشت ما علاقة إسرائيل باحتفال يقام في مدينة نائبة، ثم ما المناسبة لكل هذا؟، وأخذ الرجل يتحدث بصوت مدو عن إسرائيل، فقلت له علي مرأى ومسمع من الناس: عليك أن تحترم البلد الذى أنت فيه وتكف عن هذا الضجيج إن كنت من بني إسرائيل، أما إن كنت سويديا فهذه الخيانة بعينها أن يكون إنتماؤك لبلد آخر غير بلدك مهما كانت الأسباب تجمع حولنا الكثير من الناس قال الرجل مرة أخرى: تحيا إسرائيل، رددت عليه بصوت أقوي تحيا السويد والأمة العربية الإسلامية، صفق لي الجميع وهتفوا معي: تسقط إسرائيل وعنفوا الرجل علي وقاحته وسوء أدبه فانسحب والغيظ يكاد يمزقه !.

مدينة أخرى تقع جنوب بحيرة "فاترن" ثاني أكبر بحيرات السويد يطلقون عليها مدينة أعواد الثقاب لأنها إشتهرت بتصنيع أعواد الثقاب السويدية الشهيرة منذ القرن التاسع عشر وهي مدينة جامعية، زرتها بدعوة من شاب سويدي إلتقيته في مطار "كوبنها عن"، كنت قادماً من "فنزويلاً" وهو قادم من "دبي" وكان هذا سبب تعارفنا لأنه أعجب جداً بالحياة في "دبيط، يقول عنها: أنها مدينة عالمية تحتضن جميع الأجناس وأن السويد بحاجة فعلاً إلي مدينة مثلها.

أجمل مناطق مدينة "يونشونبغ" وهذا هو اسمها، سواحل البحيرة بل والبحيرة نفسها التي يتجمد سطحها في الشتاء ويمشي الناس فوقها سيراً علي الأقدام لصيد الأسماك حيث يقومون بعمل ثقب بواسطة مثقاب خاص ومن ثم يجلسون علي مقعد فوق سطح البحيرة المتجمدة لصيد السمك !

هناك الكثير من المدن والقرى المتناثرة هنا وهناك وكل له طابع خاص وأن توحدت المظاهر الخارجية للمنازل والهوايات العامة لأصحابها كزراعة الزهور التي يهتم بها

السويديون ويتفننون في تنسيقها، بل ويتعلمون طرق ووسائل تنسيق الزهور في المدارس ويتخصص بعضهم فيها ويبرعون إلي درجة مذهلة في تنسيقها.

"ستوكهولم" عاصمة السويد الفاتنة إسمها يعني باللغة العربية "مجموعة الجزر" أو الجزر إذ أن "*Holm* " تعني جزيرة وتقع العاصمة علي ١٤ جزيرة، تحيط بها المياه من كل جانب، مياه بحيرة "مولارن" و مياه بحر البلطيق، وعلي ذكر بحر البلطيق فإن مياهه أقل ملوحة من البحار الأخرى كالخليج العربي و البحر الأحمر والمتوسط، حتى بحارهم حلوة المذاق ! هذا ما إكتشفته بنفسي.

تأسست مدينة "ستوكهولم" سنة ١٢٥٥، وكانت مركزاً هاماً للتجارة الهندسية، وفي عام ١٥٢٠ أعلن الملك "كرستيان الثاني" ملك" الدنمارك" و"النرويج "نفسه ملكاً علي "السويد" أيضاً وفي حفلة التتويج أمر بذبح جميع النبلاء غير الدنماركيين، وكانت هذه المذبحة سبباً في ازدهار السويد بعد ذلك خلال حكم "غوستاف فازا" الذي تلقب باسم الملك "غوستاف الأول".

ولقد أصبحت مدينة "ستوكهولم" مركزاً فكرياً أوروبياً في عهد الملكة "كرستينا" حيث وفد إلي بلاطها مفكرون وفلاسفة أمثال "ديكارت" كانت المدينة تسمي "غاملاستان" أو الجزء القديم منها الذي لازال محتفظاً بطابعة حيث الأزقة الضيفية والبيوت المتلاصقة والطرقات المرصوفة بالأحجار المربعة، ونظراً لوقوعها علي عدد من الجزر، يطلق عليها اسم "فينيسيا الشمال".

فيها جامعة تأسست سنة ١٨٧٧، يتبعها معهد دولي للطلاب المتفوقين، كما توجد بها عدة أكاديميات للموسيقي ودار أوبرا شهيرة والمدينة مركز نشاط للحياة الموسيقية

والمسرحية والأدبية والفنون بمختلف أنواعها من أشهر معالمها، فناء السوق الذي حدثت فيه المذبحة الشهيرة والقصر الملكيومبنى البلدية أوقاعة المدينةومبني الرلمان.

أما أجمل المعالم السياحية فهي "غوتاكنال" أو" قناة غوتا" التي تصل مدينة "ستوكهولم" في الشرق بمدينة "غوتوبوي" في الغرب مروراً بالبحيرات خاصة بحيرة "فونيرن" أكبر بحيرات السويد.

والقناة واحدة من المعجزات الإنسانية الهندسية، وكان شق قناة تصل شرق السويد بغربها عبر الأنهار والبحيرات، حلم العديد من الملوك والمهندسين ورجال الأعمال والصناعة، لقد عمل في شق هذه القناة ٥٨ ألف عامل ومهندس وجندي لمدة ٢٢ سنة، والآن يستطيع الزائر أو السائح أن يركب السفينة من ستوكهولم ليصل غوتوبوي في رحلة تستغرق حوالي ٥ أيام يشاهد خلالها أجمل المناظر الطبيعية في بيئة نقية نظيفة، كما أنه يستطيع التوقف والنزول في المدن أو القرى تقع بين المدينتين لبعض الوقت علي أن يواصل رحلته بعد ذلك إن شاء.

هذا علي الجانب الغربي أما علي الجانب الشرقي فهناك العبارات أو سفن الركاب والسيارات العملاقة الفخمة وهي أضخم سفن ركاب في العالم، لقد ركبت واحدة كان عمرها أو مدة خدمتها في البحر شهران فقط، وتعمل هذه السفن بين ستوكهولم ومدينة هلسنكي عاصمة "فنلندا" حيث تغادر مساءً لتصل في العاشرة صباح اليوم التالي وهذه السفن عبارة عن فنادق فخمة عائمة ومبحرة تحتوي علي الكثير من المطاعم ولقد سبق الحديث عنها في الجزء الخاص بفنلندا من كتابي "شمس منتصف الليل".

"ستوكهولم" مدينة مرحة يكثر فيها الأجانب وإن أصابتها عدوي العنصرية ضد الأجانب وهو شئ غريب وغير مألوف بالنسبة للسويديين، ورغم أن العنصريين فيها قلة

قليلة جداً، إلا أن هذا شئ يبعث علي القلق ويخدش روح التسامح والمساواة التي سادت المجتمع السويدي عقود طويلة.

مدينة ستوكهولم هي الوحيدة في السويد التي تستخدم قطارات الأنفاق "أندرغراوند" إضافة إلي الحافلات والترام، وأغلب زائريها من الأمريكان، بل أغلب السياح القادمين للسويد هم من الأمريكان، لذا فلا غرابة أن يتحدث السويديون اللغة الإنجليزية بلكنة أمريكية رغم قربهم من بريطانيا.

لقد زرت المحافظات الجنوبية في السويد عدة مرات مدينة "ستوكهولم"، ولقد قررت أن أزور السويد كلها حتى أقصي الشمال وكان ذلك في أحد أشهر الصيف حيث النهار الطويل والليل القصير جداً وعلي ذكر النهار الطويل، فأن جماعة من المسلمين في مدينة "ستوكهولم" كانوا يصلون صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك والشمس في كبد السماء ذلك أن طول النهار يصل إلي أكثر من ٢٠ ساعة.

قمت بجولتي هذه بدءاً من ستوكهولم بإتجاه الشمال ولمرة واحدة فقط، وكانت أول المدن التي توقفت فيها هي مدينة "أبسالا".

تقع مدينة "أبسالا" شمال غرب العاصمة ستوكهولم، وهي رابع أكبر مدن السويد وتقع في محافظة "أبلاند" يزيد عدد سكانها علي ١٦٨ ألف نسمة، كانت العاصمة القديمة للسويد منذ ٥٠٠ عام، وهي مقر كبير الأساقفة منذ ١٢٧٠، تأسست فيها أقدم جامعة سويدية عام ١٤٧٧، وتُعتبر من أعرق جامعات العالم وأعلاها منزلة وأكثرها إحتراماً، تضم أكبر علماء السويد في جميع المجالات، ويحظى منتسبيها أساتذة وطلاباً بإحترام كبير وتقدير عظيم، يفد للدراسة فيها العديد من الباحثين من مختلف أنحاء العالم لذا فإن

مدينة جامعية أسوة بمدينة "لوند" في الجنوب، وتحتوي مكتبة الجامعة علي مخطوطات قيمة ونادرة.

أشهر معالمها كاتدرائيتها الشهيرة وهي أكبر وأقدم كنائس السويد كلها، حيث توج فيها الملك، تأسست في القرن الثالث عشر وتضم رفات العديد من الملوك القدامى والمشاهير أمثال "غوستافس الأول" و "لينايوس" و "سويد نبرغ" وغيرهم، وتشتهر كذلك بقلعتها القديمة التي تعبر عن الشموخ والعظمة كما يقولون، وعلي ذكر القلعة، لقد تجولت في العديد من قلاع وحصون السويد وسائر دول أسكندنافيا، شاهدت في أبراجها فتحات خاصة تلك القلاع التي تطل علي البحر مباشرة وكلما سألت الدليل عن هذه الفتحات قيل لي كان يستخدمها سكان القلاع وهم عادة من النبلاء والأسرة الملكية لقضاء الحاجة حيث أنهم لم يعرفوا الحمامات في تلك الأيام أو لم يكتشفوها، أقول للدليل: لقد صدق ابن فضلان، فيسألني: ومن هو ابن فضلان هذا ؟ فأجيبه: بأنها قصة قديمة يطول شرحها !

تتميز "أبسالا" بطيبة أهلها، وكلما إتجهنا شمالاً، إزداد الفرق في معاملة الناس وأخلاقهم، سكان الشمال يختلفون كثيراً عن سكان الجنوب، بدءاً من "أبسالا" وشمالاً يرحب الناس بالزائر الغريب، ربما لقلة اللاجئين والمهاجرين عندهم، حيث أن الغالبية العظمي من المهاجرين هم من دول العالم الثالث حيث الدفء، ومناطق الشمال السويدي شديدة البرودة، هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فإن سكان الريف في كل دول العالم هم عادة أكثر طيبة من سكان المدن، وسكان المدن الصغيرة أكثر وداً من سكان العواصم والمدن الكبرى.

أفضل وسائل الانتقال في الربوع السويدية هي القطارات، وكلما إتجهنا شمالاً، كلما انحصرت المدن في الشريط الساحلي الممتد حتى الشمال وذلك نظراً لوجود الغابات

والجبال في الجانب الغربي من السويد وعلي الحدود المشتركة مع النرويج، هناك الكثير من المدن الساحلية الجميلة، منها مدينة "غافلة" و"سودرهامن" إضافة إلي مدن داخلية صغيرة "فالون" و "بورلانج" و "مورا" التي تقع علي بحيرة في وسط السويد.

أما أهم مدن النصف الشمالي من السويد فهي مدينة "سوند سفال" الساحلية الرائعة، أول ما تتميز به هذه المدينة هو جمال نسائها، فإذا كانت المرأة السويدية هي أجمل نساء العالم، فإن نساء مدينة "سوندسفال" أجمل نساء السويد والعالم.

وصلت المدينة وأخذت أبحث عن فندق مناسب في مكتب الإستعلامات القريب من محطة القطار، عرضت علي الموظفة العديد من الفنادق ولكنها رشحت لي في النهاية السكن مع عائلة سويدية ليست فقط لأنها أرخص، بل لأنها أفضل الوسائل للتعرف علي عادات سكان شمال السويد الذين يختلفون عن سكان الجنوب ليس فقط في بعض العادات والتقاليد، بل أيضاً في اللهجة، وافقت فوراً علي هذا الاقتراح فما كان منها إلا أن هاتفت صاحبة الشقة التي جاءت بسيارتها بعد حوالي عشر دقائق وأخذتني معها حيث تقع علي طرف المدينة وتطل علي النهر مباشرة في منظر من أروع المناظر الطبيعية، السيدة تمتلك مبني مكون من ثلاثة طوابق وتقيم في مبني مجاور له، أقمت في الشقة التي نقع في الطابق الأخير وهي عبارة عن غرفتي نوم ومطبخ وصالة استقبال وسعرها يعادل ربع سعر أرخص فندق وكانت في غاية الوّد معي.

هناك فرق كبير جداً بين سكان الشمال وسكان الجنوب هذا ما لمسته بنفسي ليس فقط في طريقة الحديث الذي وإن كان باللغة السويدية، إلا أنها واضحة جداً إلي درجة الذي يجهل اللغة السويدية يستطيع تمييز هذه الطريقة، وأيضاً في طريقة المعاملة، الناس هنا متعاونون ويحبون التعرف علي الغرباء والحديث معهم.

"هيلين" صاحبة المنزل، سيدة في العقد الخامس من العمر، تعيش مع رجل ثرثار لا يكاد يتوقف عن الحديث، وهذا شئ غريب فليس من عادة السويديين الثرثرة وهم في وعيهم !، هيلين تعرف شيئاً يسيراً من الإنجليزية، عرضت عليّ أن تأخذني في جولة حول المدينة بسيارتها مع الرجل الثرثار، والرجل الثرثار بالنسبة للصحفي مصدر جيد للأخبار والمعلومات، ولكن اذا كانت ثرثرته في أمور أخرى لا تدخل ضمن إهتمامات الصحفي فهي مشكلة.

إنطلقت في اليوم الأول معهما إلي الريف، حيث تملك السيدة "هيلين" منزلاً ريفياً أو "منزل صيفي" كما يسمونه والمنزل الصيفي يكاد يكون في متناول الجميع وهناك قوانين تنظم إقامة وتملك مثل هذه المنازل، المنزل الصيفي هذا يقع علي بحيرة صغيرة، وهناك الكثير من البحيرات يملكها أفراد، فمثلاً البحيرة الكبيرة التي تروي سكان مدينة "مالمو" في الجنوب يملك نصفها رجل أعمال، أما النصف الأخر فتملكه الحكومة، وتلك البحيرة من الإتساع بحيث تبحر فيها الزوارق واليخوت، تربية النحل وسط الغابات أو علي بعد معين من المنازل الصيفية هذه عادة شائعة لديهم، إلا أنهم لا يعرفون الكثير عن فوائد العسل مثلنا.

تقول السيدة "هيلين" : إن الحكومة السويدية في إطار تشجيعها لإستيطان الشمال نظراً لقلة السكان، فإنها توفر جميع الخدمات الضرورية كالطاقة الكهربائية والمياه العذبة النقية وخدمات الهاتف والإسعاف وجميع الخدمات الأخرى، وقد يصل الأمر إلي حد العجب، فلو أن عائلة ما أرادت الإقامة علي قمة جبل فعلي الحكومة أن توفر لها الخدمات السابقة الذكر حتى ولو كلفها ذلك الأموال الطائلة، وفي هذا الإطار وضعت

الحكومة بعض الحوافز والمغريات منها مثلاً تخفيف الضرائب علي سكان المناطق الشمالية وتقديم العون لهم في إقامة المشاريع والقروض الميسرة في بناء المساكن وغير ذلك

في جهة الغرب وعلي الحدود مع النرويج تقع سلسلة جبال يبلغ عددها حوالي ٢٥ جبل، ويبلغ أعلي إرتفاع لها ٢١١١ متر وهي قمة جبل "كينكيس" المغطي بالثلوج وتعيش في تلك المناطق الجبلية المكسوة بالغابات أنواع عديدة من الحيوانات مثل الدببة وحيوانات الرنة الكبيرة المسماة "موسك" ويصل إرتفاع الواحد منها إلي إرتفاع جمل ولها قرون متفرعة كقرون الوعول وهي تسبب خطورة شديدة علي السيارات المسرعة، ولقد تسبب في الكثير من حالات الإصابة بل والوفاة لعدد كبير من السائقين خاصة أثناء الليل.

نظراً لقلة عدد السكان في المناطق الوسطي والشمالية من السويد فإن الطبيعة هناك تبدو عذراء أو هي كذلك، ولعل الأجواء الباردة علي مدار العام إلا أياماً معدودة تلعب دوراً كبيراً في نضارة الناس ورشاقتهم وتمتعهم بالصحة والأعمار المديدة، فمتوسط السن يفوق السبعين عاماً، حتى أصبحت السويد- مع قلة المواليد- بلد العجائز والشيوخ.

وأذكر في هذا الصدد أن الحكومة أو بالأحرى بعض أعضاء البرلمان ناقشوا مرة إقامة أماكن إعاشة مرفهة في إسبانيا لكبار السن لكى يستمتعوا بما بقى لهم من عمر ولقد أثار هذا الإقتراح غضب الكثير منهم إذ قالوا: بعد أن أخذت الحكومة شبابنا كله قررت نفينا إلي إسبانيا لأننا نشكل عبئاً عليها، ولكونهم عبء علي الحكومة فهذا صحيح، لأن الحكومة قد وفرت لهم مجمعات سكنية فخمة فيها جميع وسائل الراحة والرفاهية لكي يقضوا بقية حياتهم فيها، وذلك لإهمال أولادهم لهم نظراً للتفكك الأسري ولحالات الاكتئاب التي تصيبهم بسبب الوحدة، بل أن من الحالات المشهورة جداً في هذا الصدد

قصة أحد أكبر أدبائهم الذي مات علي فراشة وبقي فيه مدة طويلة دون أن يعلم به أحد وهو واحد من كثير.

المدن عند الرحالة تعني الكثير، وهم يشبهونها عادة بما هو أقرب إليها من شبه، أما عندي أنا فالمدن كالنساء، منها العجوز الشمطاء التي تبعث علي الكآبه ومنها العجوز المتصابية ومنها المرأة الطروب ومنها الفتاة اللعوب مدينة "سوند سفال" عندي صبية حسناء تبحث عن الدفء والحنان !، الرجل فيها لا وقت لدية للإهتمام بالمرأة هذا إن كان هناك رجال فعلاً، والمرأة تندب حظها في رجل هو أكثر برودة من أجزاء المدينة في الشتاء المظلم.

قليلة هي المدن التي وددت أن أعود إليها مرة أخرى أو مرات، "سوند سفال" واحدة منها، إنها حقاً مدينة فاتنة ولكن الرحيل والتجوال عندي أكثر فتنة وأغراء، ودعت "هيلين" بعد أن قدمت إليها باقة ورد تقديراً لحسن ضيافتها، بكت السيدة ! أول مرة أري فيها سويدية تنتحب ولمن؟ لأجلي أنا ! كم أنت رقيقة يا "هيلين"، لقد رفضت السيدة رفضاً قاطعاً أن تتقاضى مني أجرة السكن حاولت بشتي الطرق ولكن لا فائدة أخذتني إلي محطة القطار وودعتني وداعاً علي أمل أن نلتقي.

أحذت القطار باتجاه الشمال، تذكرت مسلسل "الهارب" الذي كان يذاع "مدبلجاً" إلي اللغة العربية من محطة تلفاز شركة أرامكو في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في الستينات، لقد أصبحت "كالهارب"، تماماً هو يبحث عن الأقطع الذي قتل زوجته وهارباً من رجال الشرطة، أما أنا فلا أعرف عن ماذا أبحث، عن المعرفة والتجربة؟ أنها جزء من هدف أكبر أو مجموعة أهداف وهارب من ماذا؟ من حظي العاثر الذي لا يريد أبداً أن يبتسم بعد عشرين عاماً ونيف من الترحال والسفر؟ يقول أحد الأصدقاء أن

الحظ سوف يتبسم لك بعد مائة عام من الآن عندما يجد الناس متعة فيما تكتب وما تصف !!

كثيراً ما أغير خططي وأنزل في مدن لم تكن مقرره من قبل أو أتجاوز مدناً أخرى قررت زيارتها إلا في هذه الرحلة فقد قررت السفر إلي مدينة "أوميو"- أو "أوميا" حسب النطق الساحلية الجميلة التي تقع علي خليج "بوثينا" الذي يفصل بين السويد وفنلندا.

ولأن المدن كالنساء "فأوميو" عندي هي الحسناء الذكية، أنها مدينة الطلبة لوجود إحدى جامعات السويد الست فيها، وهي عاصمة محافظة "فوستر بوتينز" وتقع علي نهر "أوميولفن"، بنيت في عهد الملك "غوستاف أدولف الثاني" في عام ١٦٢٢، ويبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر قرابة ٧٥ ألف نسمة، تنتشر فيها المقاهي التي يرتادها الطلبة، والمقاهي هناك لا تشبه بحال المقاهي المعهودة في الوطن العربي أنها مشارب، تقيم في فصل الصيف حواجز علي الأرصفة أو في الحدائق القريبة لتقديم المشروبات والمأكولات الخفيفة.

والزائر هنا من يحادثه عكس الجنوب، كما أن أغلب الطلبة المقيمين فيها وفدوا إليها من مناطق متفرقة من السويد، حسبوني بادئ الأمر طالباً مثلهم، ولكن سرعان ما التف حولي جمع غفير منهم عندما عرفوا أنني زائر أو رحالة أجوب العالم عندما تحين لي الفرصة، وعرضوا علي مرافقتهم إلي الجامعة في اليوم التالي.

توجهت إلي المكان الذي حدده لي الطلبة ووصلت في الموعد المضروب وكانوا جميعاً هناك أخذوني في جولة علي أقسام الجامعة، أنها جامعة أنيقة جذابة بمبانيها الحديثة وحدائقها الجميلة.

لفت نظري في هذه المدينة كثرة عدد اللاجئين الإيرانيين، لا أعرف السبب لماذا هذه المدينة بالذات هل هو هروب إلي سقف العالم عن بؤرة الحرب؟ سألت واحدة من اللاجئين كانت تبيع الشطائر في عربة متنقلة : ما الذي جاء بكم هنا إلي هذه المدينة بالذات، مع أن المدن الجنوبية توجد بها جاليات إيرانية كثيرة؟ قالت: هرباً من تلك الجاليات التي ذكرتها ولأسباب أخرى أرجو أن تعفيني من ذكرها.

لقد توجّست مني خيفة، وأخذت تنظر إليّ بعين الشك، ثم أخذت تحدثني بالفارسية التي أجهلها، يبدو أنها حسبتني إيرانياً متنكراً لهدف ما ! وأذكر أنني سألت أحد ضباط الأمن الذي رافقتني في جولة تدريبية كنت أقضيها في مدينة "ستوكهولم" عن المشاكل التي تنشأ بين اللاجئين من جهة وبينهم وبين السويديين من جهة أخرى فقال:" أغلب المشاكل التي تحدث بين اللاجئين هي مشاكل جلبوها معهم من بلدانهم لأسباب عديدة أهمها الإختلافات السياسية وحتى العرقية، ويضيف قائلاً: ومن المشاكل الغريبة بالنسبة لي هي تلك التي تحدث عادة بين لاجئين عراقيين مؤيدين للإمام الخميني أو نظام الحكم في إيران وبين إيرانيين معارضين له وصلت في بعضها إلي الإعتداء بالضرب وتدخل الشرطة أما بينهم وبين السويديين فغالباً ما يحدث احتكاك مع بعض الشباب المناهضين لوجود اللاجئين في السويد" !!.

هناك طريق بري يربط بين مدينة "أوميو" وشمال النرويج ويمر عبر الغابات والجبال وبحيرة "ستورومان" الرائعة والطرق في السويد وسائر دول الشمال في غاية التنظيم خاصة الطريق البري الذي يربط دول أوروبا ببعض له بالرمز (E) ويرقم بحسب الطرق التي يسلكها المسافر، وهذا الطريق هو خير عون للمسافر بالسيارة ولا تخلو خارطة منه لأهميته،

ويكفي المسافر النظر إلي الرمز ليعرف مكانه بدقة إذ أن الطريق الأخرى تأخذ رمزاً وأسماء أخري.

لا أثر لليل هنا في فصل الصيف، فكلما إتجهنا شمالاً ازداد طول النهار إلي أن يأخذ اليوم بأكمله أي ٢٤ ساعة بالتمام والكمال.

كانت وجهتي التالية إلي مدينة "لوليا" في الشمال وتقابلها علي الجانب الفنلندي مدينة "أولو" ومدينة "لوليا" - أو "لوليو" حسب النطق وحسب اللهجة وإن كانت "لوليا" هي تسمية أهلها لها- تقع علي مصب نهر "لوليالفن" وهي شبه جزيرة حيث تحيط بها مياه البحر من كل جانب مع مجموعة من الجزر، تأسست في عهد الملك "غوستاف أدولف الثاني" سنة ١٦٢١، الذي أصدر أمراً سنة ١٦٤٩ باعتبارها منطقة تجارية، تعتبر المدينة الآن مرفأ هاماً لتصدير الحديد والصلب المستخرج من محافظة "لابلاند" الشمالية.

كنت أتصفح إحدى الكتيبات السياحية وخارطة المدينة في أحد المقاهي عندما توقف رجل سويدي وأخذ ينظر إليّ بإمعان، ثم دنا وسألني: هل أنت من المملكة العربية السعودية ؟ فقلت قريب منها جداً، من قطر إحدى الدول المجاورة .... فقال: أعرفها تماماً هل تسمح لي بالجلوس ؟ فقلت: علي الرحب والسعة، جلس الرجل وأخذ يحدثني عن السنين الأربع التي قضاها في المملكة العربية السعودية عندما كان يعمل مع إحدى الشركات الكهربائية السويدية الكبرى في المملكة بموجب عقد ٤ سنوات : يقول: "إنها سنين لا تنسى لقد أعجبت جداً بالحياة هناك " تركت ما بيدي وأخذت أنصت باهتمام للرجل فهذه هي المواضيع التي أبحث عنها، رجل في العقد الخامس من عمره، يعيش حياة مرفهة في دولة متطورة ما الذي وجده هناك وما الذي يفتقده هنا !؟... أسئلة كثيرة طافت

بذهبي، لم يدع الرجل لي مجالاً لطرحها عليه، يقول: وجدت هناك الصدق في التعامل والود، وجدت التعاون، وجدت الحياة الروحانية والطمأنينة والإتكال علي الله.

أخذ يحدثني عن الدعوات التي تلقاها والصداقات التي كونها مع العديد من الناس سألته سؤالاً مباغتاً: ولكنك ألم تفتقد المشروبات الروحية التي إعتدت عليها والمراقص وغيرها؟ قال: أن الخمور التي نشربها والمراقص التي نرتادها ما هي إلا خدعة خدعنا أنفسنا بها بحثاً عن الراحة والوهم! والحياة الاجتماعية ونسيان المشاكل، لقد إستغني الناس في الدول الإسلامية بالإيمان عوضاً عن الخمور التي تفتك بشاربيها! واستعانوا بالمساجد بدلاً من المراقص! وشتان ما بين الاثنين! في المساجد يأخذ الناس جرعات روحانية إيمانياً خمس مرات في اليوم بلا ضرر أو إنفاق وعندنا يذهب الناس إلي المراقص لأنهم يعانون الوحدة والإكتئاب فينفقون المال والصحة ولا يحصدون سوي الخسران المبين.....

مضي وقت طويل والرجل يتحدث بإسهاب وحماس وأصّر علي إستضافتي في المساء اعتذرت له لأنني أود تسجيل بعض المذكرات، قال: إنني أقيم هنا في وسط المدينة ولي منزل ريفي أو منزل صيفي وسط الغابة يبعد حوالي ٤٥ دقيقة بالسيارة ما رأيك لو أنك تناولت الغداء معنا غداً؟ فقلت: لا بأس، قال: إذن سوف أخبر زوجتي وأقاربي بقدومك إلينا غداً إنهم سوف يسرون كثيراً للقائك خاصة إذا عرفوا أنك من تلك المنطقة التي حدثتهم عنها كثيراً وأحبوها كما أحببتها.

جاء الرجل في موعده تماماً وانطلقنا بسيارته إلي خارج المدينة، وصلنا المنزل الذي يقع وسط غابة كثيفة، كانت زوجة الرجل وأقاربه ينتظرون قدومنا خارج المنزل، هناك منازل عدة متناثرة يقيم فيها أقارب الرجل منحتهم الحكومة منطقة واسعة تشجيعاً لهم

للإقامة هناك، إستقبلني الجمع إستقبالاً حاراً ودخلنا المنزل، رغم الصيف إلا أن الجو بارد في الخارج، جلسنا قرب المدفأة التقليدية التي تعمل بواسطة الحطب المكوم خارج المنزل أثاث بسيط رغم فخامة المنزل المبني من الخشب من الخارج، صورة للكعبة المشرفة علي قطعة ضخمة من السجاد تتصدر المجلس وصور أخرى وتحف ومقتنيات جميعها جمعت من المملكة العربية السعودية، أرتني زوجته اسمها باللغة العربية وقد كتب بالذهب معلق في رقبتها هدية من زوجها، آيات قرآنية علي قطع من السجاد علقت هنا وهناك.

لقد نقلني هذا المنزل النائي في أقصي شمال العالم إلي مكة المكرمة، سألت الرجل: هل زرت مكة المكرمة ؟، قال: للأسف لا، لم يسمح لي، فقلت له: عليك أن تسلم قبل أن تزورها! قال: إنني أحترم الإسلام جداً ولكن ينبغي لي التعرف عليه بعمق، إنني عرفته فقط من سلوك الناس هناك إذ لا توجد كتب عن الإسلام باللغة السويدية، قالت زوجته "لقد حدثنا زوجي كثيراً عن تلك الديار، فأحببناها عن بعد وأحببنا كل من ينتمي إليها ولأننا نسكن بعيداً جداً عنها فأنت أول شخص نلتقي به هنا، في أذهاننا صور شتي عن العرب، غامضة، مشوشة، لم نكن نعلم إن العرب علي درجة عالية من التطور، إن زوجي كان يعمل في بناء مستشفي كبير جداً في الرياض ولقد زود هذا المستشفي بأحدث ما أنتجته المصانع في العالم شيئاً من السويد وشيئاً آخر من الولايات المتحدة، وهكذا ويقول أيضاً: أن بناء مدينة متطورة وسط الصحراء كمدينة الرياض هو معجزة، لكم تمنيت زيارتها ولكم تمنيت الإقامة في الصحراء حيث البساطة والتواضع".

حان موعد الغداء وكان عبارة عن شرائح مشوية من لحم حيوان الرنة الذي يكثر هنا في هذه المناطق الشمالية وسلطة وأشياء أخرى حمص، تبولة، بابا غنوج، مأكولات عربية تعلم الرجل إعدادها أثناء إقامته في المملكة، بعد الغداء عرض علينا التجول في الغابة

ذهبنا إلي الغابة لم أستطع التجوال بسبب البعوض الذي لم أشهد لحجمه مثيلاً من قبل إنه بعوض عملاق كما أن قرصاته لاذعة وتسبب إحمراراً شديداً في الجسم وإنتفاخاً، عدت فوراً إلي المنزل إلي أن حان وقت المساء علي ساعتي إذ أن الشمس لا زالت في كبد السماء وهي لن تغيب ها هنا أبداً في هذا الوقت من السنة.

ودعت هذه العائلة اللطيفة، وعدت مع الرجل إلي المدينة لاحظت من حديثهم باللغة السويدية اختلافاً أكبر عن تلك التي يتحدث بها سكان الجنوب سألت الرجل عن هذا الاختلاف قال: نعم هناك إختلاف كبير إلي درجة أننا لا يفهم بعضنا بعضاً إذا تحدثنا باللهجة المحلية وعلينا لكي نفهم أن نتحدث باللغة السويدية الفصحى التي نتعلمها في المدارس.

ودعت الرجل وهو يتمني العودة مرة أخرى إلي المنطقة العربية وكانت وجهتي التالية نحو أقصي شمال السويد وأقصي مدينة يصل إليها القطار إنها مدينة "كيرونا" التي تقع في محافظة "لابلاند" أكبر محافظات السويد مساحة وأقلها سكاناً.

تقع مدينة "كيرونا" داخل المنطقة القطبية الشمالية، لذا فإن درجة الحرارة تصل إلي ٣٠ درجة تحت الصفر وأدني من ذلك شتاء! ولكي تتخيل عزيزي القارئ شدة البرودة هذه فإنها أشد من برودة ثلاجات حفظ اللحوم المسماة بـ"ديب فريزر" ذلك أن درجة حرارة هذه الثلاجات تتراوح ما بين ١٨- ٢٠ درجة تحت الصفر!

يبلغ عدد سكان "كيرونا" حوالي ٢٧ ألف نسمة، يعيش معظمهم علي مناجم الحديد والوصول إلي هذه المدينة يتم إما بالقطار أو بالطائرة حيث ترتبط معظم أجزاء السويد والمدن الكبيرة فيها بشبكة خطوط جوية داخلية منظمة إلا أنها غالية مقارنة مع

القطارات، كما ترتبط "كيرونا" بطريق بري مع شمال النرويج وطريق بري آخر يصلها بالسواحل الشرقية ومدنها.

معالمها السياحية تنحصر في مناجم الحديد التي تمثل شيئاً فريداً للزائر العربي أو بالنسبة لي علي الأقل، وأيضاً الزحافات التي تجرها الكلاب السيبيرية، أو التزحلق علي الجليد في فصل الصيف والغريب في أمر التزحلق هذا أنهم يمارسونه بملابس :لبحر أي ما يستر العورة فقط تحت درجة حرارة أدني من الصفر!

لقد سبق الحديث عن "لابلاند" وشعبها، وهي المناطق الشمالية من روسيا وفنلندا والسويد والنرويج، وسكان هذه المناطق هم شعب واحد بغض النظر عن الدول التي يقيمون فيها، كما أنهم شعب من الرعاة الرّحّل الذين يرعون حيوانات الرنة أو الإبل أو الوعول وهم ينتقلون بين هذه الدول الأربع بحرية ودون أية أوراق ثبوتية، كما لا يسمح لغيرهم بممارسة حرفة الرعي هذه.

لكل مدينة في السويد يوم تحتفل به ويعتبر عيداً لها، كما أن لهم إحتفالات مشتركة منها مثلاً الإحتفال بتناول جراد البحر ويطلقون عليه "كريفتون" "*Crayfish* " ويبدأ الإحتفال في ثاني يوم أربعاء من شهر أغسطس وكانوا في الماضي يعدونه إعداداً خاصاً بعد أن يتم إصطياده، إلا أنه نتيجة لتفشي مرض قضي عليه، أصبحوا يستوردونه جاهزاً للأكل من الخارج خاصة من تركيا، ويتم تقديمه في المنازل والمطاعم والحدائق والمتنزهات وهو قريب إلي حد ما بعيد شم النسيم في مصر، حيث يتناول الناس هناك عادة السمك، إلا أن السويديين يتناولونه مع شراب الجعة "البيرة" الذي يعد خصيصاً لهذا اليوم.

وعلي ذكر الجعة والخمور عموماً، فإن السويديين يختلفون عن الدنماركيين في تناولها ذلك أن السويد ومعها النرويج وآيسلندا، لها قوانين صارمة نوعاً ما في بيع الخمور، فهي لا

تباع إلا في محلات حكومية خاصة ولا يدخلها من هو أقل من ثمانية عشر سنة، ولا يسمح إطلاقاً ببيعها في المحلات العامة أو البقالة أو أي محل آخر كما هو في سائر دول أوروبا كما أن هذه الدول فرضت ضرائب باهظة علي الخمور ولسبب منطقي جداً، هو أنه طالما أن هناك من يشتري ويتناول الخمر فعليه أن يدفع مقدماً (الضريبة المضاعفة علي الخمور) تكاليف علاجه لأنه عاجلاً أو آجلاً سوف يذهب إلي المستشفي للعلاج من آثار الخمر المدمرة.

وهناك في السويد جمعيات قوية مؤثرة تكافح لمنع الخمر أو علي الأقل الإقلاع منها وبيان ضررها ولهذه الجمعيات صوت مسموع في البرلمان والحكومة، أما ما يباع في محلات البقالة فهو نوع مخفف جداً من الجعة.

كما يحتلفون في سائر أنحاء السويد بيوم "لوشيا" في الثالث عشر من شهر ديسمبر الذي هو أطول ليل طبقاً لتقويم قديم كان معتمداً عندهم، ويختارون لهذا الإحتفال فتاة من فتياتهم الحسان لتمثل "سانتا لوشيا" سواء في المدرسة أو في المعمل أو المجمعات السكنية المشتركة أو غير ذلك، كانت الساعة السادسة صباحاً عندما سمعت أغان تتردد في طريقات سكن الطلبة التابع للجامعة البحرية العالمية، ومن ثم طرقات علي الباب قمت بفتحة وإذا بحورية ارتدت فستاناً أبيض اللون وتوجهت رأسها بتاج أو إكليل من الغار، وفوق الإكليل صفت شمعات مضيئة وخلفها سرب من الحوريات البيض يقدمن أكواب من القهوة وقطع من "البسكويت" المصنوع من الدقيق والزنجبيل والزعفران وشراب ساخن أحمر اللون يقدم في هذه المناسبة وعيد الكرسماس، لم أقربه لأنني لم أعرف كنهه.

كما أن لهم أياماً أخرى يحتفلون بها، مثل يوم القديس "مارتن لوثر" مع العلم بأن جميع سكان دول الشمال يعتنقون المذهب اللوثري- أو كانوا- وهذا اليوم هو الحادي عشر من نوفمبر، نهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء، كما يحتفلون بيوم الأب حيث يقدم الأطفال والأبناء الهدايا للآباء مع أكواب القهوة في الصباح الباكر ويصادف ثاني يوم أحد من.شهر نوفمبر.

كما يحتفلون بيوم القديسين وهو أول يوم سبت بعد الثلاثين من أكتوبر، يخصص هذا اليوم لتذكر الأقارب والأصدقاء الذين رحلوا عن الدنيا حيث يقومون بزيارة الأضرحة وإضاءة الشموع عندها وهناك يوم الأم ويصادف آخر يوم أحد فى شهر مايو حيث وفد هذا التقليد فى عام ١٩١٩ من الولايات المتحدةالأمريكية كما يحتفلون باليوم الوطني للسويد في ٦ يونيو ويطلقون عليه "يوم العلم" وذلك عندما اعتلي الملك "غوستاف فاسا" مؤسس القومية السويدية العرش يوم ٦ يونيو ١٥٢٣.

كما يحتفلون في اليوم الرابع والعشرين من يونيو أو الثالث والعشرين في بعض المناطق بيوم يسمي "ميد سمر" أي منتصف الصيف، حيث ينصبون صليباً كبيراً في قمته حلقة دائرية وسط مركز المدينة أو القرية أو الحقل، والصليب هذا مغطي بالزهور وورق الأشجار، وهناك الكثير من الإعتقادات تدور حول هذا اليوم، قديماً كانوا أو بالأحرى الفتي أو الفتاة الذي أو التي تبحث عن زوج أو زوجة يجمعون سبع أو تسع زهرات ويضعونها تحت الوسادة لتحلم كل واحدة بالزوج أو الزوجة الموعودة، ويتجمعون حول ذلك الصليب الذي يعتبرونه رمز الخصوبة، يأملون من خلاله الحصول علي القوة السحرية أو مزيد من الطاقة لمواجهة الأعباء الزوجية! وأصبح اليوم هذا الاحتفال مدعاة للتهتك والمجون!

لا يتسع المجال لذكر الاحتفالات كلها، ولكن في جميع الحالات تخلو احتفالاتهم من التلوث أو الفضلات الملقاة علي الأرض أو علي الأرصفة، ما أن ينتهي الاحتفال يعود كل شئ كما كان، عادة تعلموها من غيرهم وتعودوا عليها أخيراً.

السويد سقف العالم..... كلما فتحت باباً للحديث عن موضوع ما وجدت أبواباً كثيرة موصدة... لعلني لم أف الموضوع حقه لأن هدفي منذ البداية كان عرض تطورهم كما هو بسلبياته وإيجابياته، لنقتبس حسناته ونتجنب سيئاته، ولكن في جميع الحالات علينا أن نتعلم من الآخرين....

لعلني أعود مرة أخرى وأخصص كتاباً مستقلاً عن السويد فيه تبيان كل شئ وتفصيل من لدن عليم أمين،

وفوق كل ذي علم عليم والحمد لله رب العالمين.

انتهي

ويليه كتاب

"إلي قاع العالم"

(رحلة إلي قارة أنتاركتيكا)

للمؤلف:

١. *Maritime Saftey Administration in Qatar,*
W.M.U.Malmo- Sweden, December 1985. (أطروحة غير منشورة)

٢. *The Establishment and Development*
of a Maritime Administration in Qatar,
W.M.U. Malmo- Sweden, December 1987. (أطروحة غير منشورة)

٣. مبادئ السلامة البحرية للهواة

الدوحة- قطر، ديسمبر ١٩٩٢.

٤. شمس منتصف الليل

رحلات إلي فنلندا والنرويج وأيسلندا.

٥. إلي سقف العالم

رحلات إلي الدنمارك والسويد.

تحت الطبع

٦. إلي قاع العالم- رحلة إلي قارة أنتاركتيكا.

كتب مخطوطة.

٧. إلي مغرب الشمس- رحلات إلي أمريكا اللاتينية.

٨. في أدغال الأمازون- رحلات إلي البرازيل وأدغال الأمازون.


Bibliotheca Alexandrina
12226252


دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع